

في الفكر الإسلامي المعاصر

النورسي نموذجا



في الفكر الإسلامي المعاصر

النورسي نموذجا

جامعة ابن زهر

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

أكادير – المغرب

أبريل ٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المنسق العام
لرؤساء شعبة الدراسات الإسلامية بالجامعات المغربية

د. العربي بوسلهام

السيد عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالنيابة: الأستاذ الدكتور أحمد صابر
السيد العميد المؤسس لكلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير الأستاذ الدكتور حسن بنحليمة
السيد رئيس، مركز الثقافة والعلوم باستانبول بتركيا الشقيقة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي
السيد رئيس شعبة الدراسات الإسلامية الأستاذ الدكتور محمد بنتهيلة.
السيد رئيس اللجنة المنظمة الأستاذ الدكتور عبد الكريم عكيوي
السادة العلماء والأساتذة الأجلاء

أبنائي الطلبة والطالبات

السادة الحضور الكريم:

يسعدني باسمي وأصالة عن شعب الدراسات الإسلامية بالجامعات المغربية وعميدها الأستاذ محمد بلبشير الحسني بأن أشكر اللجنة المنظمة للندوة على الدعوة الكريمة التي وجهتها للجنة التنسيق بين شعب الدراسات الإسلامية لحضور هذه الندوة المباركة وأغتنم هذه المناسبة لأتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى السيد عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالنيابة الأستاذ الدكتور أحمد صابر والسيد العميد المؤسس لهذه الكلية العتيدة الأستاذ الدكتور حسن بنحليمة وإدارة الكلية والعاملين بها، على ما قدموه ولازالوا يقدمونه من دعم لا يفتر لشعبة الدراسات الإسلامية بهذه الكلية وللتنسيق بين شعب الدراسات الإسلامية بالمغرب وإن تفضلهم اليوم بالحضور في افتتاح ندوتها بمناسبة الذكرى الفضية لتأسيس شعب الدراسات الإسلامية بالمغرب لدليل على رغبتهم في تشجيع كل بادرة علمية تساهم في إثراء الدراسات والبحوث العلمية الجادة.

وإنه لمن المنن الإلهية أن تجتمع هذه النخبة من الأساتذة الأجلاء والمفكرين المميــزين مــن المغرب وتركيا والجزائر الشقيقتين لمدارسة الجمالية في الفكر الإسلامي، ولقد وفقتم عندما اخترتم نموذجا من نماذج الجمالية في الفكر الإسلامي: "كليات رسائل النور" لمجدد الفكر الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري بتركيا العلامة المجاهد بديع الزمان سعيد النورسي الذي قدم الجمالية في ثوب جديد بديع، مع زيادات وتفصيلات مهمة، اهتدى إليها من خلال نظراتــه الدقيقــة الفاحصة في الوحي المتلو، وتأملاته العميقة في الكون المنظور، متسلحا بعلوم عصره، إلا أنه نحى في ذلك منحى مخالفا الاتجاهات السائدة في عصره المتأثرة بالتجربة الغربية، وذلــك نــابع مــن معاشرته للقرآن الكريم واستغنائه بجمالية عما سواها.

أيها الحضور الكريم:

إن حال الأمة اليوم تعاني من أزمة فكرية يقتضي من علمائها ومثقفيها، مثلما فعــل بــديع الزمان سعيد النورسي بتركيا يقتضي ضرورة التفاعل مع القرآن في عالمية خطابه لتجاوز الأزمات الفكرية وتأصيل العلوم والمعرفة الإنسانية وتطهيرها من الخلفيات الإديولوجية، ولتوحيد الكلمة، وإعادة الاعتبار للمشروع الحضاري الإسلامي الذي أفاد بعطائه وإنجازاته التي ساهمت في تقــدم البشرية في فترات تاريخية معلومة.

لقد سعت شعب الدراسات الإسلامية منذ تأسيسها سنة ١٩٨٠ على بناء لبنــات هــذا المشروع رغم المعوقات وضعف الوسائل، وذلك بما حققته من منجزات علمية فكرية في مختلف حقول المعرفة الإنسانية، حيث ساهمت الإنتاجات الفكرية لخريجي الدراسات الإسلامية في تنشيط الحركة الثقافية والعلمية في تأطير الحقل الديني بمختلف مجالاته، والمشاركة في التنميــة التربويــة والثقافية والاجتماعية لبلادنا.

حيث تخرج من هذه الشعبة كفاءات علمية ومهنية وتربوية متميزة تجدهم من أكثر الفاعلين عطاء في ميادين عملهم المتنوعة في التعليم والأوقاف والشؤون الإسلامية، وقطــاع الصــحافة والإعلام، والشؤون الاجتماعية، والعدل والمالية والاقتصاد والداخلية، والخارجية وتأطير الجاليــة المغربية في الخارج، بالإضافة إلى التكوين الأكاديمي الطوعي في الدراسات الإسلامية لكثير مــن العاملين في قطاع الطب والصيدلة والقانون والعلوم البحتة، وهذا مكسب يفتخر بــه المغــرب، ويمكن أن تفتح آفاق أخرى لمساهمة شعب الدراسات الإسلامية في مسيرة التنمية الوطنية إذا مــا توفرت الإرادة وتجددت الأفكار.

كما أن إشراف الأساتذة الأجلاء بشعب الدراسات الإسلامية على عشرات الرسائل والأطروحات الجامعية شكّل حصيلة كمية هائلة، أزاحت الغبار عن كثير من المخطوطات التي كانت حبيسة الرفوف، وعرفت بالتراث المغربي في العلوم الإسلامية ومدارسه الفقهية والحديثية والأصولية والفكرية، وتناولت إشكالات فكرية ومعرفية في مسيرة الفكر الإسلامي، بل تناولت قضايا طبية وبيئية وفلسفية واقتصادية واجتماعية معاصرة من زاوية فقهية وقانونية مقارنة وصاغت الحلول الواقعية في ضوء ذلك مما كان له الأثر البالغ في المسيرة الفكرية والثقافية للمغرب المعاصر.

إن هذه الإطلالة السريعة على تاريخ شعبة الدراسات الإسلامية بالجامعات المغربية منذ خمسة وعشرين سنة من إنشائها تدل على مدى المجهودات التي بدلها الأساتذة المشرفون عليها رغم الصعوبات وقلة الإمكانيات والتحديات التي واجهوها ولا زالوا يواجهونها.

فالمطلوب من أساتذة الدراسات الإسلامية وقد أقبلوا على تطبيق الإصلاح الجامعي ونظام المسالك أن يغيروا استراتيجية التكوين والبحث وتجديدها ويحدثوا قطيعة مع نمط التكوين التقليدي القائم على التلقين والاستيعاب والانتقال إلى النمط الجديد القائم على بناء الغايات المعرفية والمنهجية والتواصلية والتكنولوجية في شكل دروس نظرية وتوجيهية وأشغال تطبيقية، وردم الحواجز بين التكوينات والتخصصات ودمجها انطلاقا من وحدات التكوين المشتركة في مسالك قد تجمع شعبا متعددة، وأحيانا تتقاطع فيها كليات متخصصة، مما تفرض رؤية جديدة للتكوين لدى الأساتذة الذين ينتسبون بناء على القانون إلى الجامعة لا إلى الكلية أو الشعبة.

وفق الله أعمال هذه الندوة المباركة، وقابل عنايته ورعايته عروضكم القيمة، وكلل مناقشاتكم بالنجاح المأمول، وأحاط النتائج التي ستتوصلون إليها بالرضا والقبول.

ومتن الله العلاقات الأخوية بين المملكة المغربية وتركيا الشقيقة وخاصة بين شعب الدراسات الإسلامية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أكادير في ٢٠٠٥/٣/٣١

مَن النورسي وما رسائل النور؟

ذ.كنعان دميرطاش
مركز الدراسات – النسل
استانبول

عصر النورسي:

عاصر بديع الزمان سعيد النورسي عهد السلطان (عبد الحميد الثاني) أواخر عمر الدولة العثمانية الآيلة للسقوط، وعاصر تكالب الأعداء وتزاحمهم للقضاء على هذه الدولة. إذ بعد تنحية السلطان عن الحكم جاء الاتحاديون بالسلطان (محمد رشاد) وجرّوا الدولة العثمانية إلى الحرب العالمية الأولى دون مبرر، مما أدى في خاتمة المطاف إلى تمزّقها شرّ ممزق. وهرب قادة الاتحاديين خارج البلاد تاركين الأمة تعاني نتائج هذه الحرب المدمرة التي أوقعت البلاد تحت وطأة الجيوش الأجنبية. وجاء السلطان محمد وحيد الدين والدولة قد خسرت الحرب واستولى الإنكليز واليونان والإيطاليون والأرمن على مناطق مختلفة من تركيا، وحتى استانبول نفسها كانت تحت الاحتلال الإنكليزي أي أن السلطان كان في واقع الأمر أسيرا بيد الإنكليز.

لم يعد الشعب التركي يملك غير الإيمان العميق يتحدى به الأعاصير الهوج، ويتقى به سهام الأعداء وحراب المستعمرين. فوقف يحشد ما بقي من قواه، و يهيئ ما تبقى له من طاقات وقرر أن يخوض حرباً تحريرية ضد الغزاة وهي التي تسمى "حرب الاستقلال".

ولكن ما أن استقر الأمر وطرد الغزاة حتى ظهر العداء السافر للإسلام ومحاولات جادة لقلع الإيمان الراسخ في قلب الأمة.

هنا.. وفي هذا المنعطف الخطير في حياة الأمة وأمام هذه الأعاصير الهائلة المزعزعة للحياة

الاجتماعية بأسرها، ظهر بديع الزمان أيضاً ليحمل هُموم الأمة ويقوم بأعباء رسالة (إنقاذ الإيمان) التي نَذَر لها نفسه وحياته بعيداً عن المحافل السياسية وانكبّ على تأليف (رسائل النور) ونشرها بين طبقات الأمة في ظروف غاية في الدقة والصعوبة ليهيء بها مجتمعاً إسلامياً كاملاً يتدفق بالحيوية والإيمان.

مولده:

في مطلع القرن الهجري الماضي ١٢٩٣هـ(١٨٧٦ م) وفي قرية نُوْرْس الواقعة في جنوب شرقي تركيا الحالية، ولد صبي لأبوين اشتهرا في القرية بورعهما المثاليين، صبي أسمياه **سعيد**ا.

تحصيله العلمي:

ما برح سعيد أن التحق بمجموعة من الكتاتيب والمرافق التعليمية المبثوثة في تلك النواحي من حول قريته (نُوْرْس). وكان يستوعب كل ما يقدّم له من علم ، وسرعان ما أضحى لا يجد ما يستجيب لنهمه التحصيلي في المراكز التي يقصدها. من هنا كانت إقامته في تلك المراكز ظرفية ، إذ كان يتوق إلى الاستزادة المعرفية الحق .. وظل يرتحل من مركز إلى مركز ، ومن عالِم إلى آخر..

لم يعد يجد لدى مدرسيه ما يفيدونه به ، أضحى يتلقى العلم بجهده ، ويلتهم ما في بطون الكتب التي كانت متوفرة في ذلك الزمن من تفسير وحديث ونحو وعلم كلام وفقه ومنطق .. كان نادرة في الحفظ، وكان يعمد إلى الحفظ عن ظهر قلب كل ما تقع عليه عيناه من تلك العلوم..حتى حفظ ما يقرب من تسعين كتابا من أمهات الكتب.

وتهيأ بعد ذلك وبفضل المحصول العلمي الجم الذي اكتسبه في طفولته المبكرة تلك، أن يجلس إلى المناظرة ومناقشة العلماء ، وانعقدت له عدة مجالس تناظر فيها مع أبرز الشيوخ والعلماء في تلك المناطق ، وظهر عليهم جميعا ..وطارت شهرته في الآفاق .

وفي سنة ١٣١٤هـ(١٨٩٧م) ذهب إلى مدينة ''وان'' وانكبّ فيها بعمق على دراسة كتب الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء والجيولوجيا والفلسفة والتاريخ؛ حتى تعمق فيها إلى درجة التأليف في بعضها فسمّي بـ(بديع الزمان) إعترافاً من أهل العلم بذكائه الحاد وعلمه الغزير واطلاعه الواسع.

الخبر المدهش:

في هذه الأثناء نُشر في الصحف المحلية أن وزير المستعمرات البريطاني "غلادستون" قد صرّح في مجلس العموم البريطاني وهو يخاطب النواب قائلاً: "مادام القرآن بيد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم، لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلة المسلمين به". زلزل هذا الخبر كيانه وأقضّ مضجعه فأعلن لمن حوله: "لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها". فشد الرحال إلى إستانبول عام ١٣٢٥هـ (١٩٠٧م)، وقدّم مشروعاً إلى السلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله لإنشاء جامعة إسلامية في شرقي الأناضول، أطلق عليها اسم "مدرسة الزهراء"- على غرار الأزهر الشريف- تنهض بمهمة نشر حقائق الإسلام وتدمج فيها الدراسة الدينية مع العلوم الكونية الحديثة على وفق مقولته:

"ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فبامتزاجهما تتجلّى الحقيقة، فتتربّى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين، وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى والحيل والشبهات في الثانية".[1]

في سنة ١٣٢٩هـ (١٩١١ م) سافر إلى الشام، والتقى برجالاتها وعلمائها ، وبسبب ما لمسوا فيه من علم ونجابة ، استمعوا إليه في الجامع الأموي الشهير وهو يخطب في الآلاف من المصلين خطبة حفظها لنا الزمن واشتهرت في تراثه بـ"الخطبة الشامية "[2].. لقد كانت تلك الخطبة برنامجا سياسيا واجتماعيا متكاملا ..

دفاع جريء أمام المحكمة العسكرية:

كان بديع الزمان سعيد النورسي من بين الذين قدموا إلى أعواد المشانق، عقب حادثة ٣١ مارت[3] علماً بأن دوره في هذه الحادثة كان دوراً مهدئاً، إذ كان ينصح الجنود بالعودة إلى

---

[1] صيقل الإسلام – المناظرات / ٤٢٨. ترجمة إحسان قاسم الصالحي – استانبول – سوزلر ١٩٩٥

[2] صيقل الإسلام– ترجمة إحسان قاسم الصالحي – استانبول – سوزلر ١٩٩٥

[3] نشب عصيان بين أفراد الطابور العسكري الذي كان قد أرسل من قبل الاتحاديين من مدينة سلانيك إلى استانبول لحماية المشروطية. فقد ثار الجنود وحبسوا ضباطهم في الثكنة واجتمعوا في منتصف ليلة ٣١ مارت ١٣٢٥ رومي (١٣ نيسان ١٩٠٩م الموافق ٢٢ربيع الأول ١٣٢٧هـ) في ميدان (السلطان احمد) حيث انضم إليهم بعض الجنود من المعسكرات الأخرى معلنين عصياناً دام أحد عشر يوماً، راح ضحيته بعض الأشخاص.. وساد جو من الهرج والمرج وإطلاق الرصاص عبثاً، وكان الجنود يهتفون: نريد

ثكناهم واحترام أوامر ضباطهم.. وقد خطب في الجنود عدة خطب بهذا المعنى..

قد قال في المحكمة العسكرية العرفية في أثناء حادثة (٣١) مارت:

"إنني طالب شريعة، لذا أزن كل شئ بميزان الشريعة. فالإسلام وحده هو ملّتي، لذا أُقوّم كل شئ وانظر إليه بمنظار الإسلام.

وإنني إذ أقف على مشارف عالم البرزخ الذي تدعونه السجن منتظراً في محطة الإعدام، القطار الذي يقلني إلى الآخرة اشجب وانقد ما يجري في المجتمع البشري من أحوال ظالمة غدارة. فخطابي ليس موجهاً إليكم وحدكم وإنما أوجهه إلى بني الإنسان كلهم في هذا العصر. فلقد انبعثت الحقائق من قبر القلب عارية مجردة بسر الآية الكريمة (يوم تبلى السرائر) [٤] فمن كان أجنبيا غير محرَم فلا ينظر إليها. إنني متهيئ بكل شوق للذهاب إلى الآخرة، ومستعد للرحيل إليها مع هؤلاء المعلقين على المشانق [٥]...

لقد كانت هذه الحكومة تخاصم العقل أيام الاستبداد. إلاّ أنها الآن تعادي الحياة بأكملها. فإن كانت الحكومة على هذا الشكل والمنطق؛ فليعش الجنون وليعش الموت، ولتعش جهنم مثوىً للظالمين.

لقد كنت آمل أن يهيىء لي موضع لأبيّن فيه أفكاري. وها قد أصبحت هذه المحكمة العرفية خير مكان لأبث منها أفكاري.

في الأيام الأولى من التحقيق سألوني مثلما سألوا غيري:

وأنت أيضاً قد طالبت بالشريعة!

قلت: لو كان لي ألف روح، لكنت مستعداً لأن أضحي بها في سبيل حقيقة واحدة من حقائق الشريعة، إذ الشريعة سبب السعادة وهي العدالة المحضة وهي الفضيلة. أقول: الشريعة

الشريعة.. نريد الشريعة.. انتهت هذه الحادثة بوصول جيش الحركة الذي وجّهه الاتحاديون من سلانيك، بقيادة "محمود شوكت باشا" لقمع العصيان وإعادة سلطة الاتحاديين فوصل استانبول في ٢٣ نيسان. فسيطر على الوضع. كما أعلنت الأحكام العرفية وشكلت محكمة عسكرية لمحاكمة المسؤولين عن هذه الحادثة. (عن "تاريخ الدولة العثمانية" لإسماعيل دانشمند ٤/ ٣٧٥)

[٤] سورة الطارق: ٩

[٥] حيث يشاهد جثث خمسة عشر من المشنوقين عبر النافذة.

الحقة لا كما يطالب بها المتمردون.".[٦]

وصدر حكم ببراءة بديع الزمان سعيد النورسي من تلك المحكمة الرهيبة الــتي شــنقت العشرات.

النورسي قائداً ومفسراً:

وباندلاع الحرب العالمية الأولى كان طبيعيا أن يهبّ بديع الزمان في طليعة المجاهــدين، فشكل فرقا فدائية من طلابه واستمات معهم في الدفاع عن حمى الوطن في جبهة القفقــاس، وجرح في المعارك مع الروس وأسر[٧] واقتيد شبه ميت إلى (قوصتورما) من مناطق روســيا حيث قضى سنتين وأربعة أشهر، هيأ له الله أثناء (الثورة البلشفية) الانفلات، فعاد إلى بلاده[٨] واستقبل استقبالا رائعاً من قبل الخليفة وشيخ الإسلام والقائد العام وطلبة العلوم الشرعية ومنح وسام الحرب. وكلفته الدولة العثمانية بتسنّم بعض الوظــائف، رفضها جميعاً إلاّ ما عينته له القيادة العسكرية من عضوية في ''دار الحكمة الإسلامية''، التي كانت لا توجّــه إلاّ لكبــار العلماء، فنشر في هذه الفترة أغلب مؤلفاته باللغة العربية منها: تفسيره القيّم إشارات ''الإعجاز في مظان الإيجاز''، الذي ألفّه في خِضَمّ المعارك، و"المثنوي العربي النوري".

طعنة في الصميم:

وبعد دخول الغزاة إلى إستانبول [٩] أحس النُوْرْسي أن طعنة كبيرة وجهــت إلى العــالم الإسلامي، فكان حتما أن يقف في طليعة من يتصدى للقهر والهزيمة ، فسارع إلى تحرير كتيب" الخطوات الست"[١٠] حرّك به همة مواطنيه ووضع تصوره لرفع المهانة وإزالة عوامل القنوط التي ألحقتها الهزيمة بالدولة العثمانية والمسلمين عامة..

---

[٦] سيرة ذاتية ص١٠٨

[٧] وذلك في ١٣٣٤هـــ (٢/ ٣/ ١٩١٦)

[٨] وذلك في ١٩ شهر رمضان المبارك ١٣٣٦ (١٩١٨/٧/٨)

[٩] في ١٣/ ١١/ سنة ١٩١٩ دخلت خمس وخمسون سفينة حربية لأسطول دول الحلفاء إلى استانبول حسب هدنة "موندروس" التي عقدت في ٣٠/ ١٠/ ١٩١٨".. اثنتان وعشرون منها لانكلترة.. اثنتا عشرة منها لفرنسا.. سبع عشرة منها لإيطاليا.. و أربع منها لليونان.. ووجهت مدافعها نحو قصر الخليفة الذي أصبح في حكم الأسير في قصر "دولمه باغجه". واحتل الإنكليز استانبول في ١٨ مارت ١٩٢٠

[١٠] نشرت مترجمة في المجلد الثامن من كليات رسائل النور

المنعطف الخطير:

في هذه الفترة (أي منذ سنة ١٩٢٢م) وُضعت قوانين وأُتخذت قرارات لقلع الإسلام من جذوره وإخماد جذوة الإيمان في قلب الأمة التي رفعت راية الإسلام طوال ستة قرون من الزمان. فأُلغيت السلطنة العثمانية في (١/١١/١٩٢٢) وأعقبه إلغاء الخلافة في (٣/٣/١٩٢٤) فمُنع تدريس الدين في المدارس كافة، وبُدّلت الأرقام والحروف العربية في الكتابة إلى الحروف اللاتينية، وحُرم الأذان الشرعي وإقامة الصلاة باللغة العربية، وجرت محاولات إحلال ترجمة القرآن الكريم في العبادات. ومُنع القيام بأي نشاط أو فعالية في صالح الإسلام، إذ حُظر طبع الكتب الإسلامية، وأُرغم الناس على تغيير الزي إلى الزي الأوروبي، فالرجال أُرغموا على لبس القبعة والنساء على السفور والتكشف ..

وشكّلت محاكم زرعت الخوف والإرهاب في طول البلاد وعرضها، ونصبت المشانق لعلماء أجلاّء، ولكل من تُحدثه نفسه بالاعتراض على السلطة الحاكمة. فساد جو من الذعر والإرهاب في أرجاء البلاد، حتى أصبح الناس يخفون القرآن الكريم عن أنظار موظفي الدولة. ونشطت الصحافة في نشر الابتذال في الأخلاق والاستهزاء بالدين، فانتشرت كتب الإلحاد.

توحيد القبلة في القرآن:

يصف الأستاذ النورسي حالته الروحية وانقلابه الفكري بالآتي:

"هوت صفعات عنيفة قبل ثلاثين[11] سنة على رأس سعيد القديم الغافل[12]، ففكّر في قضية أن الموت حق. ووجد نفسه غارقاً في الأوحال.. استنجد، وبحث عن طريق، وتحرى عن منقذ يأخذ بيده.. رأى السبل أمامه مختلفة.. حار في الأمر واخذ كتاب فتوح الغيب للشيخ عبد القادر الگيلاني رضي الله عنه وفتحه متفائلاً، فوجد أمامه العبارة الآتية:

أنت في دار الحكمة فاطلب طبيباً يداوي قلبك[13].. يا للعجب!. لقد كنت يومئذ عضواً

---

[11] المقصود أوائل العشرينيات.

[12] يطلق الأستاذ النورسي على حياته قبل انقلابه الفكري بسعيد القديم، وبعده بسعيد الجديد الذي أخذ على عاتقه مهمة إنقاذ الإيمان.

[13] أصل العبارة: "يا عباد الله أنتم في دار الحكمة، لابد من الواسطة، اطلبوا من معبودكم طبيباً. يطبّ أمراض قلوبكم مداوياً يداويكم..." وذلك في المجلس الثاني والستين ص ٢٤٥ من كتاب الفتح الرباني الذي كان مطبوعاً في طبعاته الأولى مع كتاب فتوح الغيب في مجلد واحد موسوم بـ "فتوح الغيب"

في دار الحكمة الإسلامية وكأنما جئت إليها لأداوي جروح الأمة الإسلامية، والحال أنني كنت أشد مرضاً وأحوج إلى العلاج من أي شخص آخر.. فالأولى للمريض أن يداوي نفسه قبل أن يداوي الآخرين.

نعم، هكذا خاطبني الشيخ: أنت مريض.. ابحث عن طبيب يداويك!..

قلت: كن أنت طبيبي أيها الشيخ!

وبدأت أقرأ ذلك الكتاب كأنه يخاطبني أنا بالذات.. كان شديد اللهجة يحطم غروري، فأجرى عمليات جراحية عميقة في نفسي.. فلم أتحمل.. لأني كنت اعتبر كلامه موجهاً إليّ.

نعم، هكذا قرأته إلى ما يقارب نصفه.. لم استطع إتمامه.. وضعت الكتاب في مكانه، ثم أحسست بعد ذلك بفترة بأن آلام الجراح قد ولّت وخلفت مكانها لذائذ روحية عجيبة.. عدت إليه، وأتممت قراءة كتاب أستاذي الأول. واستفدت منه فوائد جليلة، وأمضيت معه ساعات طويلة أصغي إلى أوراده الطيبة ومناجاته الرقيقة.

ثم وجدت كتاب "مكتوبات" للإمام أحمد الفاروقي السرهندي، مجدد الألف الثاني.. فتفاءلت بالخير تفاؤلاً خالصاً، وفتحته، فوجدت فيه عجباً.. حيث ورد في رسالتين منه لفظة ميرزا بديع الزمان فأحسست كأنه يخاطبني باسمي، إذ كان اسم أبي ميرزا وكلتا الرسالتين كانتا موجهتين إلى ميرزا بديع الزمان فقلت: يا سبحان الله. إن هذا ليخاطبني أنا بالذات، لأن لقب سعيد القديم كان بديع الزمان، ومع أنني ما كنت أعلم أحداً قد اشتهر بهذا اللقب غير الهمداني الذي عاش في القرن الرابع الهجري. فلابد ان يكون هناك أحد غيره قد عاصر الإمام الرباني السرهندي وخوطب بهذا اللقب، ولابد ان حالته شبيهة بحالتي حتى وجدت دوائي بتلك الرسالتين.. والإمام الرباني يوصي مؤكداً في هاتين الرسالتين وفي رسائل أخرى أن: وحّد القبلة[١٤] أي: اتبع اماماً ومرشداً واحداً ولا تنشغل بغيره!

لم توافق هذه الوصية – آنذاك – استعدادي وأحوالي الروحية.. وأخذت أفكر ملياً: أيهما اتبع!. أأسير وراء هذا، أم أسير وراء ذاك؟ احترت كثيراً وكانت حيرتي شديدة جداً، إذ في كل منهما خواص وجاذبية، لذا لم استطع ان اكتفي بواحد منهما.

---

[١٤] نص العبارة: "وحيث قد طلبت الهمة من كمال الالتفات فبشرى لك ترجع سالماً وغانماً، لكن لابد من أن تراعي شرطاً واحداً وهو: توحيد قبلة التوجه. فإن جعل قبلة التوجه متعددة إلقاء السالك نفسه إلى التفرقة". المكتوب الخامس والسبعون من مكتوبات الإمام الرباني ٨٧/١ . ترجمة محمد مراد.

وحينما كنت أتقلب في هذه الحيرة الشديدة.. إذا بخاطر رحماني من الله سبحانه وتعالى يخطر على قلبي ويهتف بي:

- إن بداية هذه الطرق جميعها.. ومنبع هذه الجداول كلها.. وشمس هذه الكواكب السيارة.. إنما هو القرآن الكريم فتوحيد القبلة الحقيقي إذن لا يكون إلا في القرآن الكريم.. فالقرآن هو أسمى مرشد.. وأقدس أستاذ على الإطلاق.. ومنذ ذلك اليوم أقبلت على القرآن واعتصمت به واستمددت منه.. فاستعدادي الناقص قاصر من ان يرتشف حق الارتشاف فيض ذلك المرشد الحقيقي الذي هو كالنبع السلسبيل الباعث على الحياة، ولكن بفضل ذلك الفيض نفسه يمكننا ان نبين ذلك الفيض، وذلك السلسبيل لأهل القلوب وأصحاب الأحوال، كلٌ حسب درجته. فالكلمات والأنوار المستقاة من القرآن الكريم (أي رسائل النور) إذن ليست مسائل علمية عقلية وحدها بل أيضاً مسائل قلبية، وروحية، وأحوال إيمانية.. فهي بمثابة علوم إلهية نفيسة ومعارف ربانية سامية.[١٥]

وحدثت اضطرابات وثورات في البلاد. قُمعت من قبل السلطات، و لم ينج بديع الزمان من شرارة تلك الفتن والاضطرابات فنفي مع الكثيرين إلى غربي الأناضول، في شتاء سنة ١٩٢٦م. ثم نفي وحده إلى ناحية نائية وهي ''بارلا''.

ظهور رسائل النور:

يبين الأستاذ النورسي كفية ظهور رسائل النور بالآتي:

"... صرفتُ كل همي ووقتي إلى تدبّر معاني القرآن الكريم. وبدأت أعيش حياة"سعيد الجديد".. أخذتني الأقدار نفياً من مدينة إلى أخرى.. وفي هذه الأثناء تولدت من صميم قلبي معاني جليلة نابعة من فيوضات القرآن الكريم.. أمليتها على مَن حولي من الأشخاص، تلك الرسائل التي أطلقت عليه "رسائل النور" إنها انبعثت حقاً من نور القرآن الكريم. لذا نبع هذا الاسم من صميم وجداني، فأنا على قناعة تامة ويقين جازم بان هذه الرسائل ليست مما مضغته أفكاري و إنما إلهام إلهي أفاضه الله سبحانه على قلبي من نور القرآن الكريم، فباركت كل من استنسخها، لأنني على يقين ان لا سبيل إلى حفظ إيمان الآخرين غير هذه السبيل... وهكذا

---

[١٥] المكتوبات/ ٤٥٧ - ٤٥٩

تلقفتها الأيدي الأمينة بالاستنساخ والنشر، فأيقنت ان هذا تسخير رباني وسَوق إلهي لحفظ إيمان المسلمين .. فاستشعرت بضرورة تشجيع كل مَن يعمل في هذه السبيل امتثالاً بما يأمرني به ديني..."[١٦]

وهكذا استمر الأستاذ النُوْرْسي على تأليف رسائل النور حتى سنة ١٩٥٠م وهو يُنقل من سجن إلى آخر ومن محكمة إلى أخرى ..هكذا طوال ربع قرن من الزمان. و لم يتوقف خلاله من التأليف والتبليغ حتى أصبحت في أكثر من (١٣٠) رسالة، جمعت تحت عنوان ''كليات رسائل النور''التي لم تتيسر لها أن ترى طريقها إلى المطابع إلا بعد سنة ١٩٥٤م.

الرحيل:

لبىّ الأستاذ النُوْرْسي نداء ربه الكريم في الخامس والعشرين من رمضان المبارك سنة ١٣٧٩هـ الموافق ٢٣ آذار (مارس)١٩٦٠م فدفن في مدينة ''أورفة''.. ولكن السلطات العسكرية الحاكمة آنذاك لم تدعه يرتاح حتى في قبره؛ إذ قاموا بعد أربعة أشهر من وفاته بنبش القبر ونقل رفاته بالطائرة إلى جهة مجهولة، فأصبح قبره مجهولا حتى الآن لا يعرفه الناس.

تغمده الله برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جناته.

---

[١٦] الشعاعات ص٥٤١-٥٤٢

ما رسائل النور؟

"إن رسائل النور ليست طريقة صوفية بل حقيقة، وهى نور مفاض من الآيات القرآنية و لم تستق من علوم الشرق ولا من فنون الغرب، بل هي معجزة معنوية للقرآن الكريم خاص لهذا الزمان."[١٧]

"إن رسائل النور برهان باهر للقرآن الكريم، وتفسير قيم له، وهي لمعة براقة من لمعات إعجازه المعنوي، ورشحة من رشحات ذلك البحر، وشعاع من تلك الشمس، وحقيقة ملهمة من كنز علم الحقيقة، وترجمة معنوية نابعة من فيوضاته..".[١٨]

نخلص من هذا كله إلى أن رسائل النور تفسير لمعاني القرآن الحكيم وهي تعالج القضايا الأساسية في حياة الفرد، إذ تنشئ عنده تصورات إيمانية جديدة وتهدم التصورات الفاسدة والسلوك الضعيف. فإنها تدور حول معاني (التوحيد) بدلائل متنوعة و(حقيقة الآخرة) و(صدق النبوة) و(عدالة الشريعة) إلى آخره من الأمور التي قصدها القرآن الكريم.

علاوة على ما تبحثه من أمور الدعوة إلى الله ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم، والشوق إلى الآخرة وأمور اجتماعية وسياسية مختلفة. لذا قال الأستاذ النورسي بحقها:

"إن أجزاء رسائل النور قد حلّت أكثر من مائة من أسرار الدين والشريعة والقرآن الكريم، ووضحتها وكشفتها وألجمت أعتى المعاندين الملحدين وأفحمتهم، وأثبتت بوضوح كوضوح الشمس ما كان يظن بعيداً عن العقل من حقائق القرآن كحقائق المعراج النبوي والحشر الجسماني، أثبتتها لأشد المعاندين والمتمردين من الفلاسفة والزنادقة حتى أدخلت بعضهم إلى حظيرة الإيمان، فرسائل هذا شأنها لابد أن العالم - وما حوله - بأجمعه سيكون ذا علاقة بها، ولا جرم أنها حقيقة قرآنية تشغل هذا العصر والمستقبل، وتأخذ جل اهتمامه، وأنها سيف الماسيّ بتار في قبضة أهل الإيمان..".[١٩]

---

[١٧] الملاحق – قسطموني ص ٢٠٢

[١٨] نفس المصدر ص٢٢٠

[١٩] الملاحق – اميرداغ ص ٢٤٨

السبيل إلى نشر رسائل النور:

كانت الحروف العربية قد بدّلت إلى حروف لاتينية، وحظر الطبع والنشر بها، وأغلقت مطابعها، فكانت "طريقة الاستنساخ" باليد سراً هي الطريقة الوحيدة والعملية لنشر مؤلفات رجل منفي ومراقب، قد سدت في وجهه جميع سبل التأليف والنشر، وخاصة وانه كان يريد – بالإصرار على الكتابة بالحروف العربية – المحافظة عليها من الاندثار والنسيان.

فعندما بدأت حلقات الطلاب تتسع، بدأت الرسائل تصل إلى القرى والنواحي القريبة من (بارلا) وبدأت الأيدي تتلقف سراً هذه الرسائل وتتدارسها، وتمرّبها حتى إلى المدن البعيدة، حيث بدأت تكتسب قلوباً جديدة وأرواحاً عطشى إلى الهداية والنور في تلك الصحراء المحرقة والمظلمة الحالكة.

مصنفات رسائل النور:

يتجاوز عدد أجزاء "رسائل النور" (١٣٠) رسالة، ضمت في مجلدات وهي:

١- سوزلر "الكلمات" وتضم ٣٣ رسالة (كلمة)

٢- مكتوبات "المكتوبات" وتضم ٣٣ رسالة (مكتوبا)

٣- لمعلر "اللمعات" وتضم ٣٣ رسالة (لمعة)

٤- شعاعلر "الشعاعات" وتضم ١٥ رسالة (شعاعا)

وهناك (ملاحق) ألحقت – بعدئذ – بالرسائل وهي:

أ- ملحق بارلا

ب ملحق قسطموني

ج- ملحق أميرداغ في جزئين.

وهيكل هذه الرسائل جميعها هو البحوث الإيمانية، والمسائل التي تمس أركان الإيمان وخصائصه ووسائله، والشعاعات تضم قضايا دفاع الأستاذ النورسي وبعض طلاب النور أمام المحاكم المختلفة فضلاً عن المواضيع الدقيقة التي تمس التوحيد والآخرة وسائر أركان الإيمان.

وقد جمعت هذه المجموعات التي هي باللغة التركية مع التي باللغة العربية (وهي إشارات الإعجاز والمثنوي العربي النوري) تحت عنوان ''كليات رسائل النور''.

ترجمة رسائل النور:

لقد وفق المولى القدير إحسان قاسم الصالحي على ترجمة كليات رسائل النور كاملة إلى اللغة العربية في تسعة مجلدات وطبعت في كل من استانبول والقاهرة.

ووفق الأخت الكريمة شكران واحدة (مريم ويلد) على ترجمة: الكلمات، المكتوبات، اللمعات، الشعاعات.. من كليات رسائل النور، كما ألّفت مجلداً كاملاً في تاريخ حياة الأستاذ النورسي فضلاً عن ترجمتها عدداً كثيراً من الرسائل الصغيرة.

وهكذا أخذت الترجمات طريقها إلى الانتشار، فترجمت مجموعة من الرسائل إلى الألمانية والروسية والفارسية والكردية والمالوية والصينية والبوسنية وكثير من لغات دول آسيا الوسطى وغيرها من اللغات.

واستطاعت رسائل النور بفضل الله سبحانه أن تبني مدرسة إيمانية قرآنية. أنقذت كثير من الناس من التيه والحيرة والصراع والجهل والوقوع في براثن الشرك الجلي والخفي. ذلك لأنها نابعة من القرآن الكريم وإدراك لطبيعة العصر وحركته وصراعات أفكاره وكتبت بأسلوب مطابق لروح العصر يفهمه الخاص والعام.

جمالية المضمون العلمي في رسائل النور
أصولها وملامحها

د. محمد الروكي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط
المغرب

يتكون البحث من :
- تمهيد
- المبحث الأول : أصول جمالية رسائل النور
- المبحث الثاني: ملامح جمالية رسائل النور .
- خاتمة

تمهيد :

إن المتأمل في رسائل النور، المتمعن في مضامينها ومقاصدها، يجد أنها حقا رسائل نور، فهي تفيض بمعاني النور، وتتدفق فيها أفكار النور، وتشقق منها سيول الهدى، وتنساب منها فيوض الندى، إنك إذا قرأتها في نسقها العام، ونظرت إليها وهي في منظومتها الشاملة المتكاملة، أدركت أنها قد نبعت من قلب متفجر بالإيمان، متشبع بالقرآن، وعلمت أنها قد سالت من فكر شمولي عميق، قوامه السعة والتنوع وقوة التحليل والتعليل.. إنك إذا قرأت رسائل النور وأمعنت النظر في فقراتها وفتحت البصيرة في محتوياتها رأيت رأي العين من خلالها سعيد النورسي القديم والجديد وما بعد ذلك، وأيقنت أنه بجانبك يحاورك ويناجيك، ويلقي عليك بخالص ذهبه، ولباب أدبه، ويُحْبِك ببالغ نصائحه، ويسبك لك أجود مواعظه، ويصوغ لك لآلئ فكره، وحلال سحره، ولم يسعك أمام ذلك كله إلا أن تنحني إجلالا، وتطأطأ رأسك امتثالا، وتقف إكبارا لهذا الرجل الرباني الذي يحق لنا أن نصفه بأنه المجدد المصلح

المربي القدوة الإمام الذي وهب قلبه وعقله لعصره، ووقف حياته لدينه، وبذل رحيق عمـــره للدعوة والتربية وبناء الأجيال المسلمة المؤمنة، وتقديم مادة الإسلام لهم ينبوعا صـــافيا، ودواء شافيا من أسقام الأوهام الفكرية، وعلل الاختلالات التي ابتلتهم بها الحياة المعاصرة وما حملته من شظايا المدنية الغربية، وما رشحت به من رذاذ حمأتها الآسنة.

إن رسائل النور في الحقيقة لا يدرك قيمتها ولا يذوق حلاوتها ولا يقدرها حق قدرها إلا الذين عايشوها وتلقوها مباشرة من معينها الصافي، ومنبعها الرقـــراق، وكـــانوا رجالهـــا وناسها، فيهم حررت، وفي وقائعهم كتبت، وبأيديهم نسخت ووزعت، وفي بيوتهم ومجالسهم قرئت، فهم أسباب ورودها، وعناصر مادتها ومقومات محتوياتها. ومن ثم فإن قارءها يجب أن يستحضر ذلك كله حتى تفهم حق الفهم، يجب أن يقرأها القارئ وقد أخذ حظه من معرفـــة ملابساتها الزمانية والمكانية والإنسانية، يجب أن يقرأها القارئ وقد أخذ زاده من معرفة أصولها ومصادرها ومدرستها ومنهاجها، وتعرف على محررها ورائدها وقائدها وموقد نورها الشـــيخ العالم الرباني بديع الزمان سعيد النورسي الذي نحتها من ذاته، وفجر ينابيعها في قلبه الوضاء، وأوقد مصباحها من فكره الثاقب وبصيرته الساطعة.. لابد لقارئ رسائل النور أن يستعين في فهمها وفقه مضامينها بالتعرف على حياة هذا الرجل الإمام وفكره وجهاده وفلسفته في الدعوة والتربية والبناء والتغيير، ومنهجه في خطاب العقل والقلب، وطريقتـــه في منـــاظرة الأقـــربين ومحاورة الأبعدين.

إن رسائل النور مدرسة قائمة بذاتها، لها أسسها المحكمة، ومعالمها الواضحة، ومنهاجهـــا التربوي البين.. إنها مدرسة مبنية على ركنين مضمنين في رسمها نفسه المركب تركيبا إضـــافيا "رسائل النور":

فالركن الأول: النور: ومعنى ذلك أن تراث النورسي ورصيده الفكري، وأعماله العلمية التي بين أيدينا، كل ذلك قائم على أساس صياغة أفكار الهدى ومضامين النور المستمدة مـــن أصول الإسلام القرآن والسنة... نعم إن تراث النورسي هو اقتباس من نور القرآن وإشـــراقة السنة، فهو نور على نور {**وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ**} (النور: ٤٠) . وهذا التفسير لا يتنافى مع ما ذكره النورسي في تعليل تسمية أعماله برسائل النور من قوله في كتاب الملاحق: "إن سبب إطلاق اسم رسائل النور على مجموع الكلمات وهي ثلاث وثلاثـــون

كلمة، والمكتوبات وهي ثلاثة وثلاثون مكتوبا، واللمعات وهي إحدى وثلاثون لمعة، والشعاعات وهي ثلاثة عشر شعاعا، هو : أن كلمة النور جابهتني في كل مكان طوال حياتي، منها:

- قريتي اسمها نورس
- اسم والدتي المرحومة : نورية
- اسم أستاذي في الطريقة النقشبندية: سيد نور محمد
- وأحد أساتذتي في الطريقة القادرية: نور الدين
- وأحد أساتذتي في القرآن : نوري
- وأكثر ما يوضح كتبي وينورها هو التمثيلات النورية.
- وأكثر ما حل مشكلاتي في الحقائق الإلاهية هو اسم النور من الأسماء الحسنى
- ولشدة شوقي نحو القرآن، وانحصار خدمتي فيه فإن إمامي الخاص هو سيدنا عثمان ذو النورين رضي الله عنه".[٢٠]

وأقول : هذا لا يتنافى مع التفسير العام الذي ذكرت، والتعليل الكلي الذي بينت، بل إنه يبينه ويؤكده ويقرره، لأنه كان يستحضر كلمة النور ودلالاتها ومقاصدها وأسرارها التي جابهته فيها كلمة النور. فالذي يعنينا نحن الآن هو النظر إلى رسائل النور بعد صياغتها وتحريرها، وتقويمها في ضوء مضمونها ومنهجها وآثارها التربوية الإيمانية، فهي من هذه الجهة العامة تحمل قيم النور وفكرته وسره وإشعاعه، وحتى أسماء بعض مجموعات الرسائل جاءت مطبوعة بذلك دالة عليه، مثل اللمعات، الشعاعات، صيقل الإسلام...الخ.

والركن الثاني: الرسائل: ومعنى ذلك أن هذه الأعمال العلمية تحمل رسالة لأبناء الإسلام ورجاله ونسائه وشبابه، فهي أعمال ومحررات ليس المقصود منها هو مجرد المعلومات والمتعة الفكرية، بل إنها أعمال رسالية توجيهية تربوية وظيفية، القصد منها إيصال المضامين الإسلامية حية إلى العقل، وإرسال المعاني الإيمانية الناصعة إلى القلب، وتوجيه المقاصد والأسرار القرآنية إلى النفس والوجدان والشعور.

---

[٢٠] الملاحق: ملحق بارلا ص: ٧٠,٧١

وإذن فتراث الأستاذ النورسي بناء شامخ سامق، قائم على ترجمة نور الإسلام وهدى القرآن إلى رسائل ومكتوبات ومحررات وظيفية رسالية، يمكن أن تتخذ نبراسا في الحياة، ودليلا مرشدا على السير في دربها. وهاهنا يكمن جمال هذه الرسائل، وتظهر روعتها. إن جمالها في نوريتها ورساليتها... إن جمالها في مضمونها ومقاصدها ودلالاتها التربوية الإيمانية.

فما هي أصول هذه الجمالية؟ وما هي ملامحها؟ إن الجواب عن ذلك هو ما نعرضه في المبحثين الآتيين.

المبحث الأول: أصول جمالية رسائل النور

المبحث الثاني: ملامح جمالية رسائل النور.

المبحث الأول: أصول جمالية رسائل النور

إن جمالية رسائل النور نابعة من جودة مضمونها العلمي، وجودة مضمونها العلمي قائمة على أصول كثيرة كان الأستاذ النورسي راسخا فيها، مشبعا بمادتها، متفيئا في ظلالها، ويمكن إجمالها في الأمور الآتية:

١- القرآن والسنة :

إن الطابع العام الذي يطبع رسائل النور: أنها رسائل مستمدة قوتها من القرآن، ومقتبسة أنوارها من القرآن، وآخذة ماءها ورونقها وحياتها من القرآن، فهي رسائل قرآنية استخلص الأستاذ النورسي مادتها ومقوماتها من القرآن الكريم الذي تشبع بقيمه وحكمه ومضامينه، ورأى بنوره، وسار على هداه، وملأ به قلبه، وسرى تياره في وجدانه، فصار بذلك رجلا قرآنيا يفكر بالقرآن، ويكتب بالقرآن، ويعلم بالقرآن... لقد جاء في كتاب الملاحق هذا التصوير لرسائل النور:

"إن رسائل النور برهان باهر للقرآن الكريم، وتفسير قيم له، وهي لمعة براقة من لمعات إعجازه المعنوي، ورشحة من رشحات ذلك البحر، وشعاع من تلك الشمس، وحقيقة ملهمة من كنز علم الحقيقة، وترجمة معنوية نابعة من فيوضاته..

إن رسائل النور ليست كالمؤلفات الأخرى التي تستقي معلوماتها من مصادر متعددة من العلوم والفنون، فلا مصدر لها سوى القرآن، ولا أستاذ لها إلا القرآن، ولا ترجع إلا إلى

القرآن.. و لم يكن عند المؤلف أي كتاب آخر حين تأليفها، فهي ملهمة مباشرة مـــن فـــيض القرآن الكريم، وتنـــزل من سماء القرآن ومن نجوم آياته الكريمة..."[٢١].

وجاء في نفس الكتاب أيضا :

" إن رسائل النور كذلك ليست نورا مقتبسا وبضاعة مأخوذة من معلومـــات الشـــرق وعلومه، ولا من فلسفة الغرب وفنونه، بل هي مقتبسة من العرش الرفيع السماوي لمرتبة القرآن الكريم الذي يسمو على الشرق والغرب. فرسائل النور التي هي ضياء معنوي، وعلم في منتهى العلو والعمق معا، لا تحتاج دراستها والتهيؤ لها إلى تكلف، ولا داعي لأساتذة آخرين لتعلمها، ولا الاقتباس من أفواه المدرسين، حيث إن كل شخص يفهم حسب درجته تلك العلوم العالية دونما حاجة إلى إشعال نار المشقة والتعب للحصول عليها فيفيد نفسه بنفسه، وربما يكون عالما محققا"[٢٢].

وهذه الخاصية في رسائل النور المشار إليها في الفقرة الأخيرة من هذا الكلام، هي أيضـــا مقتبسة من القرآن الكريم، فالقرآن لا يحتاج الآخذ منه إلى تكلف ولا إلى أستاذ أو مدرس، بل يكفيه الإقبال الصادق عليه والتدبر الجاد في آياته، والنظر الواعي في بصائره، فكل من أخـــذ بهذه الأسباب نال حظه من كنوز القرآن، يصدق ذلك قول الله عز وجل: {**وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ**} (القمر: ١٧ و ٢٢ و ٣٢ و ٤٠).

والفكر القرآني عند النورسي معزز بالسنة، ومدعم بتفسيرها وبيانها، يقول في توضـــيحه لقوله تعالى: {**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ** } (آل عمران: ٣١): "تعلن هذه الآية العظيمة إعلانا قاطعا عن مدى أهمية اتباع السنة النبوية ومدى ضرورتها:

"نعم إن هذه الآية الكريمة أقوى قياس وأثبته من قسم القياس الاستثنائي ضمن المقـــاييس المنطقية، إذ يرد فيه على وجه المثال: " إذا طلعت الشمس فسيكون النهار"، ويرد مثالا للنتيجة الإيجابية: " طلعت الشمس فالنهار إذا موجود " ويرد مثلا للنتيجة السلبية: " لا نهار فالشمس إذا لم تطلع" فهاتان النتيجتان- الايجابية والسلبية- ثابتتان وقاطعتان في المنطق، وكذلك الأمر

---

[٢١] الملاحق: ملحق قسطموني: ٢٢٠-٢٢١

[٢٢] الملاحق : ملحق قسطموني : ٢٢٢-٢٢٣

في الآية الكريمة، فنقول: إن كان لديكم محبة الله فلابد من الاتباع لحبيب الله، وإن لم يكن هناك اتباع فليس لديكم إذا محبة الله، إذ لو كانت هناك محبة حقا فإنها تولد حتما اتباع السنة الشريفة لحبيب الله" (٢٣)

٢- العلوم الشرعية وغيرها :

الناظر في رسائل النور لا يسعه إلا أن يدرك غزارة مضمونها العلمي، وقارئها الفاحص المتمعن يجدها حافلة بالمادة العلمية، قوية الإفادة، عظيمة النفع، ومرد ذلك إلى ضلاعة صاحبها النورسي بالعلوم الشرعية واللغوية والعقلية، وتبحره في مباحثها وقواعدها، فالقرآن الكريم هو أستاذه الأول، ومدرسته الأولى، والسنة النبوية هي منهاجه الذي سار عليه في حياته ورسائله. وقد أودع في رسائله مكنون فهومه لآيات القرآن وكنوزه ومعارفه التي استمدها منه مستعينا بما لديه من حصيلة واسعة في علوم القرآن التي هي مفاتيح معانيه وأحكامه وقيمه. كما أودع فيها جواهر فهمه المشرق للأحاديث النبوية مستعينا بما يملكه من قواعد فقه الحديث وعلومه التي هي مفاتيح لمضامينه ودلالاته الشرعية والتربوية.

والى جانب علوم القرآن والسنة فقد أودع النورسي في رسائله مئات المسائل والفوائد في علم التوحيد والفقه وأصوله والمنطق والبلاغة والفلسفة والتاريخ والأدب واللغة .. وغيرها من العلوم والفنون، وألوان الثقافة الشرعية والفكر الإسلامي. ومن ثم كانت هذه الموسوعة العلمية أصلا آخر لجمالية المضمون العلمي عند النورسي ينضاف إلى القرآن والسنة من حيث مادتها. فكما أن رسائل النور قوامها القرآن، ومنهاجها السنة، فكذلك جاءت ترشح بمختلف العلوم والفنون وأصناف الثقافة التي استقاها من مادة الإسلام وفكرته، وصاغها صياغة حية محركة موجهة.

٣- القيم الإسلامية:

إن استفادة النورسي من العلوم الشرعية والعقلية واللغوية وتوظيفه إياها في رسائله، لم تكن من قبيل العلم للعلم، ولا من باب الفن للفن، بل كان ذلك من باب خدمة الدين وإذكاء روح الإيمان، وأداء رسالة الإسلام.. لقد كتب النورسي رسائله وحررها مفعمة بأخلاق الإسلام، مشبعة بقيمه ومكارمه، حافلة بفضائله، لقد جاءت رسائل النور تحمل لواء أخلاق

(23) السنة النبوية مرقاة ومنهاج ص: ١٣-١٤

الإسلام وتصوغ قيمه في فقراتها الناصعة، وتترجم لقرائها مبادئه ومثله العليا في لغة حية وأسلوب محرك مؤثر، فكان هذا أصلا من أصول جمالها الفكري وروعتها المضمونية، يتكامل مع سابقه، ويسير معه جنبا إلى جنب. والعلم والأخلاق ما اجتمعا في شيء إلا زاناه وجملاه، بل إن العلم في ميزان القرآن لا ينفك عن ثمرته التي هي الأخلاق والفضائل. فالعلم الحق بميزان القرآن هو الذي يقود إلى قيم الخير، ويجر إلى فضائل الأعمال ومحاسن السلوك، يصدق ذلك قول الله تعالى في معرض المقارنة بين الصالح المستقيم وعكسه: {**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ**} (الزمر: ٩).

٤- الربانية :

إذا كانت الأخلاق هي ثمرة العلم النافع، وأن كلا منهما أصل من أصول جمالية المضمون العلمي لرسائل النور، فإن الأخلاق ثمرتها: الربانية، فتمثل أخلاق الإسلام وقيمه، والتزام فضائله، والتربية على مكارمه ينتج في الشخص الربانية ويورثه إياها. ولقد كان النورسي ربانيا، وأستاذا في الربانية، ومعلما للربانية، وداعيا إلى الربانية، وجاءت رسائله مطبوعة بطابع الربانية. وقد تعلم هذه الربانية من القرآن الكريم، واكتسبها منه، متمثلا في ذلك قول الله تعالى: {**مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَاداً لِّي مِن دُونِ اللّهِ وَلَـكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ**} (آل عمران: ٧٩) وبهذا كانت ربانية النورسي التي ترشح بها رسائله أصلا من أصول جمالها الفكري وبهائها العلمي. ومن القرآن استمدها واقتبس أنوارها: {**وَلَـكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ**}.

٥- الإيمان برسالة الإسلام:

لقد كتب النورسي رسائله وأخرجها لطلاب النور انطلاقا من إيمانه برسالة الإسلام ويقينه بأنها الحق، وأن سبيلها هو سبيل الرشاد، وثقته بان الجولة لها والعاقبة لأصحابها، قال يقرر ذلك:

" أعلن بلا تردد أن الذي دفعني وشجعني إلى مبارزة أفكار العصور الخوالي والتصدي للخيالات والأوهام التي تقوت واحتشدت منذ مئات السنين، إنما هو اعتقادي ويقيني بأن الحق

سينمو نمو البذرة النابتة وإن تسترت تحت التراب، وأن أهله سينتصرون وإن كانوا قلة وضعفاء بظلم الأحوال، واعتقادي أن حقيقة الإسلام هي التي تسود قارات العالم وتستولي عليها. نعم إن الإسلام هو الذي سيعتلي عرش الحقائق والمعارف فلا يكشفها ولا يفتحها إلا الإسلام... الأمارات تبدو هكذا.."[٢٤].

وبمثل هذه الثقة وهذا الإيمان جاءت رسائل النور صادقة اللهجة، جميلة المضمون، رفيعة المحتوى، نافعة هادية..

٦- الثقة بالنفس:

هذا الأصل متعلق بسابقه تعلق الثمرة بأمها، والنتيجة بمقدمتها، وذلك أن إيمان النورسي برسالة دينه، ولد فيه ثقته بنفسه، فكانت كل فقرة كتبها في رسائله، وكل جملة وكل كلمة تنيض بالصدق والقوة، وتنضح بالحرارة والجدية والتأثير في المخاطب. لقد اكتسب ثقته بنفسه من إيمانه برسالته. والثقة بالنفس مأتاها الثقة بالله عز وجل، ولقد كان النورسي واثقا بربه جل وعلا، واثقا بوعده الذي وعد به عباده من النصر في الدنيا والجنة في الآخرة، وحاش لله تعالى أن يخلف وعده، لقد طبع بهذه الثقة كل كلمة من كلمات رسائله فجاءت أجمل وأروع في مضمونها العلمي ومحتواها التربوي.

٧- الصدق ونبع الكلام من القلب :

من أصول جمال المضمون العلمي لرسائل النور صدق لهجتها، وانفلاق معانيها وخطابها من أعماق قلب صاحبها ومحررها. لقد كان صادقا في كل ما يكتبه، مؤمنا بكل ما يقوله ويحرره، وكان لسانه دليل قلبه، وقلمه رسول فكره، وظاهره مترجم لباطنه. وصدق الكلام عنوان جماله.

٨ – غزارة الأفكار :

لقد استفاد النورسي من كثرة العلوم التي درسها، وكثرة الكتب التي قرأها، فتكون لديه من ذلك فكر واسع ومعلومات غزيرة استطاع أن يجلو بها الحقائق ويعرض المفاهيم الإسلامية ويحرر المقولات العلمية، كما استطاع بها أن يجيب عن كل ما يعرض عليه من الأسئلة، ويحل ما يلقى إليه من المسائل والمشاكل. لقد كتب في علوم الدين، وفي الآداب، والاقتصاد

[٢٤] صيقل الإسلام: محاكمات عقلية ص: ٢٢-٢٣

والسياسة والتاريخ، وفي الفلسفة والمنطق وعلم الكلام.. وغيرها من العلوم والفنون. وكل ذلك يكتبه بإتقان، ويحرره بإحسان، فكانت هذه الغزارة في أفكاره أصلا من أصول جمال المضمون العلمي في رسائله.

٩- سعة الخبرة والحنكة وطول المباشرة :

لقد جمع النورسي إلى جانب سعة علمه، وغزارة أفكاره، ولطيف شمائله مصـــدرا آخـــر اكتسبه من الحياة، هو خبرته الواسعة، وحنكته البعيدة، وطول مباشرته وتدبيره لشؤون طلابه وملازميه، فجاء ذلك واضحا في رسائله، بينا في فقراتها، مطبوعا في كلماتها، فزادها جمالا على جمال، ونورا على نور، حيث يستفيد منها قارئها العلم والعمل والخبرة والتجربة الحيـــة الـــتي تشخص العلم وتنـــزله على أرض الواقع، وتيسر الانتفاع به في الحياة.

١٠ - سلامة المنهج وجودته:

إلى جانب ما تقدم من أمور المضمون العلمي لرسائل النور، فقد صيغ هذا المضمون وأفرغ في قالب جديد، ومنهج سديد، لم يتبع فيه النورسي طرق التأليف المعروفة، ولا مناحي الكتابة المألوفة، بل اعتمد طريقة فريدة وأسلوبا شيقا متميزا، فهو يعتمد التنويع في عرض الأفكـــار، والعمق في تحليلها، والسعة في ضرب الأمثال، والشمولية في بسط المضامين العلمية، والوظيفية في إيراد النصوص وسوقها، والتدرج بالقارئ من العام إلى الخاص ومن الخاص إلى العام، ومن الكل إلى الجزء ومن الجزء إلى الكل، ومن الأعلى إلى الأدنى ومن الأدنى إلى الأعلى، وهكـــذا صيغ مضمون الرسائل في منهج محكم لا يصدر إلا عن خبير متبصر متمرس. فكان هذا أصلا آخر من أصول جمال الفكر النورسي في رسائله.

تلك – إذاً- عشرة كاملة من الأصول التي قام عليها جمال مضمون رسائل النور وأمثلة ذلك وتطبيقاته ترشح به الرسائل، وتنطق صفحاتها وفقراتها وجملها فارجع إلى حيث شئت من هذه الرسائل تجد ذلك أوضح وأجلى في سطورها، وأما ما وراء السطور فإنه أكثر وأقوى.

فما هي ملامح هذا الجمال ومظاهره ومعاقده في رسائل النور لمن أراد أن يتلمسها ويقف عليها ويراها رأى العين؟ إن الجواب عن ذلك هو ما سنراه في المبحث الثاني الآتي.

المبحث الثاني: ملامح جمالية رسائل النور

الحقيقة أن رسائل النور كلها جمال ونور، وكلها بهاء وسناء، وكلهـا أخـاذة بألبـاب العقلاء. وكما أن أصول هذا الجمال مبثوثة في كل فقراتها، منثورة في جميع صفحاتها، فكذلك ملامحه ورسومه وشخوصه منظورة في كل فقراتها، مرسوخة في جميع صفحاتها، ويمكن تقريب كلياتها، وتقديم قواعدها في الأمور الآتية:

١- **الجامعية** : وأعني بها: أن رسائل النور قد صيغت بكلام جامع اقتبس فيها النورسي ذلك واستمده من بلاغة السنة النبوية. فمن المعلوم أن النبي ﷺ قد أوتي جوامع الكلام، وأنـه ﷺ يجمع المعاني الكثيرة والأحكام العديدة والحكم البالغة في كلمات وجيزة..كقوله ﷺ: "من حُسن إسلام المرء تركُه ما لا يعنيه" وقوله ﷺ: "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك"، إلى غير ذلك من أمثلة جوامع الكلم عنده ﷺ. وقد اغترف النورسي من معين ذلك، واقتبس من أنـواره، فجاء كلامه في رسائله متأثرا به، حيث يودع المعاني الغزيرة في كلمات معدودة، ويسـتطيع القارئ الفاحص الواعي أن يستفيد من السطور وما وراء السطور، ومن ظاهر الكلام وباطنه، ومن منطوقه ومفهومه، استمع إليه- مثلا- وهو يصوغ هذه اللآلئ:

- "إن إحسانا يزيد على الإحسان الإلهي ليس بإحسان.
- إن حبة من حقيقة تفضل بيدرا من الخيالات.
- الاطمئنان والقناعة بالإحسان الإلهي في التوصيف فرض.
- يجب ألاّ يخل بنظام المجتمع من كان داخلا فيه.
- أصل الشيء تبينُه ثمرته.
- شرف الشيء في ذاته لا في نسله." [٢٥]

وانظر إليه أيضا وهو ينظم هذه الجواهر:

" لله سبحانه وتعالى تجليان — يتجلى بهما على المخلوقات- وهما تجليان شرعيان صادران من صفتين من صفات كماله جل وعلا:

أولهما الشرع التكويني- أو السنة الكونية- الذي هو المشيئة والتقدير الإلهي الصادر مـن صفة الإرادة الإلهية. والثاني : الشريعة المعروفة الصادرة من صفة الكلام الرباني. فكما أن هناك

---

[٢٥] صيقل الإسلام: محاكمات عقلية: ٣٩

طاعة وعصيانا تجاه الأوامر الشرعية المعروفة، كذلك هناك طاعة وعصيان تجاه الأوامر التكوينية. وغالبا ما يرى الأول – مطيع الشريعة والعاصي لها- جزاءه وثوابه في الدار الآخرة. والثاني – مطيع السنن الكونية والعاصي لها- غالبا ما ينال عقابه وثوابه في الدار الدنيا. فكما أن ثواب الصبر النصر، وجزاء البطالة والتقاعس الذل والتسفل، كذلك ثواب السعي الغني، وثواب الثبات التغلب، مثلما أن نتيجة السم المرض، وعاقبة الترياق والدواء الشفاء والعافية. وتجتمع أحيانا أواصر الشريعتين معا في شيء.. فلكل جهة. فطاعة الأمر التكويني الذي هو حق، هذه الطاعة غالبة- لأنها طاعة لأمر إلهي – على عصيان هذا الأمر بالمقابل، لأن العصيان- لأي أمر تكويني - يندرج في الباطل ويصبح جزءا منه، فإذا ما أصبح وسيلة لباطل فسينتصر على باطل أصبح وسيلة لحق، وتظهر النتيجة: حق مغلوب أمام باطل! ولكن ليس مغلوبا لذاته وإنما بوسيلته. إذن فالحق يعلو، يعلو بالذات، والعقبى هي المرادة- فليس العلو قاصرا في الدنيا- إلا أن التقيد والأخذ بحيثيات الحق مقصود ولابد منه"[٢٦].

إن سعيد النورسي يؤمن أن الكلام ثمرة، فيجب ألا تقطف إلا بعد نضجها، ويؤمن أن الكلام النافع هو الذي أشبع حكمة وعلما، لذلك كان كثير الصمت فإذا نطق نطق بالحكمة، وإذا كتب اقتصد في الكلام وأصاب المقصود، شعاره في ذلك: تقليل الحز وتطبيق المفصل. وكما تميز كلامه بالجامعية والاقتصاد، فقد تميز أيضا – تبعا لذلك- بالقصد، فليس في رسائله كلمة إلا وهو يقصد معناها، وليس فيها جملة ولا فقرة إلا وقد أوردها لمقصد شريف، فلا وجود لشيء من الكلام في رسائله من غير قصد، ومن ثم جاء كلامه في رسائله جامعا قاصدا مقتصدا.

٢- العفوية :

إن من خصائص كلام رسائل النور وملامح جماله: إرساله على سجية عفوا دون تكلف أو تصنع، ودون تنميقه وترصيعه بالمحسنات والبديعيات إلا ما جاء من ذلك عفوا أيضا، وهذا كان مقصودا عند النورسي، لإيمانه بأن الكلام الحسن والخطاب الجميل هو الذي يرسل على سجيته وعفويته، والمتعود على هذا النحو من الكلام ناجح في كتابته، وقادر على أن يكون

---

[٢٦] من الكلمات انظر: بديع الزمان النورسي: نظرة عامة عن حياته وآثاره لإحسان قاسم الصالحي. ص: ٢٤٦-٢٤٧-٢٤٨

غنيا فيها، ولا أدل على ذلك من غنى رسائل النور، فإن من أسباب غناها: هذه الصفة الجيدة- العفوية- التي كان يدعو إليها النورسي ويحب طلابها ولأجلها مدح اثنين من طلابه وأدرج ما كتباه في الرسائل في صدر كتاب الملاحق، وعلل ذلك بخمسة أسباب، جاء في السبب الثـــاني منها قوله:

" هذان الأخوان المحترمان لم يكونا على علم من أن هذه الفقرات ستنشـــر، وإن عـــدم معرفتهما هذا جعلهما بعيدين عن التكلف والتصنع، فجاءت كتاباتهم في غاية الإخلاص، تلك التي تعبر عما تتحسسه مشاعرهم وأرواحهم من مراتب الذوق تجاه الرسائل، وتبين في الوقت نفسه أشواقهم نحو الحقائق الإيمانية، لذا ليس إعجابهم وتقديرهم من قبيل التقاريظ المعروفة، بل هو تعبير صادق لا مبالغة فيه عما لمسوها من حقيقة وذاقوها فعلا."[٢٧].

ورسائل النور كلها جاءت على عفوية صاحبها، وحررت على سجيته، ونبعـــت مـــن فطرته، فكان ذلك مظهرا من مظاهر جمالها، وملمحا من ملامح حسنها وبهائها.

٣- التشخيص والتمثيل :

لقد اهتم النورسي في رسائله غاية الاهتمام بإبراز المعنى وإبلاغه للمتلقي ولم يأل جهدا في السعي إلى أن يحصل بها الإفهام والتفهم، ويتحقق بها البيان والتبيين، وكان من أهم أدواته في ذلك تشخيصه المعاني، وإقباله على التصويرات القوية، والتشبيهات البليغة الفطرية، والتمثيلات العالية، التي يتقرب بها المعنى، ويتجلى بها المراد ويوصل معها إلى المطلوب، ويدرك المقصـــود. انظر إليه — مثلا- وهو يسكب إليك هذا العذب الزلال:

" إن قلت إن في القرآن الموجز المعجز أشياء مكررة تكرارا كثيرا في الظاهر، كالبســـملة، و"فبأي آلاء" الخ و"ويل يومئذ" الخ، وقصة موسى وأمثالها، مع أن التكرار يمل وينافي البلاغة.

قيل لك: "ما كل ما يتلألأ يحرق"، فإن التكرار قد يمل لا مطلقا، بل قد يستحسن وقـــد يسأم، فكما أن في غذاء الإنسان ما هو قوت كلما تكرر حلا وكان آنس، وما هو تفكه إن تكرر مل، وإن تجدد استلذ، كذلك في الكلام ما هو حقيقة وقوت وقوة للأفكـــار وغـــذاء للأرواح، كلما استعيد استحسن واستؤنس بمألوفه كضياء الشمس، وفيه ما هو من قبيل الزينة

---

[٢٧] (الملاحق: ملحق بارلاص: ١٣)

والتفكه، لذته في تجدد صورته وتلون لباسه.. إذا عرفت هذا فاعلم أنه كما أن القرآن بمجموعه قوت وقوة للقلوب لا يمل على التكرار بل يستحلى على الإكثار منه، كذلك في القرآن ما هو روح لذلك القوت كلما تكرر تلألأ وفارت أشعة الحق والحقيقة من أطرافه، وفي ذلك البعض ما هو أس الأساس والعقدة الحياتية والنور المتجسد بجسد سرمدي كبسم الله الرحمن الرحيم. فبهذا شاور مذاقك إن كنت ذا مذاق " [٢٨]

٤- التأثير :

وهو من أبرز ملامح الجمال في رسائل النور، لأن قارئها إذا أقبل عليها بإخلاص وانكب عليها بصدق، لابد أن يتأثر بها غاية التأثر، ويصحبه التأثر في كل فقرة من فقراتها، وبقدر ما كان من حسن إقباله عليها تجدد تأثره بها وقوي في نفسه، وجذبه إليها بقوة، وأحدث له في قلبه شغفا بها، وأورثه حبها والتجاوب معها. ولا ينبئك مثل خبير.

٥ و ٦- الدقة والعمق:

إن المتأمل في رسائل النور لابد أن يقف فيها على هاتين الصفتين، لابد أن يقف فيها على دقة التصوير، ودقة العرض، ودقة التناول والتحليل، ودقة الاستنتاج، ودقة الحوار، ودقة التأصيل، ودقة التفريع، كما أن المتأمل فيها لابد أن يقف على عمق معانيها، وعمق إشاراتها، وعمق مقاصدها، وعمق تقريراتها، وعمق قواعدها وجزئياتها، وعمق معانيها، وعمق إشاراتها، وعمق مقاصدها، وعمق تقريراتها، وعمق قواعدها وجزئياتها، وعمق تعليلاتها وتدليلاتها، وعمق أمثالها وتشبيهاتها، وعمق سائر مضامينها ومداليلها. فرسائل النور قوامها الدقة، وعمدتها العمق في كل وحدة من وحداتها وفي كل جزء من أجزائها، ومنشأ ذلك من عمق فكر النورسي ودقة تصوره واستيعابه، ونباهته وفطانته التي اكتسبها من صدقه وإخلاصه في علمه وعمله. ومرده أيضا إلى طول عكوفه على القرآن الكريم، فمنه تعلم هذه الدقة والعمق وغيرهما. انظر إليه — مثلا- وهو يأخذ بيدك إلى تلمس معاني القرآن والوعي بدلالة آياته وأخذ ذلك بجدية والتفطن في كل آية من آياته إلى ما تحمله من معنى عميق، ومبنى دقيق، يقول:

---

[٢٨] إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ص: ٣٩

" إن الشارع سبحانه وتعالى قد وضع سكته وختمه المعتمد على كل من أحكام الشرع، ولابد من قراءة تلك السكة والختم، فذلك الحكم مستغن عن كل شيء سوى قيمته وسكته، فهو في غنى عن تزيين وتصرف الذين يلهثون وراء المبالغين والمغالين والمنمقين للفظ، ولــيعلم هؤلاء الذين يطلقون الكلام جزافا كم يكونون ممقوتين في نظر الحقيقة في نصحهم الآخرين. فمثلا لم يكتف أحدهم بالزجر الشرعي لتنفير الناس عن المسكرات فقال كلاما أمام جمع غفير من الناس أخجل من كتابته وقد شطبته بعد كتابته.. "[٢٩].

فتأمل كلامه المشرق كيف قرر فيه أن البعد عن الدقة والعمق وتجافي الجديــة، وبــلادة الحس، وبرودة الوعي والإدراك، كل ذلك يورث المبالغة والغلو في الكلام وفقدان مصـــداقيته وقيمة دلالته.

٧- الشمولية :

فقارئ رسائل النور يحس أنه في حديقة غناء وأنه في روض أنف، يتنقل بــين أزهـــاره ووروده، يقتطف من ألوان ثماره، ويستنشق عبير رحيقه، لا يستقر في فكره إشكال معرفي إلا وجد توضيحه فيها، ولا يتلجلج في صدره سؤال علمي إلا وجد جوابه فيها، ولا يستصـــعب مسألة إيمانية أو تربوية إلا وجد تقريبها وتيسيرها فيها. فهي رسائل شمولية العطـــاء، متنوعـــة المعارف، مختلفة الفوائد، فيها أصول وفروع، وكليات وجزئيات، وقواعد وضوابط، وفيهـــا كنوز علمية، ومغانم معرفية، وأضواء ثقافية، وقطوف شهية، وروائح ذكية، وقــد اســتمد صاحبها شموليتها هذه من القرآن الكريم، وتعلمها من منهجه الفريد وطريقته الفذة، ومنحـــاه المعجز في عرض الدروس والعظات، وتقديم الأحكام والحكم، والمقاصد والعلل، ففي القـــرآن الكريم كل ما تطمح إليه النفس المطمئنة من كمالات، ويسمو إليه الفكر الراشد من توجيهات وإرشادات، فيه علم وتربية، ومعرفة وموعظة، فيه قصص وأمثال وحكـــم، وفيـــه ترغيـــب وترهيب، ووعد ووعيد، وفيه ما يزكي النفس، ويصلح القلب ويطهر الروح ويقيم البدن {**مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ**} (الأنعام :٣٨) فمن هذه الشمولية القرآنية المعجـــزة، اقتـــبس النورسي شمولية رسائله.

---

[٢٩] صيقل الإسلام: محاكمات عقلية ص: ٤٧

٨- النفع والفائدة:

من مظاهر جمال رسائل النور: انك إذا أعطيتها من فكرك ووعيك، وركزت النظر فيها والاستبصار في محتوياتها خرجت منها بنفع عظيم، وخير عميم، ينعكس على قلبك وفكرك، وفصلت عنها بكثير الفائدة، وغزير العائدة، في العلم والمعرفة والتربية وفقه الدعوة وكيفية صياغة الأنفس على الإيمان والربانية والقرآنية.

٩- الواقعية والعملية :

إن رسائل النور ليست فلسفية محضة، ولا نظرية صرفة، ولا تجريدية خالصة، ولا هي موغلة في الصوفية الخيالية السلبية، بل هي رسائل حية، مليئة بالحرارة الإيمانية والطاقة العلمية، حافلة بالمادة المعرفية المشبعة، محركة للمشاعر، مؤثرة في العقل والقلب، موجهة لقارئها نحو الرشاد، وآخذة بيده إلى التي هي أقوم. وإنما جاءت كذلك لأن خطابها واقعي، ومضمونها عملي، ومنهجها تطبيقي، صالح للتنزل، وهي مستمدة ذلك أيضا من القرآن الكريم الذي كل ما فيه من المعاني والأحكام والقيم إنما جاء لينزل على واقع الناس ويطبق في حياتهم، ويلتزم به في أمورهم كلها.

١٠- التدرج والتنويع في الكلام:

هذا مظهر آخر من مظاهر الجمال في رسائل النور، وهو أنك تجد مضامينها تعرض بوجوه كثيرة، وأساليب مختلفة، ليحصل الإدراك، ويقع الفهم، ويتحقق عند القارئ فقه معانيها وأسرارها، فكثيرا ما يبتدئ الكلام فيها بفقرات تبدو غامضة صعبة المنال عسيرة التحصيل، ثم يعقب ذلك تدرج في الكلام وتنويع في معاقده، وانتقال فيه من المجمل على المفصل، ومن المجرد إلى المشخص الممثل، ومن البعيد إلى القريب، ومن الممتنع إلى السهل، حتى ينتهي إلى تفهمه وتبيينه ويصل إلى حيز الإدراك والتحصيل، فيشعر القارئ بعد ذلك بلذة لا مثيل لها، ونشوة لا نظير لها، فانظر- مثلا- إلى صاحب الرسائل وهو يتحدث عن الثمرة الأولى من المقام الأول من الشعاع الثاني:

" إن الجمال الإلهي والكمال الرباني يظهران في التوحيد وفي الوحدانية، ولولا التوحيد لظل ذلك الكنز الأزلي مخفيا. نعم إن الجمال الإلهي وكماله الذي لا يحد، والحسن الرباني ومحاسنه

التي لا نهاية لها، والبهاء الرحماني وآلاءه التي لا تعد ولا تحصى، والكمال الصمداني وجماله الذي لا منتهى له، لا يشاهد إلا في مرآة التوحيد، بوساطة التوحيد ونور تجليات الأسماء الإلهية المتمركزة في ملامح الجزئيات الموجودة في أقصى نهايات شجرة الكائنات. فمثلا: إن إرسال اللبن الخالص السائغ إلى رضيع صغير لا يملك صولا ولا قوة، ومن حيث لا يحتسب، من بين فرث ودم، فعل جزئي، هذا الفعل الجزئي ما إن ينظر إليه بنظر التوحيد يظهر الجمال السرمدي لرحمة الرحمن بأبهى كماله وبأجلى سطوعه في إعاشة جميع الصغار في العالم، إعاشة خارقة، وفي إحاطتهم بمنتهى الشفقة والحنان، بتسخير والدتهم لهم، ولكن هذا الفعل – فعل إرسال اللبن– إن لم ينظر إليه بنظر التوحيد لاختفى ذلك الجمال الباهر كليا، ولما ظهر قطعا، إذ تحال تلك الإعاشة الجزئية كذلك إلى الأسباب والمصادفة والطبيعة، فتفقد قيمتها كليا، بل تفقد ماهيتها. ومثلا : ما ينظر إلى الشفاء من مرض عضال بنظر التوحيد، يتجلى جمال شفقة الرحيم تجليا باهرا كاملا على وجه إحسان الشفاء إلى جميع المرضى الراقدين في المستشفى الكبير المسمى بالأرض، وإسعافهم بأدوية ناجعة، وإغاثتهم بعلاجات شافية تؤخذ من الصيدلية العظمى المسماة بالعالم، ولكن هذا الفعل الجزئي – منحه الشفاء– المتسم بالعلم والبصيرة والشعور، إن لم ينظر إليه بنظر التوحيد فإن الشفاء يسند إلى خاصيات الأدوية الجامدة، وإلى القوة العمياء والطبيعة الصماء، فتفقد تلك المنحة الرحمانية ماهيتها وحكمتها وقيمتها كليا " [٣٠]

فهذه أيضا عشرة كاملة أخرى من ملامح الجمال ومظاهر الحسن والبهاء في رسائل النور.

خاتمة:

ومن خلال هذه الملامح وأصولها السابقة يتضح لنا أن رسائل النور قائمة في مضمونها على الجمال، ومنبنية في محتواها على الحسن والبهاء، وأنها قد اكتسبت ذلك من جمال القرآن وبهاء الإيمان ورونق الهدى. وهذا يؤكد ما قررناه سابقا من أنها مؤسسة على الرسالية والنورية، فنوريتها جمال، ورساليتها جلال.

---

[٣٠] الشعاعات ص: ٨

فيا هذا أقبل على هذه الرسائل فهي لسان صدق في الآخرين، واقتبس من أنوارها فهـــي وضاءة لألأة، واغترف من معينها فهي فياضة رقراقة. أقبل على هذه الرسائل واســـتمد مـــن نورها الذي أوقده محررها بفتيل قلبه وزيت دمه.

رســـائل نور أشرقت برحابيـــــــــا	وأعلنت كيـــاني في عنان سمائيـــا
أمدت شعوري بالجلال ، وجـــذوة	من النـــور لألاء أزاح ظلاميـــا
وغذت فؤادي بالجمــــال مرقرقــــــا	فآثاره في الفكر يجلو الدياجيـــا
وتنفي قبيح القول والفعل بالهـــــــدى	ونور محياها فيـــرتد راقيـــا
وأذكت بروحي رفعة وكرامـــــــة	ترقت بها نحو السماء حيانيـــا
سقتني بأكواب الشفاء رضابهـــــــا	فطهرت اسقامي بعذب دوائيـــا
أفاضت بفكري من بديع كنـــزهـــا	فصار قويا بعد ما كان واهيـــا
وأضحى لساني شاديا بنشيدهـــــــــا	و لم يك من قبل الرسائل شاديـــا
وأيقنت أن النور من جنباتـــهـــا	يشع على الآفاق يسطع هاديـــا
وينفذ للأعماق يودع ســــــــره	لديها ، فتنساب المعاني سواقيـــا
رسائل نور قد أحطت بساحتـــــي	فأحيت مواتي واستطبت هوائـــيـــا
فطوبى لمذكيها بديع زمانــــــه	وأزكى تحيات تفوح غواليـــا

ççç

الجمال والجميل في القرآن الكريم
من خلال رسائل النور

ذ.نوزاد صواش
مركز الدراسات الأكاديمية
استانبول

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

حضرات الأساتذة الكرام والعلماء الأفاضل والاخوة الأعزاء والأخوات الفاضلات، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

"ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر..." هكذا يصف الحديث الشريف جمال الجنة.

فالعين لا يطربها شيء كما يطربها أن تكون كأسا مترعة بلمحات من الجمال، يستقي منها كل ما في الكيان البشري من حرقة وعطش. وكذلك الأذن، فإنها الوتر الحساس الذي لا يهتز إلا بجمال اللمسات الصوتية الحانية التي تنساب منها إلى عروق الإنسان وأعصابه، فتفعل فيه الأعاجيب.

وأما خطرات القلب ورؤى الخيال فهي مهما علَتْ وسَمَتْ وتخيلت ومَثَّلتْ وصوَّرت، فهي دون حقيقة خطرات القلب وخيالات الروح عندما يضع الإنسان أولى خطواته على أرض الجنة.

والجمال – كما يؤكد النورسي– صدق كلُّه، وحق كله. فالجمال لا يعرف الكذب، لأنه ما من شيء عنده يريد إخفاءه، ويقبُح الشيء ويزداد قبحه بمقدار بعده عن الصدق وتماديه في الباطل.

فالزهرة الجميلة لا تكذب ولا تعرف الكذب، إنها الحقيقة العارية المجردة عن كل ما يخدش صدقها. وصوت العندليب لا تجد فيه نبرة منكرة، لأنه يعبر عن عشق قلب صادق لا يرائي ولا يداري. فكما أن الفطرة في الإنسان لا تكذب –كما يقول النورسي– فالطبيعة كذلك لا تكذب، والكون من فوقنا لا يكذب. فأينما تجد جمالا تجد إلى جانبه حقا وصدقا.

وكل جميل فهو بليغ في الإفصاح عن جماله. فتمام الإفصاح هو تمام الجمال، وكل جميل ينقص من جماله بمقدار ما فيه من قصور عن الإفصاح. ولغة الجمال هي لغة الفضاءات اللانهائية، تأخذ الإنسان – إذا عرف كيف يفهمها– إلى أمداءَ غايةٍ في البعد، وربما جاوزت فضاءات العقل والمنطق، غير أنها تظل في معية الفطرة المدركة التي لا يخطئ حدسها. أما أصحاب العرَج الروحي فإنهم قلما يستطيعون اللحاق بأصحاب الأرواح السليمة في تجوالهم مع الجمال في أمدائه البعيدة.

ولغة الجمال لغة مقتصدة ومقتضبة، لا تزيد عن لمحة، وخطفة، وإيماءة، ولمعة. إنه لا يسرف ولا يستطرد ولا يثرثر، ولا يقول فضولا من القول لا يغني ولا يجدي.

لمحة، لكنها تطوي في ملمحها عوالم لا تخطر على بال...

وخطفة، ولكن في هذه الخطفة تتلاقى التخوم، وتتجاور العوالم وتتصالح المتناقضات...

وإيماءة، تتساقط من حولها الحجب، وتتمزق في إشاراتها الأستار...

ولمعة، تسطع فيها كل شموس العقل، وتتألق في التماعها كل أقمار الروح...

ألا إن مصدر كل جمال هو الجميل المتعال... وما أجمل كلام الأستاذ النورسي حين يقول:

"نعم! إن كانت الجنة الباهرة الرائعة مع جميع مظاهر حسنها وروعتها هي تجلٍ من تجليات جماله سبحانه وإنّ رؤيةَ أهل الجنة جماله تعالى لساعة من زمان يُنسيهم حتى

تلك الجنة الجميلة، فلا شك أن هذا الجمال السرمدي لا نهاية له، ولاشـــبيه لـــه، ولانظير له، ولامثيل له قطعاً."[٣١]

والجمال حسب رؤية النورسي ليس على لون واحد، إنما آلاف الأنواع والألـــوان طبقـــا للتنوع اللانهائي بين الموجودات:

"فمثلاً: الجمال الذي تحسّ به العين لا يشبه حتماً الجمال الذي تحس به الأذن. وإن حسناً عقلياً يدركه العقل لا يشبه حسن الطعام الذي يحس به الفم ويتذوقه. كذلك الجمال الذي يستحسنه ويشعر به القلب والروح وسائر الحواس الظاهرة والباطنة... هذا الجمال مختلف كذلك كاختلاف تلك اللطائف والحواس.

ومثلاً: جمال الإيمان وجمال الحقيقة وحُسن النور وحُسن الزهرة، وجمـــال الـــروح وجمال الصورة وجمال الشفقة وجمال العدالة وحسن الرحمة وحسن الحكمة... كل نوع من أنواع هذا الجمال مختلف عن الآخر. كذلك جمال الأسماء الحسنى للجميل ذي الجلال، هذا الجمال الذي هو جمال مطلق يختلف بعضه عـــن بعـــض، لـــذلك اختلفت أنواع الحسن والجمال في الموجودات.

فإن شئت أن تشاهد جلوة من أنواع حسن أسماء الجميل ذي الجلال المتجلية علـــى مرايا الموجودات، فانظر بعين خيالية واسعة إلى سطح الأرض لتراها كحديقة صغيرة أمامك."[٣٢]

إن في الجمال سرا يجلّ عن إدراكنا، إنه شيء يسمو على العقل، ويعلو على الطبيعة، لم يسبر أحد غوره، أو يكشف سره. والقلب هو الساحة التي يتنـــــزل عليهـــا الجمـــال بأســـراره وغوامضه. وما بين الغموض والسحر والشعر وكل كلام جميل وبليغ سلكٌ خفي يربط بينها جميعا. ومن هنا قال بعض العرب الذين بهرهم القرآن لأول وهلة: "إنه سحر" وقال آخرون: "إنه شعر"، و لم يدركوا إلا بعد لأي أن هذا الذي حاروا في تسميته ما هو بكلام بشري حتى

---

(٣١) الشعاعات، ص ٨٩

(٣٢) الشعاعات، لبديع الزمان سعيد النورسي ص ٨٩-٩٠

يقولوا فيه ما قالوا، وإن المسألة ليست بمتعلقة بالذكاء البشري الزائل، بل بقضية الشمول الأبدي الذي يطوي الخلائق والعوالم.

وكما يؤكد الأستاذ بديع الزمان فروح الإنسان لا تطمئن إلا في رياض القرآن. فهي تسري في كلماته، وتنساب مع آياته، وهي تجد نفسها على حقيقتها في مرآة القرآن. كما أن مبعث "اللامرئي" من الجمال في أرجاء وجودنا إنما هو القرآن، الذي لا يفتأ يحلل أرواحنا، وينقب في طبقات نفوسنا المطمورة تحت "اللاشعور الفطري"، فينزع عنها الأطمار ثم يستفزها لكي تخوض غمار المبهمات، واكتشافِ الغامضات حيثما وجدت. فالقرآن يطلق القوى الخفية في نفس الإنسان، وحين تنفذ أشعته إلى الروح فإنها ستستعيد صحتها، وتتملك قوتها، وتبدأ أشواقها إلى خالقها تتعالى. وإلى هذا يشير النورسي حيث يقول "لقد جُبِل هذا الإنسان على محبةٍ غير متناهية لخالق الكون، وذلك لأن الفطرة البشرية تُكِنّ حبا للجمال وودا للكمال، وافتتانا للإحسان. وتتزايد تلك المحبة بحسب درجات الجمال والكمال والإحسان حتى تصل إلى أقصى درجات العشق ومنتهاه."[٣٣]

إن القلب البشري مخلوق لكي يظل مواجا بأعظم الأشواق التي تبلغ عظمتها عظم الكون نفسه، "نعم إن في القلب الصغير لهذا الإنسان الصغير يستقر عشق كبير بكبر الكون. إن قلب الإنسان يمكنه أن يضم الكون ويستطيع أن يحمل حبا بضخامة الكون".[٣٤]

إن الشحن الذي ينبعث من القلب المتصل بالقرآن يمكن أن يهز العالم، لا بل يجعل الأموات تختلج في أكفانها. فما من شجن على وجه الأرض إلا وهو مجرد صدى لشجن القرآن، إنه حنين الكلام لرب الكلام. والأستاذ النورسي يقول:

"فما دامت الفطرة البشرية تملك استعدادا غير محدود للمحبة تجاه الإحسان والجمال والكمال... وإن لخالق الكون جمالا مقدسا غير متناه، ثبوته محقق بداهة بآثاره الظاهرة في الكائنات... وإن له كمالا مقدسا لا حدود له، ثبوته محقق ضرورة بنقوش صفته الظاهرة في هذه الموجودات... وإن له إحسانا غيرَ محدود ثابتَ الوجود

---

[٣٣] انظر: التلويحات التسعة لبديع الزمان سعيد النورسي

[٣٤] انظر المصدر نفسه.

يقينا، يمكن لمسه ومشاهدته ضمن إنعامه وآلائه الظاهرة في جميع الأحياء... فلا بد أنه سبحانه يطلب محبة لا حدّ لها من الإنسان الذي هو أجمعُ ذوي الشعور صفة، وأكثرهم حاجة، وأعظمهم تفكرا، وأشدهم شوقا إليه".(٣٥)

وكثيرون هم الذين قرأوا النورسي في تركيا وتأثروا به، واتخذوا من منحاه الفكري والأدبي طريقا للدعوة والتبليغ والإبداع. ولا يسعنا في هذا البحث الوجيز أن نتطرق إلى جميعهم، لذا نقتصر على الأستاذ فتح الله كولن لما يكنّ له الشعب التركي من محبة كبيرة، ولما يمتاز من شعبية واسعة في الساحة الفكرية والثقافية والدعوية في تركيا، ولكونه واحدا من أبرز من اعتمد فكر النورسي هاديا له في العمل الفكري والدعوي والتربوي.

فهو يؤكد قائلا:

"إننا لن نفهم النورسي إن اقتربنا منه ومن أفكاره بأسلوب عاطفي بحت. فمثل هذا الأسلوب لن يكون جاداً في فهم المسائل التي طرحها ودافع عنها طوال حياته دفاع الأبطال. فقد عاش حياته كلها في ظل الكتاب والسنة محلقاً بأجنحة المنطق والتجربة. ومع عمق عالمه العاطفي، وقلبه المشبوب بالعشق الإلهي فقد ظل على الدوام رجل عقل ومنطق."(٣٦)

والأستاذ فتح الله الذي تشبع بفكر النورسي بما يملك من عقل كبير وحس مرهف وروح خصب استطاع أن يشرع في إتمام ما بناه الرجل، غير أنه جسّم أفكاره إلى واقع معيش، فأودعها كتابا ومدرسة ومؤسسة وصحفا ومجلات، وانداح بالدعوة إلى آفاق أكثر علوا، وأوسع رحابة، وأوصلها إلى أصقاع لم تكن تدري ما الإيمان وما الإسلام.

وهو ما ينفك يؤكد على أن ما نحتاج إليه لتجديد العالم لم يكن العنف مطلقا، بل هو فعل ثقافي وروحي عظيمين. إنه ثورة نفس وانبعاث روح واشتعال عقل. إن تغيير الداخل هو خطوة أولى في سبيل تغيير عالمنا وتغيير كل عالم من حولنا. ويقول في هذا الصدد:

---

(٣٥) أنظر المصدر نفسه.

(٣٦) ونحن نقيم صرح الروح، م. فتح الله كولن، ص ٨٠، دار النيل للطباعة والنشر

"إن الهمم الفكرية والتخطيطية والفنية تولد ابتداء في ذات الإنسان، ثم تتشكل صورها، ثم تتوسع وتنبسط إن وجدت المناخ الملائم للنمو والتطور. وكذلك أيضا العبادات والأخلاق والحياة الروحية والثقافية والمناسبات البشرية الأخرى كافة... يُستَشْعَرُ بها بدايةً في عمق الإنسان إيمانا وإذعانا، ثم تنمو لتحيط بالحياة كلاً، وتسربل بصبغتها التصرفاتِ البشريةَ كافة، فتكونَ معيِّنا وموجِّها أساسيا لكل همة وحملة وحركة".[٣٧]

ويكاد الأستاذ فتح الله ينفرد من بين الدعاة بتوكيده على ضرورة الأدب والفن في رَفْدِ الدعوة، وبكونهما قادرين على النفاذ إلى وجدان الناس ومخاطبة قلوبهم ومشاعرهم، وتشكيل جماليات وجداناتهم، بحيث يتلقون فكر الدعوة هينا سهلا ينساب إلى دواخلهم من منافذ الروح والحس والشعور دون صعوبة أو عنت. فالأدب والفن في مفهومه الدعوي جانب مهم من جوانب أي تشكيل حضاري يمكن إنجازه في مستقبل قريب أو بعيد، فيقول:

"أقول عن الفن الإسلامي إنه يحتوي رحابا واسعة فريدة بتجربة التلوين في فلك التجريد. فهو إذ يؤكد على التوحيد، يتخذ موقفا بينا ضد التشبيه والتجسيم... يريد أن يصور بحرا في قطرة، وشمسا في ذرة وكتابا في كلمة ."

إن الذين يشعرون بأنهم فقدوا اتجاههم الصحيح في الحياة، يمتلكهم فزع مريع غامض ربما شلّ قواهم الجسمانية والفكرية. وفي كثير من الأحيان يشعرون بنكران شديد لأنفسهم. ولو حاولنا أن ننفذ بدعوتنا إلى أعماق أرواحهم لصادفتنا مصاعب عظيمة، وربما جانبنا النجاح. ولكن "الإيمان الفني" إذا صح التعبير أو "الأدب الإيماني" يمكنهما أن يساعدانا كثيرا على فتح أقفال هذه القلوب الحائرة. ومن هنا جاءت ضرورة فهم نظريات الشيخ في الأدب والفن الإسلاميين، والتي تعود في جذورها إلى فكر الأستاذ النورسي، فهو يقول:

"ذلك لأن الإيمان يوجِد روحا فنية مكينة في الأرواح المتفتحة على الجمال يدعو إلى العَجَب والانبهار. نعم إن الفنان المؤمن يصل إلى الماهية المجردة في منشور الوجود اللانهائي، ويرسم ألوان الأبدية بنقوش وخطوط عديدة على اللوحة بضربة فرشاة من

---

[٣٧] ونحن نبني حضارتنا، ص ٦٥

غير تعب أو رهق... حتى إن الناظر يحسب نفسه أمام أنموذج مصغر للوجود في كل تأمل في اللوحة الفنية، فتأخذه نشوة مطالعة اللانهاية في المعطيات المحدودة"[٣٨]

إلى أن يقول:

"الفن الإسلامي حسب فهمنا ليس ثورة على الفن الذاتي (subjective) أو الموضوعي (objective) أو إعلانا وتشهيرا للمهارات... بل صهرا لما يشاهَد ويستشعر من روح ومعنى بين الأشياء والحوادث... صهرا لها في بوتقة القلب والحس والشعور، والتعبير عنها بلغة القلب والحس والشعور... والإشارة — من ثم – على الدوام إلى الموجود الذي ليس كمثله شيء سبحانه، وفي مرونة تُشعِر بالحقيقة الواحدة الثابتة المطلوب فهمُها، ولكن ببعد جديد مختلِفٍ في كل نظرة وتطلع، مع إبراز الوحدة في الكثرة، والكثرة في الوحدة بخطوط سحرية في هذا الإطار وفيما يتجاوز كل إطار."[٣٩]

والأستاذ فتح الله — شأنه في ذلك شأن الأستاذ النورسي – يرى في العمل الفني أو الأدبي علاقة جدلية بين حرية الروح في انطلاقاتها، وبين سدود وقيود العالم المشهود. وإن شوقه الأبدي لمعرفة ذاته وموقعها من الكون والوجود ومن الله تعالى هو مبعث أعمال الإنسان الأدبية والفنية. إنه نوع من أنواع التفجر في العبقرية الروحية وانهمارِ ينابيعها في عمل إبداعي جمالي يأخذ بمجامع القلوب، ويشدها إلى الله لكي تزداد فهما وتتسع إدراكا.

وأيّ كلام يصوغه القلب لا يمكن أن ينغلق دونه أي قلب. ولأن الإنسان عنصر روحي فإن أي قلم يمتح من الروح لابد وأن يجد في الإنسان مكانا يستقر فيه. وهذا هو ما يسعى إليه كل صاحب دعوة.

وأخيراً أختم بحثي بكلمات للأستاذ فتح الله كولن يلخص فيها شخصية النورسي الفريدة حيث يقول:

---

[٣٨] ونحن نبني حضارتنا، ص ٦٦

[٣٩] المصدر نفسه، ص ٦٦-٦٧

"إن العبقري لا يَختار"، إن الداهية لا يقول هل أعملُ هذا أو ذاك، لأن العبقري يملك موهبة إلهية وقوة دافعة ذاتية يستطيع بها معرفة واستيعاب كل المشاكل الظاهرة والباطنة، الفردية والاجتماعية بصورة عفوية، ويتصدى بطاقة متعددة المواهب لحمل ما ينبغي حمله مهما كان ثقيلا ومعقدا بكل سهولة. فهو بهذه الأوصاف شخص خارق بطبيعته وفطرته. والذين درسوا شخصية بديع الزمان والكتب التي تركها وراءه يرون اجتماع جميع عناصر العبقرية وصفاتها فيه... اعتباراً من سنوات شبابه التي ألف فيها كتبه الأولى والتي تعد من أولى علامات عبقريته، ووصولاً إلى كتبه في مرحلة النضوج والتكامل والتي قضاها في المحاكم والسجون والمنفى.[٤٠]

رحم الله أستاذنا النورسي الذي أهدى إلينا ميراثا عظيما كرسائل النور، وأجزل مثوبته، ورفع مقامه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أشكركم لحسن الإصغاء والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

[٤٠] ونحن نقيم صرح الروح، م. فتح الله كولن، ص ٩٠

نحو نظرية إسلامية للجمال من خلال رسائل النور

لبديع الزمان سعيد النورسي

د. عبد الكريم عكيوي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
أكادير – المغرب

مسألة عظيمة القدر، جليلة الشأن، جميلة المعنى، بديعة المبنى، تستوقف كل من يطالع رسائل النور أو يتأمل في حياة مؤلفها بديع الزمان سعيد النورسي، هي أن حياة الإنسان على ظهر الأرض وكل أحواله فيها وجميع ما تقع عليه حواسه قد اكتسى حلل الجمال. فقد كان بديع الزمان النورسي لهجا بالجمال مولعا به، لا يرى إلا وجوهه ولا ينظر إلا إلى آثاره. فحيثما نظر حدثك عن الجمال، إن نظر في القرآن الكريم رأى الجمال وإن نظر في الكون لم يشاهد سوى الجمال. يحدثك عن الجمال حيثما كان، ويصف لك ما يجده من لذته في كل ما يعرض له من الأحوال التي تحف بالإنسان ولا يسلم منها كل حي على ظهر الأرض، حتى في حال البلاء وفي وسط المصيبة وفي خضم المحنة. وهذا ما أدخل الحيرة في قلوب خصومه وأعدائه، لأنهم أرادوا أن يذيقوه العذاب فلا يعرف معنى لما ظنوه جمالا، ولا يجد شيئا مما توهموه لذة. لكن الأمر قد اضطرب عليهم وهم يرون أنهم كلما ضيقوا على الرجل وأوقعوه في المحنة، لم يزده ذلك سوى قوة وجلدا، لأنه كان يجد اللذة في صميم العذاب ويرتشف الجمال من صلب المحنة. فمن ينظر بميزان الحقائق المادية يرى أن بديع الزمان النورسي ليس له قوة مادية، ولا مال له ولا إمارة ولا سلطان، وخصومه ملكوا كل ذلك ووضعوا أيديهم على خيرات الأرض والبلاد والعباد، فكيف يمكن لهذا الرجل أن يقاوم ذلك! إن مثل حال بديع الزمان النورسي – بميزان حقائق الشهوة الجسدية والنفسية والقوة المادية – يحمل على القلق والضجر، والتسليم والاستسلام لواقع الحال من غير مقاومة ولا مغالبة. فخصومه ما كانوا

يجدون صعوبة في تعذيبه وإذايته، ولهذا ذاق رحمه الله كل أنواع العذاب الدنيوي من الفقـــر والحاجة، والسجن والأسر وما يلازمهما من آلام فراق الأهل والأحبة، والنفي والإقامة تحت المراقبة والحراسة الدائمة. لكنه لم يكن يعبأ بمعاناة السجون ووحشة المنافي وغربتها وأحزانهـــا، بل كان يجد اللذة وهو في أحضان العذاب، فكان دائما يجدا جمالا ماثلا بين عينيه، وســـلوانا حاضرا بين جنبيه، ولذة غامرة في قلبه، تحجب كل ما يحف به من آلام الجسد بسبب المرض أو الغربة والنفي وغيرها من أنواع العذاب، وتنسيه كل عذاب يترل به. فلننظر إليه في موقف من مواقف الشدة والمحنة وقد حجب عن الناس، فنأى عن كل قريب وبعد عن كل مـــؤنس حبيب، مع أثقال الشيخوخة وآثار المرض، فيقول عن حاله:

" بينما كنت وحيدا بلا معين في " بارلا " تلك الناحية التابعة لمحافظة "إسبارطة" أعاني الأسر المعذب المسمى بالنفي، ممنوعا من الاختلاط بالناس، بل حتى المراسلة مع أي كان، فوق ما كنت فيه من المرض والشيخوخة والغربة، فبينما كنت أضطرب من هذه الحالة وأقاســـي الحزن المرير، إذا بنور مشع من الأسرار اللطيفة للقرآن الكريم ومن نكاته الدقيقة يتفضل الحق سبحانه به علي برحمته الواسعة الكاملة، فكنت أعمل جاهدا بذلك النور لتناسي ما أنا فيه من الحالة المؤلمة المحزنة، حتى استطعت نسيان بلدتي وأحبتي وأقاربي ". [٤١]

وتزيد محنته لما وصلته رسالة من أحد تلامذته الأوفياء وقد فارقه منذ سبع ســـنوات، ولا أحد منهما يعلم مكان الأخر، وقد أبكته هذه الرسالة كثيرا لما قرأ فيها أن تلميذه مازال وفيا له، وأن غاية أمنيته أن يعلم مكان أستاذه ليصل إليه ليقوم برعايته وخدمته، لكن أيدي الظلم حالت بينهما. ثم تزيد محنته بعد شهرين لما بلغه نبأ وفاة تلميذه هذا، وعن هذا قال رحمه الله:

" لقد هزني هذا الخبر هزا عنيفا... وأورثني حزنا شديدا وألما عميقا للفراق المؤلم، يفوق ما كنت أعانيه من ألم الأسر المعذب وألم الانفـــراد والغربـــة الموحشـــة، وألم الشـــيخوخة والمرض."[٤٢]

ثم يسترسل في بيان حاله فيقول:

---

[٤١] اللمعات ص ٣٧٣ .

[٤٢] نفسه ص ٣٧٤ .

" كنت أذهب وأسرح في وديان "بارلا" وأجول في جبالها وحيدا منفـــردا وأجلـــس في أماكن خالية منعزلة، حاملا تلك الهموم والآلام المحزنة... ولكن على حين غرة انكشف سر الآية الكريمة: {**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** }(القصص:٨٨) انكشافا بينا بحيث جعلني أردد : يا باقي أنت الباقي، يا باقي أنت الباقي... وبه أخـــذت الســـلوان الحقيقي. أجل لقد رأيت بسر هذه الآية الكريمة، وعبر تلك الوديان الخالية، ومع تلك الحالـــة المؤلمة، رأيتها على رأس ثلاث جنائز كبرى... الأولى: رأيت نفسي كشاهد قبر يضم خمســـا وخمسين سعيدا ماتوا ودفنوا في حياتي وضمن عمري الذي يناهز الخامسة وخمســـين ســـنة. الثانية: رأيت نفسي كالكائن الحي الصغير جدا – كالنملة – يدب على وجه هذا العصر الذي بمثابة شاهد قبر للجنازة العظمى لمن هم بنو جنسي ونوعي، والذين دفنوا في قبر الماضي منـــذ زمن آدم عليه السلام. وأما الثالثة: فقد تجسمت أمام خيالي– بسر هذه الآية الكريمة– مـــوت هذه الدنيا الضخمة، مثلما تموت دنيا سيارة من على وجه الدنيا كل سنة كما يموت الإنسان. وهكذا فقد أغاثني المعنى الإشاري للآية الكريمة: {**فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هـــو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم**} (التوبة ١٢٩) وأمدني بنور لا يخبو، فبدد كل مـــا كنت أعانيه من الحزن... لقد علمتني هذه الآية الكريمة أنه مادام الله سبحانه وتعالى موجودا فهو البديل عن كل شيء، وما دام باقيا فهو كاف عبده، حيث إن تجليا واحدا من تجليـــات عنايته سبحانه يعدل العالم كله، وإن تجليا من تجليات نوره العميم يمنح تلك الجنائز الـــثلاث حياة معنوية أيما حياة، بحيث تظهر أنها ليست جنائز، بل ممن أنهوا مهامهم ووظائفهم على هذه الأرض فارتحلوا إلى عالم آخر"[٤٣]

ثم يمضي محاولا الإفصاح عن هذا الجمال الذي وجده فيقول:

" ليرحل من يرحل يا إلهي فأنت الباقي وأنت الكافي، وما دمت باقيا فلتحل من تجليات رحمتك كاف لكل شيء يزول، وما دمت موجودا فكل شيء إذا موجود لمن يـــدرك معـــنى انتسابه إليك بالإيمان بوجودك ويتحرك على وفق ذلك الانتساب بسر الإسلام، فليس الفنـــاء والزوال ولا الموت والعدم إلا ستائر للتجديد، وإلا وسيلة للتجول في منازل مختلفة والسير فيها.

---

[٤٣] اللمعات ٣٧٥ – ٣٧٦ .

فانقلبت بهذا التفكير تلك الحالة الروحية المحرقة الحزينة، وتلك الحالة المظلمة المرعبة إلى حالة مسرة بهيجة ولذيذة، وإلى حالة منورة محبوبة مؤنسة. فأصبح لساني وقلبي بكل ذرة من ذرات جسمي يردد بلسان الحال قائلا: الحمد لله". [٤٤]

فانظر كيف تحول قبح العذاب وظلام الغربة والوحشة إلى جمال الأنس المعنوي والسمو الروحي.

وإذا كان إدراك الجمال عند عامة البشر هو التنعم بالمأكل والمشرب والمسكن والمركب والمنكح، والأنس بالأهل والأحبة، وسائر لذات الجسد وشهوات النفس، فإن بديع الزمان النورسي قد جرد من كل ذلك، فلم يتفنن في أكل الأطعمة اللذيذة المتنوعة، ولم يرتع في الملابس الفاخرة، ولا تنعم بما تحبه النفس البشرية من اللهو واللعب، بل جرد نفسه حتى من كثير من المباحات التي يحل من خلالها التمتع بزينة الحياة الدنيا ونعم الله فيها مثل نعمة الزواج . لكنه على رغم تجرده من ذلك كان لهجا بالجمال، فكان كلما تكلم تحس من كلامه أنه وجد جمالا غامرا، فيحاول الإفصاح عنه بكل ما أوتي من قوة على التعبير الجميل، فكان يفصح عن الجمال بالجمال. ومعنى هذا أن الجمال عنده أعظم من شهوة مادية ولذة عابرة، لأنه يشعر بالجمال ويدرك اللذة في حال انقطاع الأسباب المادية عنه بل وهو في حال الشدة ووسط المصيبة بحسب الميزان المادي ووفق الشهوة الجسدية. وليس ذلك لأنه لا يتألم للمصائب ولا لأنه لا يعبأ بالمحن – فهو بشر كالبشر- وإنما لأن كل ذلك عنده يجد له وجها من الجمال، فهو ينظر من منظار خاص ويعرف الجمال على معنى خاص ليس هو الذي ينصرف إليه عامة البشر بالنظر الظاهر العابر الذي لا يروم سوى الاستجابة لطلب لذة جسدية أو شهوة نفسية.

إن هذا الرجل قد عثر على معين الجمال وعرف حقيقته وموطنه، ووضع يده على أصله وعرف مراتبه وآثاره. فالجمال عنده على شكل نظرية – بالتعبير العلمي المعاصر- ومعناه أن الجمالية بناء شامخ كامل، له قواعده وأركانه التي يقوم عليها، وله أصوله التي ينطلق منها، وله فروعه وآثاره المترتبة على ذلك، فهي حلقات يشد بعضها برقاب بعض.

---

[٤٤] نفسه ص ٣٧٦ – ٣٧٧ .

الإنسان يطلب الجمال الخالد

وأول ما يحسن البدء به لبيان نظرية الجمال التي كان يصدر عنها بديع الزمان النورسي ويهتدي بها ويسير في ضوئها، بيان ما اهتدى إليه من خلال تأملاته في حياة الإنسان على ظهر الأرض وما فيه من خصائص، وما ركب فيه من غرائز وشهوات قوية. فمن الأمور التي استأثرت باهتمام النورسي وشغلت تفكيره ونظره، ما يجده الإنسان من القوى العنيفة التي تسوقه بالقوة نحو طلب اللذة والاستجابة للشهوات المادية، وكلما اجتهد في طلبها أحس بالحاجة إلى المزيد، فهي لا تقف عند حد. فلماذا لا يحقق الإنسان الارتواء ولا يصل إلى حد الاكتفاء كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : " لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ أُعْطِيَ وَادِيًا مَلْئًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ ثَانِيًا، وَلَوْ أُعْطِيَ ثَانِيًا أَحَبَّ إِلَيْهِ ثَالِثًا، ولا يَسُدُّ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إلا التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ * [٤٥] وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لا يَزَالُ قَلْبُ الْكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الْأَمَلِ *[٤٦] وهي إشارة عجيبة وتعبير جميل بليغ في بيان صيرورة الجسد إلى الهرم والضعف بسير الزمان وتقدم عمر الإنسان، لكن مع بقاء القوة والشباب في طلب اللذة والحرص على الجمال المادي. فالجسد يذهب في خط مستقيم نحو الموت والزوال، لكن النفس لا تفتر عن طلب الجمال المادي، فكيف يمكن للعجز أن يساير القوة ! فلا سبيل إذن على ظهر الأرض إلى كمال الجمال.

فالجمال الذي يدركه الإنسان في الدنيا ليس عين الجمال، وإنما شيء من الجمال بمنزلة قبس يسير وظل حقير لأنه لو كان عين الجمال لأحس الإنسان منه بالاكتفاء والشبع والاستغناء عن طلب المزيد. وإنما غاية ما يدركه من اللذة وأقصى ما يناله من الجمال لا يمكنه أبدا أن يدعي أنه قد بلغ منه تمام الغاية وحقق كمال اللذة، فهو بمنزلة عطشان يشرب من ماء أجاج، كلما شرب أحس بمزيد من الظمأ، فكأن الإنسان يبحث عن كمال لا يجده أبدا حتى يوارى التراب. ومعنى هذا أن قمة اللذة وكمال الجمال لا وجود له على ظهر الأرض، وأن كمال الجمال ليس من صفات الحياة الدنيا، وإنما الجمال الموجود في الدنيا قبس يسير من الجمال الكامل، وليس من جمال كامل إلا جمال الخالق العظيم عز وجل. فكل نقص يدل على

---

[٤٥] صحيح البخاري كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال.

[٤٦] صحيح البخاري كتاب الرقاق، باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر.

الكمال، ولما لم يجد الإنسان كمال الجمال في الحياة على ظهر الأرض، دل ذلك بداهة على أن كمال الجمال ليس من الدنيا، لأن الدنيا من الدنو وكمال الجمال لا يناسبه الدنو، إنما كمال الجمال يناسب كمال الجلال. فالإنسان مرشح إلى كمال اللذة عند رؤية الله تبارك وتعالى – وهو الجليل الجميل بالكمال والتمام – في الآخرة وإن لذة الدنيا إنما للتذكير وفتح الشهية إلى هذا النظر. فالإنسان يذهب من الأرض ويفارق الحياة الدنيا وهو أشد ما يكـون حريصـا عليها، لأنه لا يمكن أن يحس بالاكتفاء من اللذة والشبع الكامل التام من متعة الحياة. وهـذا دليل واضح وشاهد ناطق أن الإنسان مرشح لرؤية جمال غير الذي يراه في الدنيا، وأن جمـال الدنيا ولذتها ليست مقصودة لذاتها لأنها ليست لذة بذاتها، إنما جمال الدنيا ولذتها طريق يسلكه الإنسان إلى جمال آخر. فجميع الناس كما قال النورسي:

" يغادرون دور الضيافة (أي الحياة الدنيا) هذه بسرعة ويغيبون عنها بلا ارتواء من نور ذلك الجمال والكمال، بل قد لا يرون إلا ظلالا خافتة منه عبر لمحات سريعة. فالرحلـة إذن منطلقة إلى مشهد دائم خالد." (٤٧) ولأنه " نحن نشاهد رحلة كل شخص واختفاءه بسرعة في دار ضيافة الدنيا هذه، دون أن يستمتع بإحسان ذلك السخاء إلا نزرا يسيرا بما يفتح شـهيته فقط، ودون أن يرى من نور ذلك الجمال والكمال إلا لمحة خاطفة. إذن الرحلة منطلقة نحو متنـزهات خالدة ومشاهد أبدية." (٤٨)

وعبر بديع الزمان النورسي عن هذه الحقيقة أيضا بقوله :

" ... استعداد الإنسان غير المتناهي وآماله ورغباته غير المحصورة وأفكاره وتصوراته غير المحدودة وقوته الشهوية والغضبية غير المحددة. فنرى الإنسان يتأسف ويتأفف ويقول: ليـت كذا وكذا، حتى لو منح ملايين السنين من العمر وتمتع بلذائذ الدنيا وحكم حكما نافذا في كل شيء، وذلك بحكم اللاتناهية المغروزة في استعداده، فكأن عدم الرضا هذا يرمز ويشير إلى أن الإنسان مرشح للأبد، ومخلوق للسعادة الأبدية كي يتمكن من تحويل استعداده غير المحصور من طور القوة إلى طور الفعل في عالم غير متناه وغير محدود بحدوده وأوسع بكثير من عالمـه

(٤٧) المكتوبات ص ٥١ .

(٤٨) الكلمات ص ٧٢ .

هذا... إن هذه الدنيا... لا تسع كمالات الإنسانية، بل تحتاج تلـك الكمـالات إلى عـالم أرحب..." [٤٩]

فالحياة الدنيا إذن ليست موضعا لكمال الجمال، وإن تشوف الإنسان إلى الجمال في الدنيا إنما هو استعداد وترقب، وإثارة وتشويق، وتنبيه وتذكير.

كمال الجمال يقتضي البقاء وليس الزوال

ثم إن الجمال والزوال – عند بديع الزمان النورسي– ضدان لا يجتمعان، لأن الزوال قبح وشناعة، ولهذا كان الزوال والفناء أعظم مانع للإنسان في الدنيا مـن إدراك عـين الجمـال والاكتفاء من اللذة والنعيم. فالزوال — بالمنظور المادي الظاهر– عدو يترصد الإنسان في كل حين ليختطف منه أحبته من الأشخاص والأعيان وسائر اللذات. وهذا المعنى هو الذي عـبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم لما وصف الموت بهادم اللذات في قوله صلى الله عليه وسلم: "أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ ".[٥٠] فمادام الزوال موجودا في الحياة الدنيا فلا سبيل إلى إدراك كمال الجمال وتمام اللذة. فمن كان في النعمة واللذة فهو يعرف لا محالة أنها تفارقه وأنـه لا محالة مفارقها، وإن الخوف من زوال النعمة عذاب. فيتلخص من هذا كله أن الجمال الـذي يدرك في الدنيا إنما هو قبس يسير من جمال الله سبحانه وتعالى، فهو تعالى جميل جمالا كاملا، فأرسل في الكون جزء من ذلك الجمال وأعطى لخلقه ومخلوقاته قبسا منه.

وما يجده الإنسان في الحياة الدنيا من حب الجمال والحرص على اللذة والرغبة في المتعـة، إنما هو بحث عن كمال الجمال، فلما تعذر كمال الجمال في الدنيا– بسـبب قيـد الزمـان والمكان– بقي صور من الجمال وظلال منه، تدل الإنسان على كمال الجمال وتذكره به. فمن ظن أنه يصل إلى كمال الجمال في الحياة الدنيا فقد أخطأ التصور وطلب الأمر في غير موضعه، لأنه ظن ظل الجمال جمالا، وحسب وجدان الجمال في الدنيا والحال أن الارتواء من الجمال لا يكون إلا بالنظر إلى الجليل الجميل سبحانه وتعالى في الجنة التي هي دار جامعة لمعاني الجمال مع انتفاء الفناء والزوال. فحب البقاء في الإنسان إنما هو في أصله حب متوجه نحو الجليل الجميل، لكن لما كانت الدنيا موطن اختبار وتكليف فقد أخطأ كثير من البشر فتوجهوا بهذه المحبة إلى

---

[٤٩] صيقل الإسلام ص: ١٣٦-١٣٧.

[٥٠] الترمذي كتاب الزهد، باب ما ورد في ذكر الموت، وقَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.

بعض ظلال هذا الجمال. فالله سبحانه وتعالى هو صاحب الجمال المطلق، وما في الكون من جمال فهو أصله ومنه، فبداهة العقل تقتضي التوجه بالمحبة إلى صاحب الجمال، لكن من البشر من أحب ما في العالم من صور الجمال وظلاله، ونسي خالق العالم الذي حسنه وألبسه حلل الجمال، فأحبوا الخلق وزينته، ونسوا الخالق وجماله، فيعجبون بالشمس مثلا ويفتنون بجمالها، ويقولون ما أعظم الشمس وما أجملها، ونسوا أن يقولوا ما أعظم خلق الشمس وخالقها، وما أعظم جمال من جمل الشمس وحسنها. وقد عبر بديع الزمان النورسي عن هذا المعنى واهتدى إليه من خلال وقفة للتأمل في خواطر نفسه فقال رحمه الله :

" حينما جردني أرباب الدنيا من كل شي، وقعت في خمسة ألوان من الغربة... فرأيت أنه يسيطر علي عشق في منتهى القوة للبقاء، وتهيمن علي محبة شديدة للوجود، ويتحكم في شوق عظيم للحياة، مع ما يكمن في من عجز لا حد له، وفقر لا نهاية له. غير أن فناء مهولا مدهشا يطفئ ذلك البقاء ويزيله، فقلت مثلما قال الشاعر المحترق الفؤاد:

حكمة الإله تقضي فناء الجسد — والقلب تواق إلى الأبد

لهف نفسي من بلاء وكمد — حار لقمان في إيجاد الضمد

فطأطأت رأسي يائسا.. وإذا بالآية الكريمة "حسبنا الله ونعم الوكيل" تغيثني قائلة: إقرأني جيدا بتدبر وإمعان، فقرأتها بدوري خمسمائة مرة في كل يوم، فكلما كنت أتلوها كانت تكشف عن بعض من أنوارها وفيوضاتها، فرأيت منها بعين اليقين – وليس بعلم اليقين- ...أن ما في من عشق البقاء ليس متوجها إلى بقائي أنا، بل إلى وجود ذلك الكامل المطلق وإلى كماله وبقائه، وذلك لوجود ظل لتجل من تجليات اسم من أسماء الجليل والجميل المطلق ذي الكمال المطلق... إلا أن هذه المحبة الفطرية ضلت سبيلها وتاهت بسبب الغفلة، فتشبثت بالظل وعشقت بقاء المرآة " [51]

إن الإنسان يطلب اللذة بكل قواه وينجذب نحو الجمال، ولكن هيهات هيهات أن يقف عند حد، فهو في بحث مستمر عن الجمال ولو أنه لن يدرك كماله ومنتهاه لأن في نفسه قوة جاذبة تدفعه دفعا للبحث عن الجمال، ومادام ما يحصله في الحياة الدنيا لا يشفي غليله ولا يحقق

---

[51] اللمعات ص ٣٨٧ – ٣٨٨ .

مراده، فمعناه أن هذا الجمال ليس ينال في الدنيا وإنما الغاية الممكنة المرجوة تذوق نمـــاذج مـــن الجمال ورؤية ظلال منه وليس عينه وحقيقته، لأن عين الجمال وكماله لا يناسب مقام الدنيا التي من صفتها الزوال والفناء، وإنما كمال الجمال يقتضي البقاء وإنما البقاء في الدار الآخرة حيـــث جماع الجمال في الجنة وكماله ومنتهاه في النظر إلى وجه الخالق العظيم الجليل الجميل.

إنما في الكون من جمال إنما يفصح عن جمال خالقه عز وجل ويعرف به ويدل عليه، فمن كان محبا للجمال حقا متعلقا به، فليصرف محبته إلى الجمال المطلق.

تشوف الإنسان في الحياة الدنيا إلى وطنه الأصلي حيث كمال الجمال

مما يدل أيضا على أن الحياة الدنيا بحث عن كمال الجمال وسعي إليه وتدرج نحوه وليس إدراكه حقيقة، أن الإنسان أول ما وجد — وهو في صلب أبيه آدم- في الجنة وفيها من الجمال ما لا يخطر على بال بني آدم وهم على ظهر الأرض. وفي الجنة تلقى الإنسان أول اختبار في معيار الجمال وحقيقته، فكان الأولى به وهو في نعيم الجنة أن يتجه نحو السمو والعلو ليطلب لذة النظر إلى وجه الجليل الجميل، لكنه نسي بإغراء من عدو له عنيد، فاتجه نحو الأسفل استجابة لشهوة عابرة وابتغاء لذة زائلة، فاختار الهبوط على العلو فأهبط من الجنة إلى الأرض، أي من الأعلى إلى الأدنى. وخلد الذكر الحكيم هذا المشهد في قول الله تعالى: {**قلنا اهبطوا منها جميعا**} (البقرة: ٣٨) وقوله تعالى: {**قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو**} (الأعراف:٣٤). فاستعمل لفظ " الهبوط " ليفيد البون الشاسع بين المقامين، وإن الحياة على ظهر الأرض مترلة أدنى بالنسبة إلى الحياة في الجنة، وأن الحياة الدنيا توظيف وتكليف، وسعي إلى الرقي إلى الوطن الأصلي حيث كمال الجمال وغاية السعادة. ولكي تنمو الاستعدادات البشرية للرقي في مدارج الكمال نحو عالم البقاء حيث كمال الجمال، خلق الله تعالى في البشر قوى شهوية ومعنوية وأودع فيه نفحات روحية عظيمة يرقى بها من دركات اللذة الدنيوية العابرة إلى درجات الكمال. فالشهوات والغرائز البشرية تثور في الإنسان وهو على ظهر الأرض ليشاهد قبسا يسيرا من الجمال، ويذوق جزءا حقيرا من اللذة تدله على غيرها، ثم تثور القوى المعنوية لتسوقه إلى الجمال السرمدي فتذكره بجمال الخالق المنعم وجلاله فيكتسب محبته ويلتزم طاعته ويتشوف إلى لقائه، فتكون بذلك شهوات النفس ولذات الحياة الدنيا طريقا إلى

اللذات الغامرة والجمال السرمدي في دار البقاء. "إذ المشاهد المشتاق لجمال سرمدي والعاكس الذي يعكسه كالمرآة، لابد أن يظل باقيا ويمضي إلى الأبد" [٥٢]

إن الحياة على ظهر الأرض إنما هي بحث عن كمال الجمال وسعي إليه وعمل من أجلــه. وكل ما يجده الإنسان وهو على ظهر الأرض من غرائز وشهوات ومن حواس وقوى ماديــة ومعنوية، إنما خلقت فيه ليجد القدرة على التواصل مع الجمال المبثوث في الكون من حولــه، فيشاهد ويلمس ويذوق من هذا الجمال الذي هو بمنزلة نماذج يسيرة منتقاة من كمال الجمال في عالم البقاء فأرسلت في الكون الذي هو معرض لقبس يسير من الجمال، حتى إذا عرف هذا الجمال تذكر كمال الجمال في عالم البقاء، فيبقى في تشوف وترقب دائم ليوم اللقاء العظــيم الذي تحصل فيه السعادة الكاملة بالنظر إلى وجه الجليل الجميل، و"من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه" [٥٣].

هكذا إذن تبدأ رحلة الإنسان في البحث عن كمال الجمال، فينطلق أولا بربط التواصل مع جمال الكون لأنه ليس بالإمكان في الدنيا أبدع من نظام الكون وجمال الخلق وحسن الصنعة، فهو واجد فيه ما يذكره بكمال الجمال ويفتح شهيته إليه، لأن ما في الكــون مــن الجمــال والحسن إنما بثه الخالق المدبر الجليل الجميل، فهو قبس من نوره، فمنه يستمد الكــون جمالــه وتأخذ المخلوقات كلها زينتها وتكتسي حلل الحسن والبهاء. وكأني ببديع الزمان النورسي قد أحس بالحاجة إلى تقديم الدليل الشاهد على ما ذهب إليه من أن جمال الكون قبس يسير مــن جمال الله، فذهب يلتمس من الشواهد الدالة على ذلك ما لا يمكن حصره، فيبدأ مــن جمــال الكون نفسه لأنه سهل التناول ميسور الإدراك عند جميع البشر مهما اختلفت عقولهم ومقامات علمهم.

جمال الكون يدل على جلال الله تعالى ويذكر بكمال جماله

فأول ما يقرره بديع الزمان النورسي، ويحشد الأدلة الكثيرة عليه كأنه يريد قطع الشــك بعد هذا في هذه الحقيقة، أن كل ما في الكون من أصغر الأجزاء إلى أكبرها، من الذرات إلى

---

[٥٢] الكلمات ص: ١٣٦.

[٥٣] صحيح البخاري كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

المجرات وما بين ذلك من العوالم المتنوعة، بمنزلة ألسنة ناطقة تلهج بذكر خالقهـا وتعـرف بمبدعها وتفصح عن جماله وجلاله سبحانه وتعالى. ولهذا طاف النورسي بنظر المتأمل المتدبر في كل أجزاء الكون، ونثر ذلك في رسائله بما لا يمكن في هذا المقام الضيق أن يأتي عليه حصـر، فكانت بذلك رسائل النور عبارة عن سياحة روحية عقلية تطوف بـك في أجـزاء الكـون وتوقفك على صور الجمال المبثوثة فيه وتعرض الكون أمامك كأنه معرض عجيب على أحسن ترتيب وأجمل تنسيق.

" إن من ينظر نظرة واسعة فاحصة إلى الكون، يرى أنه بمثابة مملكة مهيبة جدا في غايـة الفعالية والعظمة، وتظهر له كأنه مدينة عظيمة تتم إدارتها إدارة حكيمـة، وذات سـلطنة وحاكمية في منتهى القوة والهيبة. ويجد أن كل شيء وكل نوع منهمك ومسخر لوظيفة معينة. فالآية الكريمة {**ولله جنود السموات والأرض**} (الفتح: ٧) تشعر بمعاني الجندية في الموجودات التي تتمثل ابتداء من جيوش الذرات وفرق النباتات وأفواج الحيوانات إلى جيوش النجوم. كل أولئك جنود ربانية مجندة لله... مما يدل دلالة عميقة بالبداهة على وجود الحاكمية الواحـدة المطلقة والآمرية الواحدة الكلية." [٥٤]

"إننا نشاهد على سطح الأرض كافة أن هناك خلقا وتصرفا وفعالية تجري في سعة مطلقة، ومع السعة تنجز في سرعة مطلقة، ومع السرعة والسعة يشاهد سخاء مطلق في تكثير الأفراد، ومع السخاء والسعة والسرعة تتضح سهولة مطلقة في الأمر مع انتظام مطلق وإبداع في الصنعة وامتياز تام، رغم الاختلاط الشديد والامتزاج الكامل ... لقد أحصيت (يقول النورسي) ذات يوم عناقيد ساق نحيفة لعنب متسلق – بغلظ إصبعين – تلك العناقيد التي هـي معجـزات الرحيم ذي الجمال في بستان كرمه. فكانت مائة وخمسة وخمسين عنقوداً. وأحصيتُ حبّات عنقود واحد منها فكانت مائة وعشرين حبة. فتأملت وقلت: لو كانت هذه الساق الهزيلـة خزانة ماء معسّل، وكانت تعطي ماءً باستمرار، لما كانت تكفي أمام لفح الحرارة ما ترضـعه لمئات الحبات المملوءة من شراب سكر الرحمة. والحال أنها قد لا تنال إلاّ رطوبة ضئيلة جداً، فيلزم أن يكون القائم بهذا العمل قادراً على كل شئ. فسبحان من تَحيَّرُ في صنعه العقول".[٥٥]

---

[٥٤] الشعاعات ص ١٩٥ .

[٥٥] الكلمات ص ٣٣٧ .

فلا يظهر في الكون سوى مظاهر الحسن وعلامات الجمال والإتقان والنظام، فهو مملكـــة جميلة مزينة، تدبر بعناية بالغة ودقة متناهية.

ثم يرتقي بنا النورسي مقاما آخر خلاصته أن جمال الكون هذا يدل على جمال خالقه لأنه لا يؤخذ الجمال إلا من الجميل.

" فكتاب الكون الكبير هذا إذ تعلمنا آياته التكوينية الدالة على وجوده سبحانه وعلى وحدانيته، يشهد كذلك على جميع صفات الكمال والجمال والجلال للذات الجليلة. ويثبت أيضاً كمال ذاته الجليلة المبرأة من كل نقص، والمنـــزّهة عن كل قصور. ذلك لأن ظهور الكمال في أثرٍ ما، يدل على كمال الفعل الذي هو مصدره، كما هو بـــديهي، وكمـــال الفعل هذا يدلّ على كمال الاسم، وكمال الاسم يدل على كمال الصـــفات، وكمـــال الصفات يدل على كمال الشأن الذاتي، وكمال الشأن الذاتي يدل على كمال الـــذات – ذات الشؤون – حَدساً وضرورة وبداهة". [٥٦]

لأنه " محال أن يكون كتاب بلا كاتب، ولا سيما كتاب كهذا الذي تتضمن كـــل كلمة من كلماته كتاباً خُطّ بقلم دقيق، والذي تحت كل حرف من حروفه قصيدة دُبجت بقلم رفيع. وكذلك من أمحل المحال أن يكون هذا الكون من غير مبدع، حيث إن هـــذا الكون كتاب على نحو عظيم تتضمن كل صحيفة فيه كتباً كثيرة، لا بل كل كلمة منهـــا كتاباً، وكل حرف منها قصيدةً.. فوجه الأرض صحيفة، وما أكثر ما فيها مـــن كتـــب! والشجرة كلمة واحدة، وما أكثر ما فيها من صحائف! والثمرة حرف، والبذرة نقطـــة.. وفي هذه النقطة فهرس الشجرة الباسقة وخطة عملها. فكتاب كهذا ما يكون إلا من إبداع قلم صاحب قدرة متصف بالجمال والجلال والحكمة المطلقة. أي أن مجرد النظر إلى العالَم ومشاهدته يستلزم هذا الإيمان، إلاّ مَنْ أسكَرته الضلالة.!" [٥٧]

فهذا ما تفصح عنه جميع أجزاء الكون وجميع أنواع الموجودات وكافة أصناف المخلوقات، إنها ألسنة ناطقة بجمال خالقها وجلاله، فهو إذن كريم جميل:

---

[٥٦] نفسه ص ٣٤٢ .

[٥٧] نفسه ص ٦٠ .

"يعرّف نفسه ويحبّبُها إليك بهذا الحشد من الألسنة التي لا تعد ولا تحصى، وإن أردت أن تصرف نفسك عن ذلك التعريف، فما عليك إلاّ أن تكمم جميع هذه الأفواه، وتسكت تلك الألسنة كافة وأنى لك هذا ... فما عليك إلا الإصغاء إليها."[٥٨] فإن أنـــواع الجمـــال الزاهر وأشكال الحسن الباهر التي تتلألأ على وجوه الكائنات السريعة الأفول، ثم تتابع هـــذا الجمال وتجدده بتجدد هذه الكائنات، واستمراره باستمرار تعاقبها، إنما يظهر أنه ظل من ظلال تجليات جمال سرمدي لا يحول ولا يزول... ويدل على أن تلك الموجودات إنما تمثل إشارات وعلامات على ذلك الجمال... ثم إن قلم التجميل والتحسين الذي يبدع نقوشـــه في وجـــه الكائنات، يدل بوضوح على جمال أسماء مالك ذلك القلم المبدع. وهكذا فالجمال الذي يشع من وجه الكون... والروعة والإبداع في مجموع الكون كله، .. يفتح نافذة لطيفة جـــداً ونورانية ساطعة أمام العقول والقلوب اليقظة، يتجلى منها ذلك الجميل ذو الجلال، الذي له الأسماء الحسنى، وذلك المحبوب الباقي والمعبود الأزلي." [٥٩] إن خالق هـــذه الموجـــودات متصف بجميع أوصاف الكمال "لأنه من المقرر: أن ما في المصنوع من فيض الكمال، مقتبس من ظل تجلي كمال صانعه. فبالضرورة يوجد في الصانع جل جلاله من الجمال والكمال والحسن ما هو أعلى بدرجات غير متناهية حتماً من عموم ما في الكائنات من الحســـن والكمال والجلال، إذ الإحسان فرع لثروة المحسن ودليل عليها ... والتحسين (فرع) لحسن المحسن المناسب له" [٦٠]

فالحسن والجمال المبثوث في الكون قبس من جمال الله سبحانه وتعالى، وجمال الله تعـــالى جمال يليق بجلاله وعظمته، فهو جمال مطلق، أما جمال الموجودات فهو قبس يسير منـــه، لأن صاحب الجمال المطلق هو الذي بثه في الكون وأرسل فيه جزء منه، فمن هذه الجزء تســـتمد الحسن والجمال جميع الموجودات التي تمر من الوجود على اختلاف أصنافها وتنوع عوالمهـــا. يقول الحق تبارك وتعالى في كتابه الكريم: {**اللّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَـــجَرَةٍ مُّبَارَكَـــةٍ**

---

[٥٨] نفسه ص ٨٠٥ .

[٥٩] نفسه ٨١٧ – ٨١٨ .

[٦٠] صيقل الإسلام ص ١٣٣ – ١٣٤ .

زَيْتُونةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } (النور: ٣٥) أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس أن قوله " مثل نوره" معناه: " مثل نور المؤمن كالمشكاة، وأن الله تعالى أعظم من أن يكون نوره مثل نور المشكاة " فأثبت لله تعالى النور . وأخرج أيضا عن السدي : " الله نور السماوات والأرض" قال: " فبنوره أضاءت السماوات والأرض". ونقل الطبري عن غير واحد أنه عنى بذلك النور الضياء، وقالوا: " معنى ذلك : "ضياء السماوات والأرض"، وأخرج عن أبي بن كعب في قوله " الله نور السموات والأرض" قال: فبدأ بنور نفسه". وفي صحيح مسلم عن أَبِي مُوسَى قَالَ قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ (وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ النَّارُ) لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ*[٦١] قال النووي: " ...قال صاحب العين والهروي وجميع الشارحين للحديث من اللغويين والمحدثين: معنى سبحات وجهه: نوره وجلاله وبهاؤه"[٦٢] وعند مسلم أيضا عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ قَالَ: نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ* ومن طرق آخر عنه " رأيت نورا".[٦٣] وعند مسلم أيضا عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ*[٦٤] قال النووي : " اختلفوا في معناه فقيل إن معناه أن كل أمره سبحانه وتعالى حسن جميل وله الأسماء الحسنى وصفات الجمال والكمال، وقيل جميل بمعنى مجمل ككريم وسميع بمعنى مكرم ومسمع. وقال الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله: معناه جليل. وحكى الإمام أبو سليمان الخطابي أنه بمعنى ذي النور والبهجة أي مالكهما. وقيل معناه جميل الأفعال بكم باللطف والنظر إليكم يكلفكم اليسير من العمل ويعين عليه ويثيب عليه الجزيل ويشكر عليه." [٦٥] وجمال الله تعالى يشمل ذلك كله فإنه تعالى جميل في ذاته جميل في

---

[٦١] صحيح مسلم ، كتاب الإيمان، باب في قوله عليه السلام: إن الله لا ينام...

[٦٢] شرح النووي على مسلم ٣ / ١٤ .

[٦٣] صحيح مسلم ، كتاب الإيمان، باب قوله عليه السلام: نور أنى أراه...

[٦٤] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه.

[٦٥] شرح النووي على مسلم ٢ / ٩٠ .

أسمائه وصفاته جميل في أفعاله وتصرفاته، وكل ذلك يتجلى في الكون، ففيه الزينة الظاهرة وجمال الصورة ، وفيه جمال المعاني وجمال الأفعال والتصرفات. فكل جمال مادي أو أثر نظام وإتقان في الكون من الله عز وجل ومن فعله وأمره، وكل ما يجري في الكون من تدبيره وتصرفه، وتصرف الجميل جميل وكل أمره جميل. وكما قال النورسي:

" تعال تأمل في هذا الجمال الزاهي والحسن الباهر ضمن هذا الانتظام والنظافة والميزان، بحيث جعل هذا الكون العظيم على صورة مهرجان في منتهى الجمال والبهجة، وعلى صورة معرض بديع في منتهى الزينة والروعة، وعلى صورة ربيع زاه تفتحت أزاهيره توا... نعم إن كل نوع من أنواع الكائنات، بل حتى كل فرد من أفرادها قد نال حسب قابليته حظا من جمال الأسماء الإلهية الحسنى التي لا منتهى لجمالها.[٦٦] وأيضا "فإن كل ما يشاهد على جميع المصنوعات من أنواع الكمال المتنوعة وأضراب الجمال المختلفة وألوان الحسن المتغايرة يدل دلالة في غاية القطعية ويشهد شهادة في منتهى الصراحة على كمالات لا حد لها ومحاسن لا نهاية لها في أفعال الصانع الجليل وفي أسمائه وفي صفاته وفي شؤونه وفي ذاته المقدسة، بما يلائم ويوافق قدسيته ووجوبه وتعاليه، ويدل كذلك على جمال متنوع عال سام هو أرفع من الكون طرا."[٦٧] فالإتقان والنظام، والنظافة والحسن، والكرم والإنعام، والرفق والرحمة، والخير والبر وغير ذلك من وجوه الجمال المادي والمعنوي المبثوثة في الكون – كله – مستمد من جمال ذاته تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله. " فالحسن والجمال الظاهر في المخلوقات الجميلة في هذا العالم كله، والصنع البديع المشاهد في المصنوعات الجميلة كلها يشهد شهادة قاطعة على حسن أفعال الصانع الجليل وجمالها. وإن الحسن في أفعاله تعالى وجمالها يدل بلا ريب على حسن العناوين المشرفة على تلك الأفعال وجمالها، أي على حسن الأسماء وجمالها. وإن حسن الأسماء وجمالها يشهد شهادة قاطعة على حسن الصفات المقدسة وجمالها التي هي منشأ تلك الأسماء. وإن حسن الصفات وجمالها يشهد شهادة قاطعة على حسن الشؤون الذاتية وجمالها التي هي مبدأ تلك الصفات. وإن حسن الشؤون الذاتية وجمالها يدل بالبداهة ويشهد شهادة قاطعة على حسن الذات... بمعنى أن للصانع الجميل جمال وحسن لا حد له يليق بذاته المقدسة، بحيث إن

---

[٦٦] الشعاعات ص ٣٦ .

[٦٧] نفسه ص ٨٧ .

ظلا من ظلاله قد جمل هذه الموجودات كلها. وأن له سبحانه جمالا منـــزها مقدسا بحيث إن جلوة من جلواته قد أضفت الجمال على الكون كله، ونورت دائرة الممكنات كلها بلمعـــات حسن وجمال وزينتها بأبهى زينة.[٦٨] فالجمال في أسماء الله وصفاته وأفعاله وذاته. فبسبب جمال ذاته احتجب عن الظهور بذاته عن المخلوقات في الدنيا، لأن الذوات المدركة في الدنيا يحكمها الزمان والمكان، فكانت رؤية جمال ذاته مؤجلة إلى دار البقاء، فكان حجابه النور فاحتجب من شدة الظهور عن أهل الدنيا الفانية ، لكن جمال ذاته يدل عليه جمال أسمائه الحسنى وجمال أفعاله الظاهرة في الكون، فهو " الظاهر الباطن". فأفعاله تعالى وأسماؤه ظاهرة آثارهـــا الجميلـــة في الكون ظهورا قاطعا لأنه " عندما ينظر إلى هذا الكون بنظر العبرة، يشعر الوجدان والقلب، بحدسٍ صادق، أن الذي يجمّل هذه الكائنات ويزيّنها بأنواع المحاسن لا شك أن له جمالاً وكمالاً لا منتهى لهما، ولهذا يظهر الجمال والكمال في فعله" [٦٩] وجميع وجوه الإحســـان والكرم والإنعام، ومظاهر التجدد في الكون، من آثار أسماء الله الحسنى ومن تجلياتها الجميلـــة. فأسماء الله الحسنى تجمل الكون بتجلياتها وآثارها. ومن تجليات جمال أسماء الله الحسنى في الكون ما يحصل من التبدل المستمر في العالم والتجدد في الموجودات من غـــير توقـــف، وتصـــريف الأحوال في كل آن وحين، لأن كل اسم من أسماء الله الحسنى يقتضي ظهورا. فاسم المحيـــي مثلا يقتضي ظهورا فيتجلى أثره في الكون في كل وقت وحين، فيظهر جماله من خــلال مـــا يشاهد في الكون من تجدد عملية الإحياء للأرض في كل فصل، والإحياء للإنسان والحيـــوان، ففي كل لحظة حياة ترسل في الكون في عالم الإنسان والحيوان والنبات وسائر المخلوقـــات، فذلك كله من تجلي جمال اسم " المحيي" الذي يظهر في الكون فيجملـــه. وكـــذلك اســـم "المميت" فلا معنى للحياة لولا الموت ففي ظهور تجليات "المحيي" وتجليات "المميت" جمـــال للكون، لأن عملية الإحياء والإماتة في الكون لا تتوقف، ففي كل لحظة أحياء يولدون وأموات يزولون في عالم الإنسان والحيوان والنبات والجماد وسائر الموجودات مهما اختلفت خصائصها وطبيعة خلقتها، وفي كل لحظة من لحظات الحياة على ظهر الأرض زمن يموت ويزول وزمـــن يحيى ثم ما يلبث أن يزول. في كل حين تشهد الأرض موكب جنازة كبيرة لمن أنهوا مهامهم من

---

[٦٨] الشعاعات ص ٨٦ .

[٦٩] الكلمات ص ٧٤٢ .

المخلوقات والموجودات، و وفي الحين نفسه موسم كبير لمواليد جديدة تتسلم مهامها. فكـل ذلك من تجلي اسمي " المحيي " و "المميت". " فإن للأسماء الحسنى تجليات متنوعـة لا تحـد، فتنوع المخلوقات ناشئ عن تنوع تلك التجليات... فإن تلك الأسماء المختلفة – لكونها دائمة وسرمدية – تقتضي ظهورا دائما سرمديا أي تقتضي رؤية نقوشها، أي تقتضي رؤيـة وإراءة جلوة جمالها وانعكاس كمالها في مرايا نقوشها. أي تقتضي تجديد كتاب الكون الكبـير آنـا فآنا."[٧٠]

وجمال هذا التجدد الناشئ عن تجليات الأسماء الحسنى هو الذي ارتشفه إبـراهيم عليـه السلام فعبر عنه بقوله : {**الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِي وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِـي وَيَسْـقِينِي وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ**} (الشعراء: ٧٨ – ٨٠).

وإن " شئت أن تشاهد جلوة من أنواع حسن أسماء الجميل ذي الجلال المتجلية على مرايا الموجودات، فانظر بعين خيالية واسعة إلى سطح الأرض لتراه كحديقة صغيرة أمامك واعلم أن الرحمانية والرحيمية والحكيمية والعادلية وأمثالها من التعابير، إنما هي إشارات إلى أسماء الله تعالى وإلى أفعاله وإلى صفاته وإلى شؤونه الجليلة. فانظر إلى أرزاق الأحياء- وفي مقدمتها الإنسان- إنها ترسل بانتظام بديع من وراء ستار الغيب، فشاهد جمال الرحمانية الإلهية. (فهذا من تجلـي جمال اسم الرحمان وظهوره) ......" [٧١] " فإن لكل اسم من الأسماء الحسنى جمالا خاصـا به، جمالا مقدسا مترها بحيث عن جلوة من جلواته تجمل عالما ضخما بكامله." [٧٢]

وفي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ما يدل على هذا المعنى ويشهد له لما بين صلى الله عليه وسلم أن ما في الكون من الرحمة جزء من مائة جزء من رحمة الله. عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ فَأَمْسَكَ عِنْـدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ" [٧٣] فما يشاهد من آثار الرحمة والرفق والحـدب

---

[٧٠] المكتوبات ص ٣٧٣ .
[٧١] الشعاعات ص ٨٩ – ٩٠ .
[٧٢] نفسه ص ٩١ .
[٧٣] صحيح البخاري، كتاب الأدب ، باب جعل الله الرحمة مائة جزء.

الموجود في الأرض قبس من رحمة الله، "و إن رحمة جميع الوالدات وحنانهن ما هي إلاّ لمعةُ تجلٍ من تجليات الرحمة الإلهية الواسعة" [٧٤]. وما يجمل حياة الإنسان من رحمة الوالدة ولدها ورفق الكبير بالصغير وما يجده الإنسان في صدره من الرقة للحنو على غيره ...كل ذلك جزء من رحمة الله أرسله في الكون. وكذلك سائر الأخلاق لأن الخلق في حقيقته إنما هو هندسة الجمال في السلوك، فكل تصرف من تصرفات البشر وفق خلق الرحمة إنما هو تجلي لرحمة الله وقبس منها وأثر لاسم " الرحيم " واسم " الرحمن ". فالخلق جمال في سلوك الإنسان وهو لمعة من جمال الله تعالى. وكذلك العلم مثلا فهو جمال لعقل الإنسان وزينة للحياة البشرية على ظهر الأرض، وكل علم البشر على امتداد زمن الحياة الدنيا إنما هو نزر يسير من علم الله، فهو تعالى عليم بكل شيء، وليس للبشر من العلم سوى ما أذن به تعالى، فما في الحياة الدنيا من جمال العلم إنما هو من تجليات علم الله ومن لمعات اسم " العليم " كما قال تعالى " ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء" (البقرة: ٢٥٥) ويستفاد منه أن علم البشر جزء من علم الله أذن الله به فأرسله في الأرض، فكل علم تتيسر به حياة الناس إنما هو اقتباس من علم الله الجليل الجميل.

يثبت من كل ما تقدم أن كل وجوه الجمال المادي والمعنوي في الكون إنما هو لمعة يسيرة من جمال الله أو بتعبير النورسي إن:

" مجموع ما في الكائنات من الكمال والجمال إنما هو ظل ضعيف مفاض بالنسبة إلى كماله عز كماله، وإلى جماله جل جماله" [٧٥].

وقد عبر عن هذا المعنى أبو حامد الغزالي كما نقل عنه المناوي في "فيض القدير" في شرحه لحديث " إن الله جميل يحب الجمال" قال المناوي: "له الجمال المطلق ومن أحق بالجمال من كل جمال في الوجود من آثار صنعته فله جمال الذات وجمال الصفات وجمال الأفعال ولولا حجاب النور على وجهه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه من خلقه. (يحب الجمال) أي التجمل منكم في الهيئة أو في قلة إظهار الحاجة لغيره وسر ذلك أنه كامل في أسمائه وصفاته فله الكمال المطلق من كل وجه ويحب أسماءه وصفاته ويحب ظهور آثارها في خلقه فإنه من لوازم كماله،

---

[٧٤] الكلمات ص ٢٩ .

[75] المثنوي العربي النوري ص ٥٢ .

وهو وتر يحب الوتر جميل يحب الجمال عليم يحب العلماء جواد يحب الجود قوي يحب القوي فالمؤمن القوي أحب إليه من المؤمن الضعيف حيي يحب أهل الحياء والوفاء، شكور يحب الشاكرين، صدوق يحب الصادقين، محسن يحب المحسنين إلى غير ذلك ... كما قال حجة الإسلام ليس في الإمكان أبدع مما كان، فالعالم جمال الله وهو الجميل المحب للجمال فمن أحب العالم بهذا النظر فما أحب إلا جمال الله إذ جمال الصنعة لا يضاف إليها بل إلى صانعها.."

فبهذه الأدلة وغيرها يثبت النورسي أن ما يجده الإنسان في الحياة الدنيا من الجمال ليس جمالا حقيقة لأنه زائل أولا، ثم لأنه ليس خالصا وإنما هو جمال منقوص تقترن به معوقات تمنع كمال السعادة في الدنيا ولذلك لا يحصل منه الاكتفاء، فهو إذن ظلال وتجليات لجمال الخالق عز وجل جمل به الكون، وزين حواسا وشهوات في الإنسان ليبقى في تواصل مع الكون فيدرك هذا القبس اليسير من جمال الله تعالى حتى يبقى على ذكر للجمال الكامل متشوفا إليه عاملا من أجله مسخرا كل حياته وطاقاته من أجله. فبهذا تكون الحياة على ظهر الأرض عبارة عن تواصل مستمر مع جمال الله تعالى الكامل الباقي من خلال نماذج منه ومراياه المبثوثة في الكون، لأن الكون – في النظرة النورسية – عبارة عن مرايا شبه شفافة لجلال الله تعالى وجمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله. فالحياة تشويق وإعداد لبلوغ كمال اللذة وغاية السعادة في دار البقاء، وترشيح للارتشاف الدائم من كمال الجمال في جنة الخلد حيث ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وحيث تمام السعادة بالنظر إلى وجه الحق تبارك وتعالى. ومن الشواهد على هذا ما أخرجه مسلم من حديث صُهَيْب بن سنان عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ، فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ قَالَ فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ" وفي طريق آخر زيادة: " ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَةَ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾* [٧٦] وفي لفظ عند أحمد: "إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ نُودُوا يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ مَوْعِدًا عِنْدَ اللهِ لَمْ تَرَوْهُ فَقَالُوا وَمَا هُوَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا وَتُزَحْزِحْنَا عَنِ النَّارِ

---

[٧٦] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَاب إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الآخِرَةِ رَبَّهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى *

وَتُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ قَالَ فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَوَاللهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْهُ ثُمَّ تَلا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ) * وفي لفظ عند ابن ماجه " فَوَاللهِ مَا أَعَطَاهُمُ اللهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ يَعْنِي إِلَيْهِ وَلَا أَقَرَّ لأَعْيُنِهِمْ*[٧٧] وعند ابن ماجة أيضا – بسند ضعيف لكن يشهد له غيره – عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ فَرَفَعُوا رُءوسَهُمْ فَإِذَا الرَّبُّ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ قَالَ وَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ (سَلَامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ) قَالَ فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَلا يَلْتَفِتُونَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ النَّعِيمِ مَا دَامُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ حَتَّى يَحْتَجِبَ عَنْهُمْ وَيَبْقَى نُورُهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْهِمْ فِي دِيَارِهِمْ *[٧٨] وعند ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (الحديث ٨٣) عن سمرة قال : أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الفردوس هي أعلى الجنة وأرفعها، وأحسنها الرؤية والزيادة ". وهذه الأخبار كلها في معنى قول الله تعالى {**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**} (يونس: ٢٦) وقوله: {**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**} (القيامة: ٢٢ – ٢٣) وقوله: {**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**}(المطففين: ١٥) فمن نظر إلى ربه فقد رأى عين الجمال وأدرك غاية اللذة وقمة السعادة، ومن حجب وحرم النظر فقد حرم الجمال كله و لم يبق له إلا القبح والشر كاملا غير منقوص. فكل هذا الجمال المبثوث في الكون ليسا إلا نزرا يسيرا للتذكير بجمال الله والدلالة عليه والترغيب فيه ليبدأ الإنسان العروج نحوه من الحياة الدنيا. فكل لذات الدنيا وجمالها هي مسالك نحو هذا الجمال وطريق إليه، فهي لفتح الشهية والتشوف والإعداد للرقي. ومن أجل هذا القصد يفصح الحق تبارك وتعالى عن تجليات لهذا الجمال في الكون، فجعل الأرض معرضا عجيبا يرى فيها الإنسان نماذج من الجمال تدله على الجمال المطلق، فما يجده الإنسان من محبة الدنيا وما يحس به من قوة دافعة نحو الجمال إنما هو شوق يأخذه نحو جمال الله تعالى. ولهذا كان محبة الدنيا عند النورسي – على هذا الوجه – سلوكا نحو السمو الروحي والرقي المعنوي، لأن تناول اللذة في الدنيا مع استحضار أنها هدية من الخالق عز وجل وقبس يسر من جماله وأنها لا تساوي إلا نزرا يسيرا جدا من لذة النظر إلى وجهه تعالى في عالم البقاء، يحمل على محبته عز وجل والشوق إلى

---

[٧٧] ابن ماجه في مقدمة السنن .

[٧٨] نفسه .

لقائه للنظر إلى وجهه وإدراك الغاية المرجوة من اللذة والسعادة. وعن هـذا المعـنى يفصح النورسي بقوله:

" أنظر إلى ما لا يعد ولا يحصى من الجواهر النادرة المعروضة في هذه المعارض، والأطعمة الفريدة اللذيذة المزيّنة بها الموائد، مما يُبرز لنا أن لسلطان هذه المملكة سخاءً غير محدود، وخزائن ملأى لا تنضب.. ولكن مثل هذا السخاء الدائم، ومثل هذه الخزائن التي لا تنفد، يتطلبان حتماً دار ضيافة خالدة أبدية، فيها ما تشتهيه الأنفس. ويقتضيان كذلك خلود المتنعمين المتلذذين فيها، من غير أن يذوقوا ألم الفراق والزوال؛ إذ كما أن زوال الألم لذة فزوال اللذة ألم كذلك.. وانظر إلى هذه المعارض، ودقق النظر في تلك الإعلانات، وأصغ جيداً إلى هؤلاء المنادين الدعاة الذين يصفون عجائب مصنوعات السلطان - ذي المعجزات - ويعلنون عنها، ويظهرون كماله، ويفصحون عن جماله المعنوي الذي لا نظير له، ويذكرون لطائف حسنه المستتر.

فلهذا السلطان إذن كمال باهر، وجمال معنوي زاهر، يبعثان على الإعجاب. ولاشك أن الكمال المستتر الذي لا نقص فيه يقتضي إعلانه على رؤوس الأشهاد من المعجبين المستحسنين، ويتطلب إعلانه أمام أنظار المقدّرين لقيمته. أما الجمال الخفي الذي لا نظير له، فيستلزم الرؤية والإظهار، أي رؤية جماله بوجهين.

أحدهما: رؤيته بذاته جمالَه في كل ما يعكس هذا الجمال من المرايا المختلفة.

ثانيهما: رؤيته بنظر المشاهدين المشتاقين والمعجبين المستحسنين له. وهذا يعني أن الجمال الخالد يستدعي رؤية وظهوراً، مع مشاهدة دائمة، وشهود أبدي.. وهذا يتطلب حتماً خلودَ المشاهدين المشتاقين المقدّرين لذلك الجمال، لأن الجمال الخالد لا يرضى بالمشتاق الزائل. ولأن المشاهد المحكوم عليه بالزوال يبدل تصور الزوال محبته عداءً، وإعجابه استخفافاً، وتوقيره إهانةً، إذ الإنسان عدو لما يجهل ولما يقصر عنه.. ولما كان الجميع يغادرون دور الضيافة هذه بسرعة ويغيبون عنها بلا ارتواء من نور ذلك الجمال والكمال، بل قد لا يرون إلا ظلالاً خافتة منه عبر لمحات سريعة.. فالرحلة إذن منطلقة إلى مشهد دائم خالد...." (٧٩)

---

(٧٩) الكلمات ص ٥١ .

ثم ينطلق بنا النورسي ويأخذ بعقولنا وقلوبنا في سياحة عجيبة ويشدنا إليه بقوة تأملاته وعمق أفكاره وجميل عباراته وتتابع براهينه وتنوع أدلته، فنحس معه دائما بالرغبة في المزيد من التأمل، فيسعفنا بالمزيد وكأنه يغرف من بحر. فلا يمكن لنا سوى أن نردد معه :

"أمن الممكن لجود وسخاء مطلقين، وثروة لا تنضب، وخزائن لا تنفد، وجمال سرمدي لا مثيل له، وكمال أبدي لا نقص فيه، أن لا يطلب دار سعادة ومحل ضيافةٍ، يخلد فيه المحتاجون للجود، الشاكرون له، والمشتاقون إلى الجمال، المعجبون به؟

إن تزيين وجه العالم بهذه المصنوعات الجميلة اللطيفة، وجعل الشمس سراجاً، والقمر نوراً، وسطح الأرض مائدة للنعم، وملأها بألذ الأطعمة الشهية المتنوعة، وجعل الأشجار أواني وصحافاً تتجدد مراراً كل موسم.. كل ذلك يظهر سخاءً وجوداً لا حد لهما. فلابد أن يكون لمثل هذا الجود والسخاء المطلقين، ولمثل هذه الخزائن التي لا تنفد، ولمثل هذه الرحمة التي وسعت كل شئ، دارَ ضيافة دائمة، ومحل سعادة خالدة يحوي ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وتستدعي قطعاً أن يخلد المتلذذون في تلك الدار، ويظلوا ملازمين لتلك السعادة ليبتعدوا عن الزوال والفراق، إذ كما أن زوال اللذة ألم فزوال الألم لذة كذلك، فمثل هذا السخاء يأبى الايذاء قطعاً." [٨٠]

فلابد إذن لصاحب هذا الجمال وهذا الجود والسخاء أن يتجلى بكمال جماله لمن يستحقه، ممن كان يتشوف إليه في الدنيا وكان يرى ظلاله وتجلياته في مرايا مصنوعاته، فيتفكر في جماله ويذكر جلاله فيتمنى لقاءه ويرجو نيله وإدراكه فيجعل حياته على ظهر الأرض معراجا إلى ذلك الجمال.

" أي إن الأمر يقتضي وجود جنة أبدية، وخلود المحتاجين فيها؛ لأن الجود والسخاء المطلقين يتطلبان إحساناً وإنعاماً مطلقين، والإحسان والإنعام غير المتناهيين يتطلبان تنعماً وامتناناً غير متناهيين، وهذا يقتضي خلود إنعام مَن يستحق الإحسان إليه، كي يظهر شكره وامتنانه بتنعمه الدائم إزاء ذلك الإنعام الدائم.. وإلا فاللذة اليسيرة – التي ينغّصها الزوال والفراق– في هذه الفترة الوجيزة لا يمكن أن تنسجم ومقتضى هذا الجود والسخاء." [٨١]

---

[٨٠] الكلمات ص ٧٠.

[٨١] الكلمات ص ٧٠ .

فليس للإنسان سوى أن يبدأ الرقي والسمو من خلال ربط الصلة بمرايا الجمال المتجددة حتى ينتهي زمن الزوال، فيدخل عالم الخلود حيث يدرك قمة السعادة ويجد تمام اللذة في كنف صاحب كمال الجمال والجلال، في جنة الخلد والنظر إلى وجه الكريم الجميل سبحانه وتعالى.

فهذه هي حقيقة الجمال وأصله ولبه وجوهره. فالجمال جمال الله تعالى في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله، وكل جمال في ما سواه من الخلق والعالمين إنما هو قبس منه وضع دليلا إليه ومذكرا به، والحياة على ظهر الأرض كلها سعي إليه ووسيلة للرقي نحوه. فكل لذة مادية أو معنوية يجدها الإنسان في الدنيا فللتذكير والتنبيه :

" فالتلذذ بالأطعمة الشهية وتذوق الفواكه الطيبة مع التذكر بأنها إحسان من الله سبحانه وإنعام من الرحمن الرحيم، يعني المحبة لاسم "الرحمن" واسم "المنعم" من الأسماء الحسنى...ثم إن محبتك للوالدين واحترامهما إنما يعودان إلى محبتك لله سبحانه إذ هو الذي غرس فيهما الرحمة والشفقة (وهما من جمال أسمائه وصفاته المبثوث في الكون) حتى قاما برعايتك وتربيتك بكل رحمة وحكمة... أما محبة الزوجة وهي رفيقة حياتك، فعليك بمحبتها على أنها هدية أنيسة لطيفة من هدايا الرحمة الإلهية وإياك أن تربط محبتك بها برباط الجمال الظاهري السريع الزوال (لأنه وسيلة فقط إلى كمال الجمال) بل أوثقها بالجمال الذي لا يزول ويزداد تألقا يوما بعد يوم، وهو جمال الأخلاق والسيرة الطيبة المنغرزة في أنوثتها ورقتها. وإن أحلى ما فيها من جمال وأسماه هو في شفقتها الخالصة النورانية (وهي من تجليات جمال رحمته الله) فجمال الشفقة هذا وحسن السيرة يدومان ويزدادان إلى نهاية العمر، وبمحبتهما تصان حقوق هذه المخلوقة اللطيفة الضعيفة، وإلا تفقد حقوقها في وقت هي أحوج ما تكون إليها بزوال الجمال الظاهري... فمن هذه الزاوية تصبح هذه المحبة لله... ثم محبة الربيع والشوق إليه تكون في سبيل الله ومتوجهة إلى أسمائه الحسنى، من حيث كونه أجمل صحيفة لظهور نقوش الأسماء الحسنى النورانية. فالتفكر في الربيع من هذه الزاوية محبة متوجهة إلى الأسماء الحسنى. " [٨٢]

وهكذا يغدو كل " الحسن والجمال، واللذة والنعمة المأخوذة من جميع الموجودات نوع ظل من تجلي جماله سبحانه وحسن أسمائه جل وعلا" [٨٣] وتكون الحياة الدنيا كلها مرآة

---

[٨٢] الكلمات ص ٧٦٤ – ٧٦٥ – ٧٦٦ .

[٨٣] المكتوبات ص: ٢٩٧.

لجمال الله تعالى وجمال أسمائه وصفاته وأفعاله وذاته، ومزرعة للجمال الدائم والسعادة الغامرة في الجنة حيث النظر إلى وجه الجليل الجميل سبحانه وتعالى.

و" إن كل من يحمل قلباً حياً، لا شك انه يحب من كان ذا جمال وكمال وإحسان، وهذه المحبة تتزايد وفق درجات ذلك الجمال والكمال والإحسان، حتى تبلغ درجة العشق والتعبد. فيضحي صاحبها بما يملك في سبيل رؤية ذلك الجمال، بل قد يضحي بدنياه كلها لأجل رؤيته مرة واحدة. وإذا علمنا أن نسبة ما في الموجودات من جمال وكمال وإحسان إلى جماله وكماله وإحسانه سبحانه وتعالى لا يبلغ أن يكون لُميعات ضئيلة بالنسبة للشمس الساطعة .فإذن تستطيع أن تدرك – إن كنت إنساناً حقاً – مدى ما يورثه من سعادة دائمة ومدى ما يبعث من سرور ولذة ونعمة، التوفيق إلى رؤية مَن هو الأهل لمحبة بلا نهاية وشوق بلا نهاية ورؤية بلا نهاية في السعادة بلا نهاية. " (٨٤)

وكأني ببديع الزمان النورسي يحب أن يعرف العالم كله هذا المعنى الجميل فيصيح بأعلى صوته:

" أيها الناس إن سيدنا مليك هذا القصر الواسع البديع، يريد ببنائه هذا وبإظهار ما ترونه أمام أعينكم من مظاهر، أن يعرف نفسه إليكم فاعرفوه واسعوا لحسن معرفته. وإنه يريد بهذه التزيينات الجمالية ، أن يحبب نفسه إليكم، فحببوا أنفسكم إليه، باستحسانكم أعماله وتقديركم لصنعته، وإنه يتودد إليكم ويريكم محبته بما يسبغه عليكم من آلائه ونعمه وإفضاله، فأحبوه بحسن إصغائكم لأوامره وبطاعتكم إياه. وإنه يظهر لكم شفقته ورحمته بهذا الإكرام والإغداق من النعم فعظموه أنتم بالشكر. وإنه يريد أن يظهر لكم جماله المعنوي بآثار كماله في هذه المصنوعات الجميلة الكاملة فأظهروا أنتم شوقكم ولهفتكم للقائه ورؤيته ونيل رضاه." (٨٥)

فغاية الأمر في الحياة الدنيا أن يربط الإنسان الاتصال مع الكون الذي هو بمنزلة معرض بديع فيكون في " مقام التنزيه بإمتاع النظر إلى دقة اللطف في خلق الأشياء، ورقة الجمال في إتقانها، فيكون في وظيفة المحبة والشوق إلى جمال الفاطر الجليل والصانع الجميل " (٨٦)

---

(٨٤) الكلمات ص ٦٩٨ .

(٨٥) نفسه ص ١٣٠ .

(٨٦) نفسه ص ١٣٤ مع بعض التصرف.

فما في الحياة الدنيا من مظاهر الحسن والجمال إنما هي مرايا لجمال الخالق العظيم المتصف بكمال الجلال والجمال، وتناول لذات الدنيا والتنعم بمرايا الجمال المبثوث فيها ليس مقصـــودا لذاته لأنه زائل والزوال لا يناسب الجمال والسعادة، وإنما المقصد من تناولها تذكر المنعم بهـــا وتذكر جماله والتشوف إليه، ثم الإعداد لليوم العظيم يوم الجزاء الأوفى وتذوق الجمال الحق في جنة المأوى حيث كمال السعادة وقمة اللذة في النظر إلى وجه الخالق العظـــيم ذي الجـــلال والإكرام، هكذا يعلمنا النورسي النظر إلى الجمال، وهذا سبب وجدانه الجمال في كل شـــيء لأنه في كل لحظة من حياته لا ينفصل عن معرض الكون الذي يرى فيه تجليات جمال الخـــالق العظيم وجمال أسمائه الحسنى، فيبقى في ذكر دائم مستمر لكمال جلاله وجماله، متشوفا إليـــه فينسى كل عوارض الحياة، ويحتمل كل مشقة وعذاب في الدنيا لأنهـــا معـــراج إلى الجمـــال السرمدي وطريق إليه.

فهذه بعض معالم نظرية الجمال كما تبدو في رسائل النور. والنظرية بناء يشد بعضه برقاب بعض، ولهذا فإن نظرية الجمال كما سبق بيانها لها لوازم ومقتضيات وآثار ممتـــدة في حيـــاة المسلم، فهي تلازمه في اليوم والليلة، والسفر والحضر وفي سائر أحوال حياته ومحطات عمره.

آثار نظرية الجمال وفروعها

إن الفوائد العملية والآثار الواقعية لنظرية الجمال هذه تبدأ من الحياة الدنيا نفسها ثم ترتقي فائدة بعد أخرى، –من خلال الشوق والتشوف إلى كمال الجمال – حتى يعبر السالك مـــن دار الزوال إلى دار البقاء حيث يظفر بما تملكه الشوق إليه مدة الحياة الدنيا فيجد كمال اللذة فيشعر بالاكتفاء ويحس بتمام السعادة وهو ينظر إلى وجه الجليل الجميل فلا يطلب شيئا بعده فلا يزيد على قوله : "الحمد لله رب العالمين" كما بين الحق تبارك وتعالى في القرآن الكـــريم بقوله: {**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين**} (يونس: ٩ – ١٠). وما بين مقام عالم الزوال في الدنيا وعالم البقاء في الآخرة تحصل للمسلم الفوائد الآتية:

١ – فائدة التعلق بالجمال الباقي واعتبار الجمال المـــادي وســـيلة إلى الجمـــال الحـــق. فاستحضار جمال الخالق عز وجل من خلال تجلياته في الكون، والنظر إلى كل الجمال المبثوث في الوجود وكونه ظلا يسيرا من سنا جماله تعالى، يورث الشوق إلى أصل الجمـــال وكمالـــه ويحمل على التشوف في كل حين إلى لقاء الجليل الجميل للتنعم بالجمال الحق.

" فكل إنسان يشعر في وجدانه بلهفة شديدة لرؤية سيدنا سليمان عليه السلام الـــذي أوتي الكمال ويشعر أيضاً بشوقٍ عظيم نحو رؤية سيدنا يوسف عليه السلام الـــذي أوتي شطر الجمال، فيا ترى كم يكونُ مدى الشوق واللهفة لدى الإنسان لرؤية جمال مقـــدس وكمال منـــزّه، الذي من تجليات ذلك الجمال والكمال، الجنة الخالدة بجميـــع محاســـنها ونعيمها وكمالاتها التي تفوق بما لا يحد من المرات جميع محاسن الدنيا وكمالاتها.." [٨٧]

و إن المتشوف إلى لقاء الجليل الجميل يشتاق دائما إلى معرفة ما يرضيه وما يطلبه منه لأن المحب لمن يحب مطيع. وهكذا فليس في الحياة الدنيا من الجمال سوى ما يقود إلى رضـــوان الجليل الجميل عز وجل، فتكون بذلك كل طاعة جمالا يتلذذ به وتتقلد المعصية كل مظـــاهر القبح. وعلى هذا تكون الحياة الدنيا طريقا سالكا نحو الجمال الخالد في دار البقاء يوم لقاء الله تعالى والنظر إلى وجهه عز وجل. وفي أثناء هذا السلوك تحصل للســـالك لـــذتان عظيمتـــان أولاهما: التلذذ بالجمال المادي المبثوث في الكون وثانيهما التلذذ المعنوي باستحضار جمال الله وإن هذه اللذة المادية إنما هي ظل يسير من جماله وأثر من إنعامه والتفاته إلى عبده. فإن

" محبتك للأشياء الجميلة والأمور الطيبة، لما كانت محبة في سبيل الله، وفي سبيل معرفة صانعها الجليل بحيث يجعلك تقول :ما أجمل خلقه، إن هذه المحبة في حد ذاتها تفكر ذو لذة ومتعة، فضلاً عن أنها تفتح السبيل أمام أذواق حب الجمال والشوق إلى الحسن لتتطلع إلى مراتب أذواق أسمى وأرفع ، وتريه هناك كنوز تلك الخزائن النفيسة فيتملاها المرء في نشوة سامية عالية؛ ذلك لأن هذه المحبة تفتح آفاقاً أمام القلب ليحوّل نظره مـــن آثـــار الصانع الجليل إلى جمال أفعاله البديعة، ومن جمال الأفعال إلى جمال أسمائه الحسنى، ومـــن جمال الأسماء الحسنى إلى جمال صفاته الجليلة، ومن جمال الصفات الجليلة إلى جمال ذاتـــه

---

[٨٧] الكلمات ص ٧٧٩ .

المقدسة. فهذه المحبة وبهذا السبيل إنما هي عبادة لذيذة وتفكر رفيع ممتع في الوقت نفسه. "[88]

فالشهوات والغرائز البشرية تثور في الإنسان وهو على ظهر الأرض ليشاهد قبسا يسيرا من الجمال، ويذوق جزءا حقيرا من اللذة تدله على غيرها، ثم تثور القوى المعنوية لتسوقه إلى الجمال السرمدي، فتكون بذلك شهوات النفس ولذات الحياة الدنيا طريقا إلى اللذات الغامرة والجمال السرمدي في دار البقاء فتجتمع لصاحب هذا السلوك لذة الدنيا ولذة الشوق إلى لقاء الخالق المنعم "إذ المشاهد المشتاق لجمال سرمدي والعاكس الذي يعكسه كالمرآة، لابد أن يظل باقيا ويمضي إلى الأبد" [89] .

٢ – الولوع بالجمال ومحبته: لما كان كل جمال الكون المادي والمعنوي ظلا يسيرا لجمال الله تعالى فإن من محبة الله محبة خلقه الذي هو ظل لجماله، ومن محبة الجميل التشبه بجماله عز وجل.

"إذ ما دام رب العالمين له جمال مطلق وكمال مطلق – بشهادة آثاره ومصنوعاته – وإن الجمال والكمال محبوبان لذاتيهما، فمالك ذلك الجمال والكمال إذن له محبة بلا نهاية لجماله وكماله، وتلك المحبة تظهر بوجوه عدة وأنماط كثيرة في المصنوعات؛ فيولي سبحانه مصنوعاته حبًّه لما يرى فيها من أثر جماله وكماله" [90]

فالمتأمل في هذه المصنوعات المبثوثة في الكون يجد

" أن فيها فعل التحسين في منتهى الجمال وفعل التزيين في منتهى الروعة، فبديهي أن مثل هذا التحسين والتزيين يدلان على وجود إرادة التحسين وقصد التزيين لدى صانع تلك المصنوعات. فتلك الإرادة الشديدة تدل بالضرورة على وجود رغبة قوية سامية ومحبة مقدسة لدى ذلك الصانع نحو صنعته...

---

[88] الكلمات ص ٧٧٢ .
[89] الكلمات ص: ١٣٦
[90] الكلمات ص ٦٨٥ .

لذا فمن البديهي أن يكون أحب مخلوق لدى الخالق الكريم الذي يحب مصنوعاته هو مَن يتصف بأجمع تلك الصفات، ومَن يُظهر في ذاته لطائف الصنعة إظهاراً كاملاً، ومن يعرفها ويعرِّفها، ومَن يحبِّب نفسه ويستحسن - بإعجاب وتقدير - جمال المصنوعات الأخرى." [٩١]

فمن يستحضر هذا المعنى ينظر بعين التحسين والتقدير لكل ما خلق الله تعالى لأنه مرايا جماله، فلا يستجيز لنفسه أبدا أن يقبح ما جمل الله أو يدنس ما حسنه الخالق الجميل من مخلوقاته. ومن هنا فإن نظرية الجمال هذه أصل راسخ لحماية البيئة التي هي من المعضلات البشرية الكبرى في العصر الحاضر. فلا يمكن لمن ينظر من هذا المنظار أن يفسد جمال شجر أو نبات أو ماء لأنه يرى فيه فعل التحسين والتجميل من الخالق العظيم ويتذكر به جماله وجلاله عز وجل. ولهذا جعل النبي صلى الله عليه وسلم حماية البيئة وحفظ جمال الكون والطبيعة من شعب الإيمان والأمارات الدالة عليه التي يجب أن يتصف بها كل مسلم فقال صلى الله عليه وسلم : " الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لا إِلَهَ إلا اللهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ *" [٩٢] وقد عبر عن هذا المعنى أبو حامد الغزالي كما نقل عنه المناوي في " فيض القدير " في شرحه لحديث " إن الله جميل يحب الجمال" قال المناوي: (يحب الجمال) أي التجمل منكم في الهيئة أو في قلة إظهار الحاجة لغيره وسر ذلك أنه كامل في أسمائه وصفاته فله الكمال المطلق من كل وجه ويحب أسماءه وصفاته ويحب ظهور آثارها في خلقه فإنه من لوازم كماله، وهو وتر يحب الوتر جميل يحب الجمال عليم يحب العلماء جواد يحب الجود قوي يحب القوي فالمؤمن القوي أحب إليه من المؤمن الضعيف حيي يحب أهل الحياء والوفاء، شكور يحب الشاكرين، صدوق يحب الصادقين، محسن يحب المحسنين إلى غير ذلك ... كما قال حجة الإسلام ليس في الإمكان أبدع مما كان، فالعالم جمال الله وهو الجميل المحب للجمال فمن أحب العالم بهذا النظر فما أحب إلا جمال الله إذ جمال الصنعة لا يضاف إليها بل إلى صانعها.."

٣ - رؤية الجمال في كل شيء حتى في المحن والمصائب: فمادام الخالق المدبر جميلا فكل فعله جميل.

---

[٩١] الكلمات ص ٦٩١ .

[٩٢] صحيح مسلم كتاب الإيمان ، باب بيان عدد شعب الإيمان.

" فما نراه قبحاً في بعض المخلوقات، والآلام والأحزان التي تخلفها بعض الأحداث والوقائع اليومية لا تخلو أعماقُها قطعاً من أوجه جميلة، وأهداف خيرة، وغايات سامية، وحكم حبيئة، تتوجه بكل ذلك إلى خالقها الكريم كما قدّر وهدى وأراد. فالكثير من الأمور التي تبدو – في الظاهر – مشوشة مضطربة ومختلطة، إن أنعمتَ النظر إلى مداخلها طالعتك – من خلالها – كتابات ربانية مقدسة رائعة، وفي غاية الجمال والانتظام والخير والحكمة." (٩٣)

وإن " هناك تحت الأستار القبيحة ظاهراً نتائج في منتهى الجمال " (٩٤)

وإذا كان الموت أكبر المصائب التي تنزل بالإنسان على ظهر الأرض فإن نظرية الجمال النورسية تقدمه في حلل الحسن والجمال لأنه من فعل الجميل الجليل.

" إن الموت في حقيقته تسريح وإنهاء لوظيفة الحياة الدنيا، وهو تبديل مكان وتحويل وجود، وهو دعوة إلى الحياة الباقية الخالدة ومقدمة لها؛ إذ كما أن مجيء الحياة إلى الدنيا هو بخلق وبتقدير إلهي، كذلك ذهابها من الدنيا هو أيضاً بخلق وتقدير وحكمة وتدبير إلهي ... فموت الأثمار والبذور والحبوب الذي يبدو ظاهراً تفسخاً وتحللاً هو في الحقيقة عبارة عن عجن لتفاعلات كيمياوية متسلسلة في غاية الانتظام ... وهذا يعني أن موت البذرة هو مبدأ حياة النبات الجديدة، أزهاراً وأثماراً... فلئن كان موت النبات - وهو في أدنى طبقات الحياة - مخلوقاً منتظماً بحكمة، فكيف بالموت الذي يصيب الإنسان وهو في أرقى طبقات الحياة؟ فلا شك أن موته هذا سيثمر حياة دائمة في عالم البرزخ، تماماً كالبذرة الموضوعة تحت التراب والتي تصبح بموتها نباتاً رائع الجمال والحكمة. (ثم يسترسل رحمه الله في بيان أوجه الجمال في الموت) الموت إنقاذ للانسان من أعباء وظائف الحياة الدنيا ومن تكاليف المعيشة المثقلة. وهو باب وصال في الوقت نفسه مع تسعة وتسعين من الأحبة الأعزاء في عالم البرزخ، فهو إذن نعمة عظمى!

إنه خروج من قضبان سجن الدنيا المظلم الضيق المضطرب، ودخول في رعاية المحبوب الباقي وفي كنف رحمته الواسعة، وهو تنعم بحياة فسيحة خالدة مستنيرة لا يزعجها خوف، ولا يكدرها حزن ولا همّ... إن الشيخوخة وأمثالها من الأسباب الداعية لجعل الحياة صعبة

---

(٩٣) الكلمات ص ٢٥١ _ ٢٥٢ .

(٩٤) ملحق أميرداغ ص ٢٨١ .

ومرهقة، تبيّن مدى كون الموت نعمة تفوق نعمة الحياة. فلو تصورت أن أجدادك مع ما هـــم عليه من أحوال مؤلمة قابعون أمامك حالياً مع والديك اللذين بلغا أرذل العمر، لفهمت مدى كون الحياة نقمة، والموت نعمة ... الموت - الذي هو أخو النوم - رحمة ونعمة عظمى للمبتلين ببلايا يائسة قد تدفعهم إلى الانتحار. " [٩٥]

فالموت – وهو في ظاهره زوال وعدم – طريق البقاء وسبيل الوصال مع الأحبة، وعبـــور نحو الجمال الباقي في كنف رحمة الخالق العظيم ورؤية وجه الجميل الجليل حيث قمة السعادة وغاية اللذة.

٤ – العلوم الكونية اكتشاف لآثار جمال الله ومعرفة بجلاله ودالة عليه، فهي بمترلة ألسنة مختلفة لكنها تفصح عن معنى واحد هو جمال الله وجلاله. فعلوم الكون تبحـــث في الصـــنعة المبثوثة في العوالم، ولما كانت الموجودات كلها في النظرة الجمالية النورسية كلمات دالات على معان في غيرها، أي إنها مكتوبات ربانية تاليات لأسماء الله الحسنى، وليست دالة على معان في نفسها، فجميع علوم الكون لا يمكن أن تكون سوى مسالك تدل على جمال الخالق عز وجل وتفصح عن جماله وتعرف به. فقد..

"ثبت بالبحث والتحري الدقيق والاستقراء والتجارب العديدة للعلوم أن: الخير والحســـن والجمال والإتقان والكمال هو السائد المطلق في نظام الكون وهو المقصود لذاتـــه، أي هـــو المقاصد الحقيقية للصانع الجليل. بدليل أن كل علمٍ من العلوم المتعلّقة بالكون يطلعنا بقواعده الكلية على أن في كل نوع وفي كل طائفة انتظاماً وإبداعاً بحيث لا يمكن للعقل أن يتصـــور أبدع وأكملَ منه.

فمثلاً: علم التشريح الذي يخص الطب، علم المنظومة الشمسية الذي يخص الفلك وبقية العلوم التي تخص النباتات والحيوانات، كل منها تفيدنا بقواعدها الكلية وبحوثها المتعددة النظام المتقن للصانع الجليل في ذلك النوع وقدرته المبدعة وحكمته التامة فتبيّن جميعها حقيقة الآية الكريمة: {**الذي أحسن كل شيء خلقه** } (السجدة: ٧) " [٩٦] .

---

[٩٥] المكتوبات ص ٨ ــ ٩ .

[٩٦] صيقل الإسلام ص ٥٠٢ .

عِبَارَاتُنَا شَتَّى وَحُسْنُكَ وَاحِدٌ   وَكُلٌّ إِلَى ذَاكَ الجمال يُشِيرُ [٩٧]

إن الإنسان والكون والطبيعة وجميع الموجودات مرآة لأسماء الله الحسنى وتجليات لصفاته العليا عز وجل. فمعرفة أحوال الإنسان وصفاته الخلقية والمعنوية، واكتشاف حقائق الكون وقوانين الطبيعة إنما هو استكشاف الأسماء والصفات. فالعلوم المادية كلها إنما هي استنطاق للكون وما فيه من الموجودات بحثا عن بارئها واكتشافا لتجليات أسماء مدبرها والقائم على أمرها، فهي بذلك طريق وسلوك إلى الرقي المعنوي والسمو الروحي الذي يحصل بمعرفة الله تعالى ومحبته من خلال أفعاله وصفاته المتجلية في خلقه عز وجل ، ثم التشوف – من خلال تجليات جماله في الكون – إلى لقائه للتنعم بالجمال الحق الخالد. فالعلوم المادية كلها إنما هي نظر إلى الإنسان وإلى الآفاق بمطالعة كتاب الكون لاكتشاف تسبيحاته لأنه و"إن من شيء إلا يسبح بحمده" (الإسراء : ٤٤) ولأن الكون العظيم بمثابة حلقة ذكر، وبمنزلة مسجد عظيم تلهج فيه أنواع لا تحصى من الكائنات بأسماء الله الحسنى وتشهد بصفاته العليا. فالنظر في المخلوقات بما فيها من تجليات أسماء خالقها وصفات بارئها يحصل منه جمال عظيم هو لذة معرفة الخالق المنعم جل وعلا ومحبته، الناشئة من معرفة إنعامه وإفضاله. فعلى هذا النحو تكون علوم الدنيا كلها طريقا إلى الجمال وسبيلا سالكا إلى اللذة المعنوية الناشئة من معرفة الخالق ومحبته. وإن القرآن الكريم ليدل على هذا الطريق فيذكر الموجودات ليس لذاتها، وإنما لمعانيها وأصلها وغايتها. يقول النورسي في بيان ذلك:

" إن القرآن الكريم إنما يبحث عن الكائنات استطرادا للاستدلال على ذات الله وصفاته وأسمائه الحسنى، أي يفهم معاني هذا الكتاب كتاب الكون العظيم كي يعرف خالقه... إن القرآن يستخدم الموجودات لخالقها لا لأنفسها... فمثلا يبحث عن الشمس لا للشمس، ولا عن ماهيتها، بل لمن نورها وجعلها سراجا ... وما الانتظام والنظام إلا مرايا معرفة الصانع الجليل..." [٩٨]

فمعرفة خصائص الشمس وماهيتها و" أنها كتلة نارية عظيمة تدور في مستقرها حول نفسها، تطايرت منها شرارات سيارة" ليس علما حقيقة لأنه لا يحصل منه رقي معنوي

---

[٩٧] إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ص ٤٥ .

[٩٨] المكتوبات ص: ٢٦٩.

وروحي فهو خال من الجمال، لأن هذه المعرفة وقفت عند الموجود لذاته، ولم تنظر لما قبله ولا لما بعده ولا لخالقه ومدبر أمره، وهذا غاية ما انتهى إليه الفكر الفلسفي، فحصل منه الضياع وشاع فكر العبث، لأنه حول العالم إلى شيء تافه بلا خالق ولا مدبر، لا شيء قبله ولا شيء بعده، وحول معنى الموت إلى صورة الإعدام الأبدي والفناء النهائي والنهاية المرعبة المخيفة. ولهذا جعل القرآن الكريم علوم الدنيا لذاتها علما لظاهر الحياة الدنيا، وذلك في قوله تعالى: {**يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون**}(الروم: ٧). وأمر تعالى بالإعراض عن مثل هذا العلم في قوله عز وجل: {**فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا، ذلك مبلغهم من العلم**} (النجم: ٢٩ - ٣٠) [٩٩] ومعنى ذلك أن علوم الدنيا إنما يعتد بها لما فيها من فائدة التعريف بجمال الله وجلاله من خلال الدلالة على ظلال جماله وتجليات أسمائه المبثوثة في المصنوعات، لأن "كل علم من العلوم... يبحث عن الله دوما، ويعرف بالخالق الكريم بلغته الخاصة ..." [١٠٠] أي أنه يرقى به البشر فيدرك الرحمة والإحسان والتزيين والتحسين الإلهي ليقابل ذلك بالشكر والمحبة والتشوف إلى جماله الخالد.

خـــلاصة خـــاتمة

هذه هي معالم نظرية الجمال كما تبدو في رسائل النور وكما أفصح عنها بديع الزمان النورسي في مواضع متفرقة من رسائله، وهي بحق نظرية لأنها مترابطة الأجزاء، ولها قواعد وأصول وجزئيات وفروع. وخلاصتها أن الإنسان على ظهر الأرض يتشوف نحو الجمال الخالد والسعادة التامة، لكن الجمال الحق والسعادة الخالدة الكاملة ليست إلا في المقام في دار المقامة حيث ما لا عين رأت وأذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وحيث النظر إلى وجه الجليل الجميل الخالق العظيم سبحانه وتعالى. ولما تعذر ذلك في الدنيا بحكم التكليف وقيد الزمان والمكان والضعف والعجز الملازمين للإنسان فيها، فقد نصب الخالق العظيم في الكون علامات دالة على جماله وجلاله وبث في الكون مرايا شبه شفافة لجماله وخلق في الإنسان أجهزة وحواسا وجوارح وغرس فيه غرائز وشهوات حتى يبقى دائما على اتصال مع العالم من حوله فيذوق نزرا يسيرا من الجمال يدله على غيره ويذكره بجمال الله وجلاله فيبقى طيلة حياته

---

[٩٩] انظر ملحق أميرداغ ص: ٣٥٤-٣٥٥ فما بعدها.

[١٠٠] الشعاعات ص: ٢٥٧.

متشوفا نحو جمال الله الخالد فتكون حياته كلها سيرا وسلوكا نحو الجمال الكامل الخالد. وأثناء سير الإنسان هذا تحصل له فوائد جليلة عظيمة تجتمع فيها لذة الدنيا وزينتها ولذة الشوق إلى لقاء الجليل الجميل في الدنيا، ثم يبلغ الأمر تمام غايته في الدار الآخرة حيث كمال الجمال وتمام السعادة في جنة النعيم والنظر إلى وجه الخالق العظيم الجليل الجميل.

اللّهم ارزقنا لذة محبتك والشوق إلى لقائك أبدا ما حيينا، وارزقنا لذة النظر إلى وجهك والدخول في رحمتك الواسعة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وتول برحمتك الأستاذ بديع الزمان النورسي ووفق طلبة النور لخير الدنيا والآخرة وسدد خطاهم وأنجح مسعاهم آمين والحمد لله رب العالمين.

أبعادٌ جمالية
في دعوة الإيمان والقرآن

ذ.إحسان قاسم الصالحي
مركز بحوث رسائل النور – استانبول

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين

حضرات الأساتذة الكرام والأخوة الأعزاء والأخوات الفاضلات

نحييكم بتحية الإسلام من أعماق قلوبنا، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ وبعد

استهل كلامي بتقديم أجملَ شكرنا وأجزَله وأفضلَ امتناننا وأزكاه للسيد الفاضل الأستاذ الدكتور أحمد صابر عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية والدكتور محمد بنتهيلة رئيس شعبة الدراسات الإسلامية والدكتور عبد الكريم عكيوي رئيس اللجنة المنظمة ولجميع الأساتذة الكرام والعلماء الأفاضل والأخوة النجباء الأكارم الذين حضروا وساهموا وساعدوا وسعوا لتحقيق جمع هذا الشمل الميمون وهيأوا المناخ العلمي الملائم والجو الهادئ المناسب للتداول الفكري. فاللهم أجزل ثوابَهم واجعل كلَّ خطوة من خطواتهم التي قدموها في سبيل تجلية الإيمان في القلوب وترسيخه في النفوس في ميزان حسناتهم يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم.

وبعد

فقد منّ المولى الكريم علينا وفتح لنا وساقنا إلى ترجمة الأعمال الكاملة للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي وهي "رسائل النور" من اللغة التركية إلى اللغة العربية. وأود أن أعرض طرفا مما

لمسناه لمس اليد من الأبعاد الجمالية لدعوة رسائل النور، دعوة الإيمان والقرآن، وذلك عملاً بقوله تعالى (وأما بنعمة ربك فحدث) فأقول :

لقد وجدنا بفضل اللّه وكرمه سلواناً لآلامنا ورجاء أرواحنا في أثناء قيامنا بأعمال الترجمة على الرغم من الأيام العصيبة والسنين العجاف التي امتحننا بها القدر الإلهي تلك الحرب العراقية الإيرانية التي دامت ثماني سنوات.

نعم، هذا ما لمسناه لمس اليد من جمالية الروح القرآنية في رسائل النور التي كانت تسيل كالسلسبيل إلى عقولنا وتسري سريانا إلى أرواحنا وقلوبنا فتستقر فيها بإذن الله. فللّه الحمد في الأولى والآخرة.

فلقد علمتنا رسائل النور: "أن الحُسن والخير والحق والكمال، هو المقصود بالذات والغالب المطلق في خلق العالم. أما الشر والقبح والباطل، فهي أمور تبعية ومغلوبة ومغمورة، وحتى لو كانت لها الصولة فهي صولة موقتة..".[١٠١]

وعلمتنا القاعدة الجليلة: "مَنْ أحسنَ رؤيتَه حَسُنتْ رَوِيّتُه وجمُل فكرُه ومن جمُل فكرُه تمتع بالحياة والتذ بها".[١٠٢] بما وضعت أمامنا من أمثلة غزيرة من واقع الحياة.

فالنظر إلى الأحسن من كل شيء هي القاعدة التي ينطلق منها الأستاذ النورسي في رؤيته إلى جمال كل ما يقع عليه بصره وإن كان يبدو في ظاهر الأمر كريها.

ويستخلص لنا مما يورده من الأمثلة الكثيرة أن:

"العاقل هو مَن يعمل على قاعدة: (خذ ما صفا.. دع ما كدر) فيسير مع سلامة القلب واطمئنان الوجدان".[١٠٣]

وهكذا بأمثال هذه القواعد والأمثلة الواقعية من الحياة وضعت الرسائل فينا زاوية النظر إلى الوجود والحوادث. فعلمتنا كيف تتفجر ينابيع الجمالية في أعماق الإنسان بأخذه بتلك القواعد،

---

[101] بديع الزمان النورسي - صيقل الإسلام- ترجمة إحسان الصالحي (استانبول، دار سوزلر، ط.أولى عام ١٩٩٣م) ص ٥٣.

[١٠٢] بديع الزمان النورسي: المكتوبات – ترجمة إحسان الصالحي (استانبول ، دار سوزلر، ط. أولى عام ١٩٩٢م) ص ٦٠٦.

[١٠٣] نفسه ص ٣٦.

وكيف نتعامل مع تجليات الأسماء الإلهية الحسنى المتجلية في الوجود كله. منبهة إيانا أن الإنسان ابتداءً من أسرار نفسه وأعماق حياته إلى جزئيات الكون الواسع، إن لم يتلق معاني تلك الأسماء الجليلة في حياته لتنوّرها، سوف لا يرى الجمال في الوجود ولا يتعظ بالعبر والحكم في الحوادث. حيث لفتت أنظارنا إلى أن الموجودات كلها تفتقر إلى معنى في ذاتها، وتحتاج لمعرفة ماهيتها إلى إسم من الأسماء الحسنى؛ فشعرنا أننا نزاول تفاعلاً ذوقياً وقلبياً وروحياً وفكرياً مع معاني الأسماء الحسنى، لا تعاملا نظريا، بل استكشافياً، حتى أصبحت هذه النظرة لدينا مَلَكة وجزءاً من فطرتنا؛ فشاهدنا أنوار تجليات تلك الأسماء الحسنى فيما حولنا من موجودات، وفيما تجري من حوادث يومية حولنا، بل في كل شيء من جزئيات الحياة، وذلك لكثرة ما وضعت الرسائل بين أيدينا من أمثلة من واقع الحياة، فبتنا نستنشق تلك المعاني الجمالية بعقولنا ونتنفسها بقلوبنا وأرواحنا بل بجميع لطائفنا وأحاسيسنا ومشاعرنا.

وبهذا أصبحت الموجودات والحوادث في رؤيتنا مظاهر لتجليات الأسماء الحسنى ومكاتيب ربانية مفتوحة أمامنا نفهم منها معانيها الحقيقية، حتى لم يبق مجال للغفلة عن المولى الكريم، بل كسبنا بهذا التأمل والتدبر مرتبة من الاطمئنان القلبي واسعة سعة الكون، وانفتحت أمامنا عبودية دائمة وواسعة سعة الكون.. وعندها تحولت أنواع العلوم والمعارف التي قرأناها من خلال مناهج دراسية وأشكال الثقافة التي تلقيناها من مطالعاتنا للكتب وعبر قنوات ثقافية وإعلامية المسموعة منها والمرئية إلى أدوات لمعرفة اللّه ونوافذ تطل على وحدانيته ومسارب للعيش في أجواء تجليات الأسماء الحسنى. وكلما عاودنا قراءة الرسائل، ظهرت لنا من معاني الأسماء الحسنى أكثر، وأتتنا حقائقها تترى في تجاربنا اليومية وفي معاملاتنا الحياتية. وكلما انسكبت أنوار من تلك المعرفة الإلهية إلى أرواحنا ونفذت إلى قلوبنا انعكست في سلوكياتنا وتصرفاتنا.

علاوة على ذلك أنعشت الرسائل أرواحَنا وغرزت في قلوبنا ورسّخت في عقولنا أصولاً إيمانية وموازين قرآنية، مما أعاننا على اجتياز العقبات التي جابهتنا وحل المشكلات التي قابلتنا.

فغنمنا بفضل اللّه تعالى فراسة صادقة وبصيرة نافذة وأنواعاً من السعادة الحقة، والسرور الخالص، والنعمة التي ما بعدها نعمة، واللذة التي لا تفوقها لذة.. في معرفة الله.. في محبة الله.

انقل إلى أسماعكم مثالا واحدا فقط يبين به الأستاذ النورسي كيف يتحول الموت الذي هو أخوف ما يخافه الناس إلى سلوان.

يقول:

"نظرت أول ما نظرت إلى ذلك الوجه الذي يُرعب الجميع ويُتوهم أنه مخيف جداً .. وهو وجه "الموت" فوجدت بنور القرآن الكريم، أن الوجه الحقيقي للموت بالنسبة للمؤمن صبوح منور، على الرغم من أن حجابه مظلم والستر الذي يخفيه يكتنفه السواد القبيح المرعب". فــ"الموت: ليس اعداماً نهائياً، ولا هو فراقاً ابدياً، وانما مقدمة وتمهيد للحياة الأبدية وبداية لها. وهو إنهاء لأعباء مهمة الحياة ووظائفها ورخصة منها وراحة وإعفاء، وهو تبديل مكان بمكان، وهو وصال ولقاء مع قافلة الأحباب الذين ارتحلوا إلى عالم البرزخ..

وهكذا، بمثل هذه الحقائق شاهدت وجه الموت المليح الصبوح. فلا غرو لم انظر إليه خائفاً وجلاً، وانما نظرت إليه بشيء من الاشتياق".[١٠٤]

ويقول مخاطبا نفسه:

"إن أحبّتك كلَّهم، وعلى رأسهم وفي مقدمتهم حبيب اللّه صلى اللّه عليه وسلم، هم الآن في الطرف الآخر من القبر. فلم يبق هنا إلاّ واحدٌ أو اثنان وهم أيضاً متأهبون للرحيل".[١٠٥]

ويقول: "اعلم! أيها السعيد الشقي! إن القبر باب باطنه الرحمة، وظاهره من قِبَله العذاب.. وأودّاؤك ومَن تحبُّه أكثرُهم - حتى كلُّهم - ساكنون خلف هذا الباب. ألَمْ يأنِ لك أن تشتاق إليهم وإلى عالَمِهم.. فَتنظَّفْ، وإلاّ استقذروك.

لو قيل لك مثلاً: أن "الإمام الرباني احمد الفاروقي" قُدّس سرُّه[١٠٦]، ساكن الآن في الهند،

---

[١٠٤] بديع الزمان النورسي: اللمعات ــ ترجمة إحسان الصالحي (استانبول ، دار سوزلر، ط. أولى عام ١٩٩٣م) ص ٣٥٧.

[١٠٥] بديع الزمان النورسي: الكلمات ــ ترجمة إحسان الصالحي (استانبول ، دار سوزلر، ط. أولى عام ١٩٩٢م) ص١٩٣.

[١٠٦] الإمام الرباني: هو احمد بن عبد الأحد السرهندي الفاروقي (٩٧١-١٠٣٤هــ) الملقب بحق "مجدد الألف الثاني برع في علوم عصره، وجمع معها تربية الروح وتهذيب النفس والإخلاص لله وحضور القلب، رفض المناصب التي عرضت عليه، قاوم فتنة "الملك اكبر" التي كادت أن تمحق الإسلام. وفّقه المولى العزيز إلى صرف الدولة المغولية القوية من الإلحاد والبرهمية إلى احتضان الإسلام بما بث من نظام البيعة والاخوة

لاقتحمتَ المهالك وتركتَ الأوطان لزيارته. مع أن تحت اسم أحمد فقط ألوفُ نجومٍ حول شمسٍ مَن في الإنجيل اسمُه " أحمد" وفي التوراة "أُحيد" وفي القرآن "محمد".. وتحت اسم محمّد ملايين.. وهكذا كلُّهم خلف باب القبر في رحمة اللّه ساكنون. فلابد أن يكون نصبَ عينك دائماً "هذه الأساسات" وهي:

إنْ كنتَ له تعالى كان لك كلُّ شيء، وإنْ لم تكن له كان عليك كلُّ شيء.

وكلُّ شيء بِقَدَرٍ، فارضَ بما آتاك تزد يُسْراً على يُسْرٍ، وإلاّ زدْتَ مرضاً على مرض.

المُلكُ له، ويشتريه منك ليُبقيَه لكَ.. ويزول مجاناً لو بقيَ عندك.

وأنت فقيرٌ إليه من كُلِّ وجهٍ.

وأنت مقيّدٌ بجهات أربع مسدودة. تُساق إلى باب القبر المفتوح لك.

لا لذة للقلب حقيقةً فيما لا دوام فيه؛ تزول أنت، وتزول دنياك، وتزول دنيا الناس.

وستُنْزَع من الكائنات هذه الصورة. وسيُخلَع عليها أخرى. كالثانية، والدقيقة، والساعة، واليوم.. كأن الكائنات ساعة كبرى ... فلا تهتم بما يبقى لك أثراً في الفاني ويفنى عنك في الباقي".[١٠٧]

نعم، لئن كان الموت الذي يفر منه الناس يتحول برسائل النور إلى اشـــتياق وإلى جمـــال وسلوان فقس عليه المرض والشيخوخة والسجن وغير ذلك من المصائب والابتلاءات الـــتي لا تخلو منها الحياة.

وقد أجاد الأستاذ الدكتور سليمان عشراتي بأسلوبه الأدبي الرفيع في شرح تحول الآلام في ضمير النورسي إلى قيم سلوى بديلة بالعلاج القرآني الذي يتحول معه الضيق سعةً والإهانة عزاً والآلام عافيةً، وذلك في كتابه:" جمالية التشكيل الفني في رسائل النور" ننقل منه بضع فقرات:

والإرشاد بين الناس، طهر معين التصوف من الأكدار، تنامت دعوته في القارة الهندية حتى ظهر من ثمارها الملك الصالح "اورنك زيب» فانتصر المسلمون في زمانه وهان الكفار. انتشرت طريقته "النقشبندية" في أرجاء العالم الإسلامي بوساطة العلامة خالد الشهرزوري المشهور بمولانا خالد (١١٩٢ – ١٢٤٣هـــ). له مؤلفات عديدة اشهرها "مكتوبات» ترجمها إلى العربية محمد مراد في مجلدين.

[١٠٧] بديع الزمان النورسي: المثنوي العربي النوري ـــ تحقيق إحسان الصالحي (استانبول ، دار سوزلر، ط. ثانية عام ١٩٩٢م) ص ٢٣٢.

"ظل تفعيل الجمال نشاطَه وملجأه وملاذه في المحَن، وظلت الرسائل وسيطه إلى عالم السمو والسماحة.. فبالاستناد على فاعلية الجمال استطاع أن يغيّر في موازين القوى، وأن يبني استراتيجية النصر المؤكد.

إن الضربات التي ما انفكت تصيبه في الحياة كثيراً ما نجدها تأخذ في ضميره ومداركه قيَما عزائية بديلة، فهو يتحول بالأحداث الجسام وما يلمّ به من هموم إلى نوازل قَدَرية لا يرفضها ولا يثور ضدها لأنه وطّن النفس على أن يكبت الأوجاع ويحتمل الطعنات بصبر ينسجم مع إرادة الكفاح المتأصلة في أعماقه، إنه يرتفع بالوقائع إلى صعيد احتسابي يزيل عنها الحدة المؤذية ليغدو – من ثمة– مفهوم الحياة بالنسبة إليه امتحاناً للإنسان (الإنسان المؤمن بالخصوص)، وسبيلا شاقا تتجاذبه فيه منازع الخير والشر، وفق تدبير الهي لا يخرج عن نطاقه شيء...

بل إنه يتسامى بالخطب المؤلم ويضفي عليه من علامات الألفة والمعقولية ما ييسر على النفس أن تعايشه بإيجابية ورضى وتَحَمُّل، الأمر الذي يبيِّنُ السر الذي كان يجعل النورسي يحيا بتلك السماحة وذلك البِشر اليقيني الذي يملأ جوانحه وتترجمه نصوص الرسائل.

فلقد ظلت قدرتُه الإعلائية تسعفه على أن يتخطى المآزق والمضايقات بفضل ما سلّحه به القرآن من معنويات بات يتلقى بها الملمات والابتلاءات، ويوجهها صوب الأمل والوثوق بعدالة الخالق، لأن النورسي يستند إلى عقيدة تؤمن بوجود ربّ لم يخلق العباد عبثا، وإنما أوجدهم ليعملوا وليُبْتَلوا وينالوا حظوظهم بنَصفة.

حين وجد نفسه يعيش الاعتقال والحبس مع فئة من طلابه– ولم يكن على حال صحية مهيأة للمعاناة– جعل يعمل– روحيا– على تغيير شروط ذلك الواقع البئيس إلى حال من الرجاء والاطمئنان المعضدة للإيمان.

ولقد ظل يستلهم لتجاوز تلك الأوضاع الصعبة في المعتقل ما كانت تنطوي عليه جوانحه من إيمان، فانبرى يتأسي بتجربة الأبرار من أهل الله، ولا بدع أن يرى نفسه هو ومن معه من نزلاء السجن، تلاميذ ينتمون إلى المدرسة اليوسفية، يحيون ذات الواقع الذي عاشه نبي الله يوسف عليه السلام في غيابات السجن قضاء لأمر الله، وبذلك التكييف الروحي التجاوزي استهدى النورسي وصحبه إلى العلاج الذي يتحول معه الضيق سعة والإهانة عزاً والآلام عافية.

إن العبرة التي ينبغي أن نستخلصها من مثل هذه الأحوال هي أن النورسي امتلك طاقة معنوية عجيبة مهيأة للتحول بالشروط القاسية والوقائع الضاغطة على الفرد، إلى رحابة من البِشْرِ والانشراح ما يتساوى ومخزونات قلبه من الإيمان واليقين.

لقد وسعه أن يبتدع بقريحته الكلمة المسلية، المداوية، المعضدة له في أطوار محنته. فآهات التألم تحولت إلى نصوص نورية لا تضمد الجروح الشخصية فحسب، ولكنها تحمل نسائم الأمل إلى سائر المغبونين، وإلى كل من طوحت به الحيرة وأخمدت النور في عينيه.

إن هذه الروح التي ظلت تلازمه وتتيح له أن يقلب الأوضاع السيئة والأحوال الدامية كانت تستمد من طبيعته المنشرحة، الفياضة بالبشر، المؤمنة بأن الشر ما هو إلاّ وضع طارئ لا ينسجم مع ما أبدع الخالق من خير وجمال، وأن مآل الإنسان الصابر المحتسب هو النصر في الدارين..

بل لقد كان النورسي على مستوى رفيع من الدينامية في مجال رد الفعل وتحويل الأذى إلى مادة من الرضى والتسليم تنبض بالجمال وتشع بالعبرة..".[١٠٨]

وصدق شاعر المهجر إيليا أبو ماضي في الإبانة عن تذوق الجمال في قصيدته (فلسفة الحياة) حين قال:

والذي نفسه بغيـــر جمال ... لا يرى في الوجود شيئا جميلا

أيهذا الشاكي وما بك داء ... كن جميلا تـــر الوجود جميلا

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

[١٠٨] عشراتي سليمان، جمالية التشكيل الفني في رسائل النور، القاهرة، دار النيل، ط.الأولى ٢٠٠٥، ص٦١.

النور الجمال والجمالية
عند بديع الزمان سعيد النورسي
الحلقة الثانية

أ.د. محمد خروبات
جامعة القاضي عياض
مراكش

تقـــديم :

يكون هذا العرض الحلقة الثانية في سلسلة متابعتنا لموضوع (الجمالية والجمال عند بـــديع الزمان سعيد النورسي)، شاركنا بالحلقة الأولى في ندوة النورسي أديبا[١٠٩]، وأعـــددنا هـــذه الحلقة للندوة الدولية المنعقدة في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير والتي خصصت الجمال والجمالية عند بديع الزمان موضوعا لها [١١٠].

تدور موضوعات هذا العرض على أربعة محاور:

المحور الأول: **مرجعيات الجمال**، ويتضمن عنصرين:

---

[١٠٩] في الندوة الدولية المنعقدة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بابن مسيك الدار البيضاء- بتاريخ ١٧ – ١٨ ذي القعدة ١٤٢٣هـــ الموافق ل ٢١ – ٢٢ يناير ٢٠٠٣م بتعاون مع مركز النور للدراسات والبحوث باسطامبول ومختبر تحليل الخطاب بكلية الآداب بابن مسيك والمكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإســـلامي العالمي بالمغرب ، صدر البحث ضمن أعمال الندوة عن دار سوز للطباعـــة والنشـــر بتركيـــا – الأولى ١٤٢٥هـــ - ٢٠٠٤م.

[١١٠] الجمالية في الفكر الإسلامي المعاصر: بديع الزمان النورسي نموذجا – ٣١ مارس– ١ أبريل ٢٠٠٥ – تنظيم جامعة ابن زهر – كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير بتعاون مـــع مركـــز الثقافـــة والعلـــوم باسطامبول – تركيا.

١ — ١ — بديع الزمان والنور.

١ — ٢ — الإسلام والجمال.

المحور الثاني: **إدراك الجمال**، ويتضمن عنصرين:

٢ — ٣ — التجمل

٢ - ٤ — الحواس

المحور الثالث: **خصائص الجمال**: ويتضمن أربعة عناصر:

٣ - ٥ — سر الجمال

٣ - ٦ — قوة الجمال

٣ - ٧ — النور والجمال: أية علاقة؟

٣ - ٨ — الحب والجمال

أ ـــ حب الله

ب — حب الأنبياء والمرسلين

ج — حب النفس

د — محبة الزوجة

هـــ - محبة الوالدين والأولاد

و — محبة الأصدقاء والأقرباء

ز — محبة الدنيا

ح — محبة الطبيعة والأشياء الجميلة

المحور الرابع: **محددات تصنيفية**: ويتضمن ثلاثة عناصر .

٤ — ٩ — نوريون وظلاميون

٤ - ١٠ — لماذا الكلام عن النور في هذا العصر؟

٤ - ١١ — لا وسط بين الظلام والنور

خاتمـــــة .

المحور الأول : مرجعيات الجمال

نعني بـ (مرجعيات الجمال) الأصول التي يتم الرجوع إليها في الدلالة على الجمال وفي فهمه واستيعابه، نحدد هذه المرجعيات في مرجع وأصل، المرجع هو بديع الزمان سعيد النورسي الدال على الجمال بطريقة نورية، وأما الأصل فهو الإسلام بصفة عامة.

١ – ١ – بديع الزمان والنور.

لماذا النور ؟ وما علاقة النور بالجمال؟ وما علاقة النور والجمال ببديع الزمان؟..

الجواب أن النور انعكس على الرسائل وعلى الطلبة المتفتحين على الرسائل فجعلهم في أحسن حلة، ألم يسم بديع الزمان ذلك الصبي الصغير الذي لم يبلغ العاشرة من عمره، والذي جاء من قرية نائية فنسخ الرسائل ب (الزهرة المتفتحة)؟! ماذا تمثل الزهرة المتفتحة في جمال الطبيعة؟! وما ذا يمثل هذا النعت في تصوره النوري؟.

إن الطابع الذي تميز به بديع الزمان هو الجمال ذي السمة النورية، بديع الزمان من منظورنا، ومن منظور طلبته رجل جميل بالنور، إذا أزلت النور عن بديع الزمان فماذا تبقى؟ إذا فصلت النور عن النورسي كأنك فصلت النور عن الجمال، وإذا فصلت النور عن الجمال فلا جمال.. انه جمال نوري.

لقد عشق بديع الزمان النور منذ صغره، وواكبه في كل مراحل حياته، فهو من قرية نورس إليها ينسب (النورسي)، واسم والدته نورية، واسم أستاذه في الطريقة النقشبندية: سيد نور محمد، واسم أستاذه في الطريقة القادرية نور الدين واسم أستاذه في تعليم القرآن نوري، هذا ما قرره بنفسه، وسطره بقلمه، وهو يجيب على مسألة نعتها بأنها صغيرة، لكنها في العمق كبيرة[١١١]، ثم أضاف:

" وأكثر من يلازمني من طلابي ممن يسمون باسم النور، وأكثر ما يوضح كتبي وينورها هو التمثيلات النورية وأكثر ما حل مشكلاتي في الحقائق الإلهية هو اسم "النور" من الأسماء الحسنى، ولشدة شوقي نحو القرآن، وانصهار خدمتي فيه فإن إمامي الخاص هو سيدنا عثمان ذي النورين رضي الله عنه". [١١٢]

---

[١١١] انظر الملاحق ص ٧٠ – ٧١ .

[١١٢] المصدر السابق ص ٧١.

ونضيف أن هذا انعكس في اسمه الشخصي المركب من كلمات ذات مفاهيم جمالية : بديع الزمان سعيد النورسي.

لك أن تتأمل هذا لتدرك أن شخص بديع الزمان كان مرجعا من مرجعيات الجمـــال لا لشيء إلا لأنه فهم الجمال وتذوقه من موقع النور فدل عليه.

١ – ٢ – الإسلام والجمال:

لا ننشد هنا نظرية في موضوع الجمال مجردة تكون بمثابة دعوة مقتبسة مـــن نظريـــات فلسفية معينة بل أفكار مستوحاة من الإسلام، إنما تدور في السياق الكلي لتعاليم الدين لتطهر الذوق والحس والإدراك والتصور من عفونة القباحة الممسوحة باسم الفن والجمال.. وما أكثر الفن العفن الذي لوث الفطرة، ولطخ العقل وأفسد الطبع..

لماذا الإسلام والجمال؟ لأن مفاهيم الإسلام لأهل النور كلها جمال في جمال... فالجنان في الآخرة جمال، وأسماؤها جميلة، وكل ما في الجنة جميل {**فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**}(الزخرف:٧١)، والملائكة والحياة الدنيا والحياة الآخرة كلهـــا مفـــاهيم جمالية. فالجمال المستوحى من تعاليم الإسلام هو وعد وجزاء، ونعيم يتلذذ به المؤمن بالبصر ثم بالتذوق والمخالطة ، يحلل بديع الزمان ذلك بعبارته الرائعة المشبعة بالشواهد والأمثلة فيقول:

" في هذه الدنيا القبيحة الميتة التي أغلبها قشر، يكفي للجمال والحسن أن يبـــدو جمـــيلا للبصر، ولا يكون مانعا للألفة، بينما في الجنة التي هي جميلة وحية ورائعة وكلها لب محض لا قشر فيه تطلب حواس الإنسان كلها – كالبصر – ولطائفه كلها أخـــذ حظـــوظ أذواقهـــا المختلفة، ولذائذها المتباينة من الجنس اللطيف، وهن الحور العين، ومن نساء الدنيا لأهل الجنة وهن يفضلن الحور العين بجمالهن، بمعنى أن الحديث الشريف يشير إلى أنه ابتداء من أعلى طبقة من جمال الحلل حتى مخ السيقان في داخل العظام، كل منها مدار ذوق لحس معين، وللطيفـــة خاصة.

إن الحور العين جامعة لكل نوع من أنواع الزينة والحسن والجمال المادية والمعنوية، الـــتي تشبع وترضي كل ما في الإنسان من مشاعر وحواس وقوى ولطائف عاشقة للحس، ومحبـــة للذوق، ومفتونة بالزينة ومشتقاته إلى الجمال... بمعنى أن الحور يلبسن سبعين طرازا من أقسام

زينة الجنة دون أن يستر أحدها الآخر، إذ ليس من جنسه، بل يبدين جميع مراتب الحسن والجمال المتنوعة بأجسادهم وأنفسهن وأجسامهن بأكثر من سبعين مرتبة" [١١٣].

ليس هذا كل ما يقدمه الإسلام عن الجمال.. بل لبديع الزمان وقفات طويلة مع القرآن الكريم، لأن القرآن نور، وإذا كان كذلك فكيف يدل على الجمال؟

يدل على الجمال بأدبه، لأن أدب القرآن يرزق تذوق عشق الجمال، فالقرآن لا ينظر إلى الكائنات نظرة طبيعية بل يقدمها صنعة إلهية، صنعة رحيمة بصيرة بدلا من طبيعة جامدة عمياء، إن الشمس مثلا تهب النور لكنها ليست هي النور بحد ذاتها..

"فهذه الشمس التي هي فقاعة صغيرة جدا مضيئة لماعة على سطح بحر السماء، وهي مرآة صغيرة كثيفة تعكس تجلي اسم النور للقدير على كل شيء، هذه الشمس تبين نماذج الأسس الثلاثة لهذه الحقيقة القرآنية، إذ لا شك أن ضوء الشمس وحرارتها كثيفة كثافة التراب بالنسبة لعلم وقدرة من هو نور النور، ومنور النور، ومقدر النور"[١١٤] .

المحور الثاني : إدراك الجمال

الجمال موجود ودلالة وجوده الكلام عليه، ولابد من التمييز بين الجمال والكلام عن الجمال.. فالكلام عن الجمال لا يشير إلا إلى وجوده، وليس كل من تكلم عن الجمال هو جميل حقا... إذا كان الجمال مطلبا ومقصدا وغاية للحلول في الذات فكيف يدرك إذا؟

يدرك الجمال بعنصرين، الأول: التجمل، والثاني: الحواس.

٢ – ٣ – التجمل:

لكي تدرك الجمال عليك أن تتجمل بالنور، وهذا النور هو نور الإيمان، إذا نورت إيمانه سمي بك إلى أعلى عليين لتكتسب قيمة تجعلك لائقا للتمتع بنعيم الجنة، نور إيمانك يرفعك في

---

[١١٣] الكلمات ص ٥٨٩. يشير هنا إلى الحديث المرفوع الذي جاء فيه: (على كل زوجة سبعون حلة، يرى مخ سوقهما) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه والإمام احمد في مسنده والرامي في سننه والحميدي في مسنده، راجع تفصيل ذلك في (تخريج آثار المجلد الأول والثالث من رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي) بحث لنيل شهادة الإجازة في الدراسات الإسلامية من إنجاز الطالب سهيل افركيس، قدم تحت إشرافنا برسم السنة الجامعية ٢٠٠٢/٢٢٠٣ م – ص ٤١ .

[١١٤] الكلمات ص ١٨٣.

سلم درجات الإيمان، لأن الإيمان (بضع وسبعون شعبة أعلاه لا إله إلا الله، وأدناه إماطة الأذى عن الطريق)[115] .

وفي المقابل إن جفاف الإيمان يتردى بالظلاميين إلى أسفل سافلين، فيجعلهم في موضع يؤهلهم ليذوقوا نار جهنم.

إن التجمل الذي هو بمعنى إظهار محاسن الذات ومفاتنها هو غير مقصود هنا، إن التجمل الموصل إلى الجمال الحقيقي هو التحلي بمرايا اللطائف الإنسانية التي وهبتها لك تجليات الأسماء، وستكون " كمثل الجندي الذي يتقلد الشارات المتنوعة التي منحها له السلطان في مناسبات رسمية، يعرضها أمام نظره ليظهر آثار تكرمه عليه وعنايته به".[116]

القرآن كلام جميل، ولفظ طيب، هب أن شخصا عمد إليه فكتب حروفه بمداد من ذهب وجوده بأحسن الخطوط، وجمله بأسمى الألوان وأرقاها، ثم في صانه في جلود جيدة مزركشة ثم وضعه في زاوية وهجره ليعمل بضده... هل هذا هو التجمل المقصود؟ وهل حقق الجمال المراد؟.

الناس تجاه القرآن على أصناف، يحددهم الحديث المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة: ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن، كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر) [117].

تلك هي مستويات التجمل، تجمل يدرك به الجمال، وتجمل لا يدرك به لا الجمال ولا نقيض الجمال، وتجمل يدرك به نقيض الجمال وحده.

---

[115] الحديث المرفوع الصحيح، أخرجه الإمام مسلم في صحيحه – كتاب الإيمان – باب بيان محدد شعب الإيمان – ٦٣/١ حديث رقم ٣٥

[116] الكلمات ص ١٣٨.

[117] حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في جامعه الصحيح – كتاب فضائل القرآن – باب فضل القرآن على سائر الكلام في فتح الباري ٦٦/٩ رقم الحديث ٥٠٢٠. وأخرجه مسلم بن الحجاج في صحيحه – كتاب صلاة المسافرين وقصرها – باب فضيلة حافظ القرآن – ٥٤٩/١ رقم ٧٩٧.

إن التدرج في مستويات الإيمان نحو الزيادة من شأنه أن يذيب فوارق كثيرة، ويزيل عقبات شديدة، ويحس الإنسان أنه يخطو خطوات في مدارج الجمال.

"يكتسب الإنسان بالإيمان قيمة سامية من حيث تجلي الصنعة الإلهية فيه، وظهور آيات نقوش الأسماء الربانية على صفحة وجوده، أما الكفر فيقطع تلك النسبة وذلك الانتساب، وتغشى ظلمته الصنعة الربانية وتطمس على معالمها، فتنقص قيمة الإنسان حيث تنحصر في مادته فحسب، وقيمة المادة لا يعتد بها فهي في حكم المعدوم، لكونها فانية، زائلة، وحياتها حياة حيوانية مؤقتة". [118]

"إذا تسلل الكفر– الذي هو عبارة عن قطع الانتساب إلى الله — في الإنسان فعندئذ تسقط جميع معاني نقوش الأسماء الحسنى الإلهية الحكيمة في الظلام، وتمحى نهائيا، ويتعذر مطالعتها وقراءتها، ذلك لأنه لا يمكن أن تفهم الجهات المعنوية المتوجهة فيه إلى الصانع الجليل، بنسيان الصانع سبحانه، بل تنقلب على عقبيها، وتندرس أكثر آيات الصنعة النفيسة الحكيمة وأغلب النقوش المعنوية العالية، أما ما تبقى منها مما يتراءى للعين فسوف يعزى إلى الأسباب التافهة إلى الطبيعة والمصادفة، فتسقط نهائيا وتزول حيث تتحول كل جوهرة من تلك الجواهر المتلألئة إلى زجاجة سوداء مظلمة، وتقتصر أهميتها آنذاك على المادة الحيوانية وحدها" [119].

إذا كان الجمال يتحصل بالتجمل بالمعنى الذي حدد ناه من المنظور النوري فإن حواس الذات لها أهمية بليغة في تحصيل الجمال.. لكن على هذه الحواس أن تكون سليمة أولا وأن لا تتعطل وظيفتها ثانيا ، لهذا السبب قصدها بديع الزمان قصدا، وعينها عضوا بعضو.

٢ — ٤ — الحواس :

الحواس التي يخاطبها بديع الزمان هي أربعة، وهي حواس مسؤولة، كل حاسة هي عضو مستقل، له جهازاته ووظائفه وعبادته، فالخلل الذي يتوهم أنه واقع في الجمال هو غير واقع على الحقيقة إنما هو واقع في الحواس، فإذا كانت الحواس سليمة ومهذبة كانت قراءة العقل للجمال قراءة مهذبة وسليمة، ومن هنا يجب التمييز بين حواس موجودة وفاعلة، وحواس

---

[118] الكلمات ص ٣٤٨.
[119] الكلمات ص ٣٤٩ — ٣٥٠.

موجودة ومعطلة، فأهل النور حواسهم فاعلة، وأهل الظلمات حواسهم معطلة: {**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ**} (البقرة:١٧١) { **لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**} (الأعراف:١٧٩).

الحواس المقصودة هنا هي : العين والأذن والشم والذوق.

١ – **العين**:" تشاهد الجمال في الصور، وترى معجزات القدرة الإلهية الجميلة في عالم الشهود، فتؤدي وظيفتها بتقديم الشكر لله من خلال نظرتها ذات العبرة، ولا يخفى على أحد مدى ما فيها أي الرؤية، من لذة وما يحصل من زوالها من ألم، لذا لا داعي لتعريف لذة الرؤية وألم فقدانها"[١٢٠].

٢ – **الأذن**: " تشعر بلطائف الرحمة الإلهية السارية في عالم المسموعات، بسماعها أنواع الأصوات، ونغماتها اللطيفة المختلفة، فكلها عبادة خاصة بها، ولذة تخصها، وثواب يعود إليها"[١٢١].

٣ – **حاسة الشم**: " تشعر بلطائف الرحمة الإلهية الفواحة من شذى أنواع العطور والروائح، فإن لها لذتها الخاصة به ضمن أدائها شكرها الخاص، ولا شك أن لها ثوابا خاصا بها"[١٢٢].

٤ – **حاسة الذوق**: " التي في الفم، فهي تؤدي وظيفتها، وتقدم شكرها المعنوي بأنماط شتى من خلال إدراكها مذاقات أنواع الأطعمة ولذائذها" [١٢٣].

ثم انه لا يستثني من الأعضاء الفاعلة والفعالة القلب والروح والعقل باعتبار أن هذه الأعضاء جميعا هي تعبير عن (جامعية فطرة الإنسان)، ويجب على العضو الواحد منها أن يتطهر ويتهذب ليكون فاعلا وإذا تلطخ كان خاملا، وإذا أصابه الخمول أنبأ بعكس ما ينبغي، واستعمل غير ما لأجله وجد.

---

[١٢٠] انظر الكلمات ص ٧٧٤.

[١٢١] المصدر السابق.

[١٢٢] المصدر السابق.

[١٢٣] المصدر السابق.

المحور الثالث: خصائص الجمال

يتضمن هذا المحور الكلام عن بعض خصائص الجمال، وهذه الخصائص هي مستوحاة من رسائل النور .

٣ – ٥ – سر الجمال :

هذا السر ليس بعيدا عنك، انه قريب منك، ولكي تقف عليه في الكون وفي الطبيعة وفي نفسك يمثله لك بمثال واضح يدعوك إلى تأمله جيدا، هذا المثال هو مثال السلطان الذي لــه خيرات كثيرة ومحاسن وافرة عديدة، وخزائن متنوعة، وحيث إن كل ذي جمال وكمال يحب أن يظهر كماله وجماله، فقد فتح هذا السلطان معرضا هائلا ليطلع هو بنفسه على ذلــك، ثم ساق ذلك العرض في قصر كبير استدعى إليه حاشيته وأقطار مملكته، ثم علم أحد المرشــدين الدالين على دهاليز القصر وممراته، وبين له كل ما في القصر من أسرار، ثم طفق هذا المعلــم يرشد الناس ويدعوهم إلى هذه الخيرات الحسان ليتلذذوا بالجمال، وليتذوقوا الخيرات الحسان، لكن الناس انقسموا إلى فريقين: فريق لبى الدعوة، فسمع وتعلم فهو يتمتع بها ويــؤنس بهــا، وفريق فسد عقله وانقبض قلبه فراح يسال ويتساءل، ولما أعياه السؤال توجه إلى تلك الــنعم فالتهمها بشراهة ونهم كالحيوان، فأطبقت عليهم الغفوة والنوم، وغشيهم السكر حتى فقــدوا أنسيتهم، وتلاعبوا بنظام وقوانين القصر، ولم يعبأوا بها، ولا احترموها بل تكابروا وجحدوا.

إن صاحب القصر هو السلطان العظيم، رب السماوات والأرض وما بينهمــا الــرحمن الرحيم.

والمعلم هو الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم المبعوث معلما وهاديا ورحمة للعالمين.

والفريق الأول هم فريق أهل هذا النور، من المؤمنين، المصدقين، والفريق الثاني هم أهــل الكفر والطغيان من أهل الظلام[١٢٤].

٣ – ٦ – قوة الجمال وجاذبيته:

إن الجمال ليس سهلا في ظهوره كسهولة تمتع أصحاب الفريق الثانية به، لأن السهولة التي جعلتهم يتمتعوا بالجمال من خلالها ستنقلب إلى صعوبة أبدية، وستتحول نشوة السعادة الظرفية إلى شقاء دائم..

---

[١٢٤] حقق هذا التمثيل في الكلمات ص (١٢٩ – ١٣٦).

لقد وصل الجمال على اكتماله بكد وسعي، واعلم أن الزهرة التي تراها علـــى الـــروابي والورود التي تشاهدها على البطاح مرت من مراحل وأطوار عديدة، كانت في البداية بـــذرة ضعيفة هزيلة وقعت في قبر مظلم فذاقت البرودة والمطر، وضاقت من مضايقات الذود ومناقير الطير، وزاحمتها طفيليات شتى ثم كدحت لتخرج شيئا فشيئا متخطية الصعاب والمشاق علـــى مر الأيام والليالي، فرفعت رأسها وأخرجت حسنها ثم تبدى لك جمالها.. هكذا يظهـــر لـــك الجمال، إنه يجاهد ليصل إلى الاكتمال.

٣ – ٧ – النور والجمال : أية علاقة !

العلاقة هي كالعلاقة بين وردة جميلة في ظلام دامس وضوء انكشف فأراها لـــك، لـــولا الضوء لما اهتديت لها، ولبقيت في الظلام سنين إلى أن تذبل وتموت.

إن وظيفة النور هي تجميل الأشياء والمخلوقات في ذاتها أولا ثم إبدائها على وجه جمالهـــا الحقيقي حتى ترى وتشاهد..

"النور أو الضوء بدلالة وظائفه الحكيمة الأخرى إنما هو للإعلان عـــن مصـــنوعات الله سبحانه، وعرضها بإذنه أمام الأنظار، أي أن الضوء مسخر من لدن خالق حكيم، ليظهر بـــه سبحانه عجائب مخلوقاته، ويعرض تحت شعاعه بدائع مصنوعاته في معارض سوق العـــالم". [١٢٥] أو سوق الجمال..

إن النور المعبر عنه بـــ (الضوء) هنا يصدر من مصدر هو الشمس ، والشمس في حقيقة الفهم النوري ما هي إلا "مرآة صغيرة كثيفة تعكس تجلي اسم النـــور للقـــدير علـــى كـــل شيء"،[١٢٦] وعلى النظر أن لا يجثم على مظهر النور ومصدرها الشمسي وانعكاســـها علـــى الحياة الدنيا، على البصيرة أن تتوجه إلى النور الحقيقي وهو نور الرب الذي هو " نور النـــور، ومنور النور، ومقدر النور" [١٢٧] ، أما الانحباس في ضوء الحياة الدنيا انحباسا طبيعيـــا {**وَمـــا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ**}(آل عمران: ١٥٨)، والآية تعطي درسا للعبرة، وصفعة قوية على جبين الغفلة.

---

[١٢٥] الكلمات ص ٨٠٦ .

[١٢٦] المصدر السابق ص ١٨٩.

[١٢٧] المصدر السابق ص ١٨٩.

لذلك فطالب النور عليه أن يميل ميلة عظيمة لتحصيل الجمال بالنور، فهي نتيجة حصلها طلبة رسائل النور، وأقسموا عليها بالله فقالوا: " إننا كلما انشغلنا في خدمة النور وجدنا السعة في المعيشة، والانشراح في القلب، وفرحا غامرا يملأ كياننا"(١٢٨) .

تلك هي نظرة النوري إلى الحياة، إنها نظرة انشراح وتفاؤل، ونظرة سعادة وحب.

٣ – ٨ – الحب والجمال:

في الحلقة الأولى تكلمت في عنصر من عناصر العرض عن الحب والجمال وقصدت به حب العبد لله(١٢٩)، وهو أول حب يأتي في مقدمة ترتيب أنواع الحب، وفي هذا العنصر نشير إلى باقي عناصر الحب نرتبها حسب الأهمية(١٣٠)، وهي حب الله، وحب الأنبياء عليهم السلام وحب النفس وحب الزوجة وحب الوالدين والأولاد وحب الأصدقاء والأقرباء والمؤمنين وهو (الحب في الله)، وحب الحياة الدنيا وحب الأشياء الجميلة، وهي ثمانية أنواع من الحب نشير إليها واحدا بعد آخر.

أ – حب الله :

قدمنا هذه المحبة في الكلام لأنها أصل لكل الأنواع التي ستأتي، منها تتفرع وإليها تعود، هذه المحبة هي (المحبة الربانية) وهي الأصل، إذا فسدت فسدت كل ما سواها، واختل كل ما عداها، وإذا سلمت وصحت سلم كل ما سواها بل أصبح من المتيسر إصلاح وإقامة الأنواع الأخرى، وهذا مؤصل بنصوص من القرآن والسنة الصحيحة.

محبة الله نتيجة للإيمان به، والإيمان بالله حق الإيمان هو سبب لحبه، والنتيجة المحصلة منهما هي:

" رؤية جمال مقدس وكمال منـزه للذات الجليلة سبحانه وتعالى كما هي ثابتة بالحديث الصحيح والقرآن الكريم، هذه الرؤية التي تساوي ساعة منها ألف ألف سنة من نعيم الجنة ذلك النعيم الذي ساعة منه تفوق أل ألف سنة من حياة الدنيا الهنيئة كما هو ثابت لدى أهل العلم والكشف بالاتفاق"(١٣١).

---

(١٢٨) الملاحق ص ١١٣.

(١٢٩) انظر النورسي أديبا... ص ٥٠.

(١٣٠) في الكلمات ذكرت على غير ترتيب ، انظر ص (٧٧٥ – ٧٧٩).

(١٣١) الكلمات ص ٧٧٩.

" كل إنسان يشعر في وجدانه بلهفة شديدة لرؤية سيدنا سليمان عليه السلام الذي أوتي الكمال، ويشعر أيضا بشوق عظيم نحو رؤية سيدنا يوسف عليه السلام الـذي أوتي شـطر الجمال، فيا ترى كم يكون مدى الشوق واللهفة لدى الإنسان لرؤية جمال مقدس وكمـال منـزه، الذي من تجليات ذلك الجمال والكمال الجنة الخالدة بجميع محاسنها ونعيمها وكمالاتها التي تفوق بما لا يحد من المرات جميع محاسن الدنيا وكمالاتها..". [١٣٢]

ثم يختم داعيا: (اللهم أرزقنا في الدنيا حبك، وحب ما يقربنا إليك، والاسـتقامة كمـا أمرت، وفي الآخرة رحمتك ورؤيتك)[١٣٣].

ب – حب الأنبياء والمرسلين:

يأتي حبهم في الدرجة الثانية، لأن حبهم مرتبط بحب الله، فحب الله لا يستقيم إلا بحبهم، لأنهم هم الدالين على الإيمان، والموجهين إلى الصراط المستقيم، والصـراط هـو الاسـتقامة، والاستقامة هي طريق للوصول إلى السعادة والجمال الدائمين.

إن النتيجة المحصلة من حبهم يحددها النورسي في كسب شفاعتهم في عالم الـبرزخ وفي الحشر الأعظم فضلا عن الاستفاضة بتلك المحبة من فيوضات مقاماتهم الرفيعة ومراتبهم اللائقة بهم[١٣٤].

"إن محبة الأنبياء عليهم السلام، والأولياء الصالحين فهي أيضا لوجه الله، وفي سبيله مـن حيث أنهم عباد الله المخلصون المقبولون لديه جلا وعلا، فمن هذه الزاوية تصبح تلك المحبـة لله". [١٣٥]

ج – محبة النفس:

المحبة التي يقصدها النورسي هنا هي الالتفات إلى عيوب الذات لإصـلاحها، إحلالهـا بالفضائل والمكارم، وتخيلتها من الذنوب والرذائل لإكمالها وتزكيتها حتى تكون في مسـتوى ملقاة ربها.

---

[١٣٢] المصدر السابق

[١٣٣] المصدر السابق .

[١٣٤] الكلمات .. ص ٧٧٧ .

[135] الكلمات ص ٧٦٥.

إن النفس التي عافت ملذات الدنيا و لم تنجس فيها، وقاومت شهوات الذات البهيميـــة، وتركت في سبيل السمو رغبات كثيرة، ومالت عن نـــزوات عديدة أعد لها ربهـــا مكافـــأة عظيمة، تلك المتمثلة في الجمال الأبدي الخالد، جمال العور العين " المترفلات بسبعين حلة من حلل الجنة المتنوعة بأنواع لطائفها وزينتها، والمتجملات بسبعين نوعا من أنواع الحسن والجمال حتى كأنهن جنة مجسمة مصغرة تنبض بالروح والحياة "،كل ذلك " لقربها عين الـــنفس الـــتي أطاعت الله، وتهدأ بها المشاعر التي اطمأنت إلى أوامر الله"(١٣٦).

د – محبة الزوجة :

الزوجة شريكة العمر، قد تكون شريكة عمر محدود في الحياة الدنيا، وقد تكون شـــريكة الحياة الأخرى، ودور الزوجة في تذوق الجمال شيء عجيب، فهي مودع الجمال إذا تجملت، وهي ركن القبح إذا تقبحت، والدنيا جمال ومتاع لكن خير متاعها وجمالها الزوجة الصـــالحة كما في الحديث، ذلك هو السر في محبة الزوجة الصالحة، ثم لحبها مزية أخرى هو أن جمالها في الجنة يفوق جمال الحور العين، وزينتها أزهى من زينتهن، وحسنها يفوق حسنهن، تتجاذب مع زوجها الحديث عن الأيام الخوالي، أحداث أيام الحياة الدنيا .

ينصح بديع الزمان فيقول:

" ثم إن محبة الزوجة وهي رفيقة حياتك فعليك بمحبتها على أنها هدية أنيسة لطيفة مـــن هدايا الرحمة الإلهية، وإياك أن تربط محبتك لها برباط الجمال الظاهري السريع الـــزوال، بـــل أوثقها بالجمال الذي لا يزول ويزداد تألقا يوما بعد يوم، وهو جمال الأخلاق والسيرة الطيبـــة المنغرزة في أنوثتها ورقتها، وإن أحلى ما فيها من جمال وأسماه هو في شفقتها الخالصة النورانية، فجمال الشفقة هذا، وحسن السيرة يدومان ويزدادان إلى نهاية العمر، وبمحبتهما حقوق هذه المخلوقة اللطيفة الضعيفة، وإلا تفقد حقوقها في وقت هي أحوج ما تكون إليها، بزوال الجمال الظاهري".(١٣٧)

هـــ – محبة الوالدين والأولاد:

الوالدان لهما فضل كبير في زرع المحبة في قلبك، هما مودع الحب وركنه، من الوالـــدين

---

(١٣٦) المصدر السابق ص ٧٧٦.

(٢٩) الكلمات ص ٧٦٥.

يتعلم الأولاد الحب ومنهما يتعلم الكره والبغض.. إذا زرع الله في قلبك الحب بكل أنواعه اللطيفة والجميلة فمرجع ذلك إلى الوالدين فبادلهما بجنس ما أعطياك، ووف لهما حق ما زرعا فيك، وإلا غدرت وعصيت وتنكرت وكنت في أهل الظلام. وفي هذا الباب ينصح ويقول:

" ثم إن محبتك للوالدين واحترامهما إنما يعودان إلى محبتك لله سبحانه، إذ هو الذي غرس فيهما الرحمة والشفقة حتى قاما برعايتك وتربيتك بكل رحمة وحكمة، وعلامة كونهما محبة لوجه الله تعالى هي المبالغة في محبتهما واحترامهما عندما يبلغان الكبر، ولا يبقى لك فيهما من مطمع، فتكثر من الشفقة عليهما والرحمة لهما رغم ما يشغلانك بالمشاكل ويثقلان كاهلك بالمشقة، فالآية الكريمة: {**إمَّا يَبْلُغَنَّ عندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً**}(الإسراء:٢٣) تدعو الأولاد رعاية حقوق الوالدين في خمس مراتب، وتبين مدى أهمية برهما وشناعة عقوقهما".[١٣٨]

حب الأولاد هو حلقة أخرى من سلسلة الحب المتدرج، الأبناء زينة الحياة الدنيا، هم أولادك وأنت أبوهم، فأعطهم مما أخذت من حنان والديك، ومرر فيهم خصلة الحب بينك وبينهم، وبين بعضهم البعض ذكورا وإناثا، لتكون أسرتك أسرة سعيدة، محظوظة، وتكون نتيجة ذلك كله معا بشرتهم واللقاء بهم في دار البقاء.

إن محبة الأولاد هي في العمق محبة لله تعالى، وهذا النوع من المحبة هو ليس في القلب وحده بل في التفكير لهم والفعل إزاءهم.

محبتهم هي حسن تربيتهم، والرعاية بهم، وزرع الحنان في قلوبهم، وتنوير عقولهم مما تقتضيه حسن تربيتهم، واعدادهم لجيلهم ولزمانهم، والدعاء لهم، والصبر على فقدهم، والترفع عن اليأس والقنوط الذي يصيب الإنسان بسبب مرضهم أو عصيانهم، والتسليم بالحمد عند القضاء.

إذا كانت المحبة على هذه الصفة أطل عليك الجمال برؤوس السعادة والهناء.

د – محبة الأقرباء والأصدقاء:

أو لنطلق عليها محبة المؤمنين، وهذا هو (الحب في الله) الذي يجب أن تعلنه في وجه من أحببته في الله، {**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**}(الحجرات:١٠).

---

[٣٠] الكلمات ص ٧٦٤.

" إن نتيجة محبتك لصالح الأصدقاء والأقرباء التي يتطلبها الحب في الله يقول النورسي: إنما هي في جلوسهم على سرر متقابلين، ومؤانستكم بلطائف الذكريات، ذكريات أيام الدنيا وخواطرها الجميلة، وقضاء وقت ممتع وجميل بهذه المحاورة والمجالسة، كما هو ثابت بنص القرآن الكريم".[١٣٩]

ز – محبة الدنيا:

المحبة هنا لا تعني عشق الملذات، والانسياق وراء زينة الحياة، والانصياع إلى مغرياتها، وبذل العمر كله لاهثا وراءها كلا، إن هذه محبة مذمومة، أما المحبة المطلوبة فهي المحبة المشروعة، والمحبة المشروعة هي " التأمل والتفكير في وجهيها الجميلين اللذين هما: مزرعة الآخرة ومرآة التجليات للأسماء الحسنى"[١٤٠] .

إن الحياة هي هبة من الله، وقد قدم لك الشرع في شأنها وصايا كثيرة ومن بين هذه الوصايا أنها:

" رأس مال عظيم تستطيع أن تكسب به الحياة الأخروية الباقية، وهي كنز عظيم يحوي أجهزة وكمالات خالدة، من هنا فالمحافظة عليها ومحبتها من هذه الزاوية، وتسخيرها في سبيل المولى عز وجل تعود إلى الله سبحانه أيضا.

إن حب الدنيا والشغف بها ينقلب إلى محبة لوجه الله تعالى فيما إذا كان النظر إليها من زاوية كونها مزرعة للآخرة، ومرآة الأسماء الحسنى، ورسائل ربانية إلى الوجود ودار ضيافة مؤقتة"..

ثم يختم فيقول:

" اجعل حبك للدنيا وما فيها من مخلوقات بالمعنى (الحرفي) وليس بالمعنى (الاسمي) أي بمعنى ما فيها وليس لذاتها، لا تقل لشيء: ما أجمل هذا! بل قل: ما أجمله خلقا! أو ما أجمل خلقه! وإياك أن تترك ثغرة يدخل منها حب لغير الله في باطن قلبك، فإن باطنه مرآة الصمد، وخاص به سبحانه وتعالى، وقل: اللهم ارزقنا حبك وحب ما يقربنا إليك"[١٤١].

---

[١٣٩] الكلمات .. ص ٧٧٧.

[١٤٠] المصدر السابق.

[٣٣] نفسه

ح – محبة الطبيعة والأشياء الجميلة:

إن التفكر في الأشياء الجميلة وليكن الربيع مثلا إنما هو تفكر لأجل المحبة، من ذا الـــذي يفكر في الربيع بجماله وبهائه ولا يحبه، يدعوك بديع الزمان أن تصرف هذا الحب الذي هو من هذه الزاوية إلى الأسماء الحسنى البادية عليه، وعليك أن توظف القراءة المطلوبة في موضوع هذا الجمال وذلك حتى ينصرف حبك في سبيل الله، ويكون هذا الحب مرتبط بالحب الرباني المشار إليه في النوع الأول.

جمال الطبيعة هو صفحة مفتوحة سهلة القراءة والوصف، صحيفة تبدت فيهـــا نقـــوش الأسماء الحسنى النورانية، وظهرت عليها الصنعة الربانية البديعة ، فلا تبتعد !

إن محبتك فلأشياء الجميلة وللربيع، أي نظرك إليها من زاوية قولك (ما أجمـــل خلقـــه) وتوجيه محبتك إلى ما وراء ذلك الشيء الجميل من جمال الأفعال وانتظامها، وإلى ما وراء تلك الأفعال المنسقة من جمال تجليات الأسماء الحسنى، وإلى ما وراء تلك الأسماء الحسنى من تجليات الصفات الجليلة... وهكذا.. إن نتيجة هذه المحبة المشروعة هي : مشاهدة جمال أسمى من ذلك الجمال الذي شاهدته في المصنوعات بألوف ألوف المرات، أي مشاهدة تجليات الأسماء الحسنى، وجمال الصفات الجليلة بما يليق بالجنة ودار البقاء حتى قال الإمام الرباني السر هندي رضي الله عنه: " إن لطائف الجنة إنما هي تمثلات الأسماء الحسنى"، فتأمل ! "[١٤٢]

هذه هي عناصر الحب ومستوياته، وهي في عمومها تكون بعضا من خصائص فن الجمال، ألا وهو الحب في صلته بالجمال.

المحور الرابع: محددات تصنيفية

٤ – ٩ – نـــوريـــون وظلامـــيون:

(النور) كيان مخلوق، و(الظلام) كيان مخلوق أيضا، خلقهما الله منذ الأزل، كان الظلام أولا ثم النور بعده، جعلهما الله يوم خلق السماوات والأرض، {**الْحَمْـــدُ لله الَّـــذي خَلَـــقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ** }(الأنعام: ١).

---

[١٤٢] الكلمات ص ٧٧٧.

تحدد الآية ما يلي:

١. أن (الظلام) و(النور) جعلا بعد خلـــق الســـماوات والأرض، أو في أثنـــاء خلـــق السماوات والأرض.

٢. أن أول ما جعل هو (الظلام)، والظلام هو ضد النور، فهو شبيه بالعدم.

٣. أن ما جعل بعد (الظلام) هو (النور)، و(النور) جعل ضدا للظلام.

٤. أن العناصر الأربعة: السماوات والأرض والظلمة والنور هـــي مخلوقـــات كخلـــق الإنسان.

٥. الجدلية الموجودة بين (الظلام) و(النور) هي كالجدلية الموجـــودة بـــين (المـــوت) و(الحياة)، فإذا كانت العلاقة قائمة بين (الظلام) و(الموت) ، و(الحياة) و(النور)، فالجدلية قائمة بين (الظلام) و(النور)، {**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . الَّذِي خَلَـــقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**}(الملك:٢).

بمقتضى هذه انقسم البشر منذ الأزل وإلى اليوم إلى ظلاميين ونوريين، فأهل الظلام هـــم المخاصمون للتوحيد بالشرك، وللفطرة بالطبيعة، وللروح بالمادة، وللغيب بـــالواقع وللحـــق بالباطل... وهم جيل من الملاحدة والمشركين والمنافقين أتباع أطروحة إبليس { **أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً**}(الإسراء:٦١).

وأهل النور هم المؤمنون مما أنـــزل الله من نور على نور لأجل النور، وهذه الثنائية بـــين الجيلين هي ثنائية مضادة قديمة يطلق عليها ثنائية الخير والشر، الكفر والإيمان، الحق والباطل...

أهل النور وليهم هو الله، لما جعل الله في الوجود الظلمات والنور أخرج أولياءه من الأول إلى الثاني، وبمقتضى هذا الإخراج كانوا بإيمانهم به وبما أنـــزل نوريين {**اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ** }(البقرة:٢٥٧).

وأهل الظلام أوليائهم المتمردون عن الحق، والخارجون بطغيانهم الفكري والعملـــي عـــن حدود ما انـــزل الله من نور، هؤلاء يعاكسون مقاصد الرب فيخرجون أصحابهم الذين جعلوا في النور إلى الظلمات {**وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّـــنَ النُّـــورِ إِلَـــى الظُّلُمَاتِ**} (البقرة:٢٥٧).

الله يتولى المؤمنين فيصيرهم إلى النور، والطواغيت يتولون الجاحدين فيصيرونهم في الظلام، والصراع منذ الأزل هو بين الظلام والنور، كل من ساهم في هذا المعترك القديم الجديد بـــدفع الناس إلى الإيمان والتوحيد فهو في النور، وكل من عاكس هذا التوجه فهو في الظلام.

إن الطبيعة تنورت ببور الله، فكانت جميلة، وجمالها- كما تقدم- هو في تجليات أنوار الله عليها{**اللهُ نُورُ السَّمَاوَات وَالأَرْضِ**}(النور:٣٥)، والإنسان هو المقصود الأول بهذا النـــور، {**وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ** }(النور: ٤٠) يعني أنه واقع في نقيض النور وهذا النور موجود بالفعل لكنه لا يدرك إلا بنور من مثله لأن النور يدل على النور، وهذا النور هو نور الوحي، والوحي هو كلام الله المنـــزل على محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة الأمـــين جبريل، فالله نور، والوحي من هذا الوجه نور {**فَآمنُوا بالله وَرَسُوله وَالنُّور الَّذي أَنـــزَلْنَا وَاللهُ بمَا تَعْمَلُونَ خَبيرٌ** }(التغابن:٨)، {**وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذيَ أُنـــزلَ مَعَـــهُ أُوْلَـــئكَ هُـــمُ الْمُفْلحُونَ**}(الأعراف:١٥٧)، ولما كان الله نورا، والوحي نورا كانت النبوة والرسالة نـــورا أيضا، {**قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّه نُورٌ وَكتَابٌ مُّبينٌ**}(المائدة:١٥).

أما رسائل النور فقد تنورت لكونها مستوحاة من القرآن الكريم، فهي دالة على القـــرآن، وموجهة إليه، وداعية إليه، فلا غرابة أن تتسمى بـــ (رسائل النور).

٤ – ١٠ – لماذا الكلام عن النور في هذا العصر؟

لأن الصراع بين النور والظلام قديم قدم جاعليتهما، وقد احتدم الصراع بينهما في الآونة الأخيرة واشتد، فاشتد الظلام إلى مرجعياته غير الثابتة، واستند النور إلى مرجعياته الثابتة، وبما أن مرجعيات النور هي القرآن، وبما أن رسائل النور هي" برهان باهر للقرآن الكريم، وتفسير قيم له، ولمعة براقة من لمعات إعجازه المعنوي، ورشحة من رشحات ذلك البحر، وشعاع من تلك الشمس..." إلى غير ذلك من الأوصاف التي يصف بها بديع الزمان الرسائل في صـــلتها بنور القرآن، لما كان الأمر كذلك كانت رسائل النور مستندا مرجعيا لأهل النور في صراعهم مع أهل الظلام، يعلق فيقول: " إن خاصية مميزة راقية لرسائل النور هي: أنه في هذا العصـــر العجيب يستند الكفر والإيمان إلى آخر الحصون في المبارزة القائمة بينهما، فرسائل النور تبـــين تلك الركائز النهائية بيانا قويا قاطعا"[١٤٣].

---

[١٤٣] انظر الملاحق ص ٢٢١ .

لقد أخذت الرسائل طابع النورية من وجهين: الأول تأصيلي والثاني واقعي.

الوجه التأصيلي يتمثل في ارتباطها بنور القرآن لا بأنوار فلسفات شرقية أو غربية فهي "ليست نورا مقتبسا، وبضاعة مأخوذة من معلومات الشرق وعلومه ولا من فلسفة الغرب وفنونه، بل هي مقتبسة من العرش الرفيع السماوي لمرتبة القرآن الذي يسمو على الشرق والغرب"[144].

والوجه الواقعي يتمثل في كونها حية واقعية، ليست مجردة ولا مثالية، تجيب على أسئلة الواقع المعاصر المجرة، وترشد الإنسان التالف، وتقوي جبهة الصمود والتحدي، جبهة النور في صراعه مع الظلام (إذ أن أهل الضلالة المغيرين على أهل الإيمان أصبحوا روحا خبيثة تسري في الأمة، وشخصية معنوية حاملة لروح الجماعة والتنظيم الخاص تفسد وجدان الناس وقلوبهم عامة في العالم الإسلامي)[145].

هذا الطابع النوري ذي الوجهين التأصيلي والواقعي هو الذي يجعلها تشن حربا على الظلام والظلاميين أينما كانوا وكيفما كانوا ولذلك يصفها بأنها " جهاد معنوي تجاه أهل الضلالة، وذلك الجهاد الأهم"[146].

٤ – ١١ – لا وسط بين الظلام والنور .

هل هناك وسط بين النور والظلام ؟

الجواب لا وسط بين النور والظلام، فالجاعلية الإلهية اقتضت الظلام والنور، ولو كان الوسط لكان طرفا ثالثا مجعولا.

لا وسط بين الظلمة والنور، ولا جمع بين النور والظلمة، والجمع بينهما لا يؤدي إلا إلى أحدهما وهو الظلام، لأن النور يأبى مخالطة الظلام أو الاقتباس منه، أو الاستئناس ببعض مكوناته فالنور طرف كامل متكامل بذاته، ومن هنا سر جماله وجلاله.

فمثلما يتعذر الجمع بين الكفر والإيمان، وبين الحق والباطل، وبين التوحيد والشرك، وبين

---

[144] المصدر السابق ص ٢٢٢.

[145] المصدر السابق

[146] المصدر السابق ص ٢٨٨.

الجمال والقباحة، فكذلك الجمع بين النور والظلام، لأن النور والظلام في بداية المطاف ونهايته ما هما إلا انعكاسا الثنائيات السابقة المضادة.

وإذا كانت هذه خاصية قديمة فهي كذلك آنية ومعاصرة ومستقبلية، ويمكن لكل جيـــل نوري عبر التاريخ أن يستحضر هذه الخاصية كقاعدة للعمل، وبخصوص الظروف المعاصرة فإن بديع الزمان أنـــزلها كقاعدة فاصلة بين الكفر والإيمان فقال:

" إنه لا وسط بين الكفر والإيمان، ففي هذه البلاد وتجاه مكافحة الشيوعية فليس هناك غير الإسلام، وليس هناك وسط، لأن التقسيم إلى يمين ويسار ووسط يقتضي ثلاثة مسالك"[١٤٧] .

وقد فند النورسي هذه الثلاثية المفتعلة بأن أرجعها إلى طرفين واحد منها هو المعتبر، هذا المعتبر هو (الإسلام) الذي هو نور {**يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** }(التوبة:٣٢).

خاتمـــــــة

تلك هي محاور الجمالية والجمال في هذا العرض، وتلك هي العناصر التي اخترناها لكـــل محور محور، محاور محللة بفكرنا، ومعللة بأنفاس بديع الزمان سعيد النورســـي وأطروحاتـــه في الجمالية والجمال... والكل مستوحى من رسائل النور...

حافظنا على الطابع النوري في المقارنة والتحليل، وفي الاستشهاد والاستنتاج والتعليـــل.. وخاتمتنا هذا الدعاء النوري الذي دعى به بديع الزمان حيا وميتا، يقول:

" اللهم صل على من دل على وجوب وجودك ووحدانيتك، وشهد على جلالك وجمالك وكمالك.. الشاهد الصادق المصدق والبرهان الناطق المحقق.. سيد الأنبياء والمرسلين، الحامل سر جماعهم وتصديقهم ومعجزاتهم.. وإمام الأولياء والصديقين الحاوي سر اتفاقهم وتحقيقهم وكراماتهم، ذو المعجزات الباهرة، والخوارق الظاهرة، والدلائل القاطعة المحققة المصدقة لـــه.. ذو الخصال الغالية في ذاته، والأخلاق العالية في وظيفته، والسجايا السامية في شريعته المكملة المنـــزهة عن الخلاف، مهبط الوحي الرباني بإجماع المنـــزل والمنـــزل عليه.. سيار عالم الغيب والملكوت.. مشاهد الأرواح ومصاحب الملائكة .. انموذج كمال الكائنات شخصا ونوعـــا

---

[١٤٧] الملاحق ص ٣٤٦.

وجنسا.. أنور ثمرات شجرة الخلقة، سراج الحق، برهان الحقيقة، تمثال الرحمة، مثال المحبـــة، كشاف طلسم الكائنات، دلال سلطنة الربوبية، المرمز بعلوية شخصيته المعنوية إلى أنه نصـــب عين فاطر العالم في خلق الكائنات.. ذو الشريعة التي هي بوسعة دساتيرها وقوتها تشير إلى أنها نظام ناظم الكون ووضع خالق الكائنات.

نعم، إن ناظم الكائنات بهذا النظام الأتم الأكمل هو ناظم هذا الدين بهذا النظام الأحسن الأجمل، سيدنا نحن معاشر بني آدم ومهدينا إلى الإيمان نحن معاشر المؤمنين، محمد بن عبـــد الله بن عبد المطلب عليه أفضل الصلوات وأتم التسليمات ما دامت الأرض والسماوات فان ذلك الشاهد الصادق المصدق يشهد على رؤوس الاشهاد مناديا، ومعلما لأجيال البشـــر خلـــف الأعصار والأقطار، نداء علويا بجميع قوته وبغاية جديته وبنهاية وثوقه وبقوة اطمئنانه وبكمال إيمانه: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له".[١٤٨]

ജ്ജ

[١٤٨] انظر المثنوي العربي النوري ص ١٠٧-١٠٨.

جمالية أسماء الله الحسنى

في تراث بديع الزمان سعيد النورسي

د.عائشة الحديفي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
أكادير – المغرب

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

لم أكن سباقة إلى الحديث عن الأسماء الحسنى في تراث النورسي فقد سبقني من اشتد عوده في العلم والأدب إبراهيم أديب الدباغ وذلك في بحث له صدر عن "مجلة المشكاة" بعنوان " الصور والمرايا في تراث النورسي"، غير أني أرجو أن أكون قد أضفت شيئا إلى هذا الموضوع بتتبعي لتأملات النورسي الفريدة والتعقيب عليها ببعض الملاحظات.

فأسماء الله الحسنى هي مجمع الجمال والجلال لا يحد أسرارها باب أو كتاب وهي أبرز ما تجلت فيه فلسفة النورسي الجمالية. على أني عازمة أن أتبع هذا البحث بأبحاث أخرى في فكر وتراث هذا المعلم الكبير هذا السعيد الخادم للقرآن الرافع لراية الإصلاح، من قلب تركية هذا الذي خرج منتفضا من أنقاض السقوط الحضاري لينتصر برسائله على صيحة الإلحاد تلك الرسائل التي خرجت من ظلمات المعتقلات لتضيء وتنير الضمائر والأرواح بحقائق الإيمان الجميلة .

مقدمة

الحسن في اللغة الجمال، والحسنى مؤنث اسم التفضيل الأحسن ، وهو الذروة من الحسن، ومبلغ الكمال من الجمال.

قال تعالى: (**قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى**) (الإسراء: ١١٠)

وأسماؤه الحسنى جل وعلا تسع وتسعون اسما. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن لله تسعا وتسعين اسما، مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة"[١٤٩]، قال العلماء: إحصاؤها العمل والتحلي بها.

ولقد دأب العلماء والمفسرون والمحدثون والفقهاء والمتكلمون قديما وحديثا على تناول أسماء الله الحسنى ومعانيها ومقتضياتها، لكن حديث الإمام الجليل بديع الزمان النورسي عنها في رسائل النور كان مميزا فقد عكس تناوله فلسفة الرجل الجمالية بكل أبعادها ورسا بالقارئ على حقائق إيمانية باهرة السناء، معملا العقل وقوة التأمل في كتاب الكون المشهود. على نحو لم نعهده في كتب المتكلمين والمحدثين الذي غلب التجريد والتنظير على دراستهم لأسماء الله الحسنى.

فالأسماء الحسنى هي مجمع الجمال وذروه الكمال ومنتهى الجلال التي خص بها رب العالمين سلطان الدنيا والآخرة، وهي تجل للذات الإلهية العظمى، وعنوان التوحيد. فكيف تناول النورسي أسماء الله الحسنى؟ وكيف شرح كل اسم منها على حدة، بل كيف تأمله، وأبرز الجمال فيه؟ وما هي خواطره في ذلك؟وقبل ذلك ما السياق العام الذي تناول فيه الأسماء الحسنى ؟

السياق العام لتناول جمالية الأسماء الحسنى في فكر النورسي

العارف برسائل النور ومقاصدها وأهدافها وظروف تأليفها، يجزم أنها جزء لا يتجزأ من مشروع فكري إصلاحي كبير، وقف له النورسي حياته، وكان الهدف والمقصد الحاكم له هو خدمة القرآن والدفاع عن الإيمان الذي بات مهددا، بسبب زحف الإلحاد على المدنية التركية بدعم من الغرب وعملائه.

---

[١٤٩] صحيح البخاري، كتاب التوحيد، رقم الحديث٦٨٤٣.

لقد خرجت رسائل النور من ظلمة السجون وضيق المعتقلات لتنشر نور القرآن وتـــدافع عن مقاصده الأربعة وهي كما حددها النورسي: التوحيد والعدل والنبوءة والحشـــر. وجـــاء الحديث فيها عن الأسماء الحسنى في سياق إثبات حقائق الإيمـــان ويقينيـــات عـــالمي الغيـــب والشهادة، وإبطال شبهات الملاحدة القائلين بالصدفة والمنكرين للبعث والحشر، وإثبات عقيدة التوحيد التي هي رأس الأمر كله، وتتبيث حقائقها في نفوس طلبته وعامة المسلمين .

فكانت حديثا رائعا شائقا عن الله وأسمائه الحسنى، وأفعاله المقدســة، وصــفاته العظمـــى، وامتزجت فيه روح النورسي وتجربته الإيمانية التأملية بحقائق القرآن والكون فجاءت تقطر جمالا في فكرها وقالبها، وجاءت لتؤسس فلسفة جمالية استخرجها النورسى من قلبه وفكره من داخل المعاقل المظلمة لتنير درب المسلمين الحيارى وتمتد بركتها بيد الرحمان لتصل إلى بقاع العالم.

الأسماء الحسنى دالة على أفعال الله وصفاته

الحديث عن الأسماء الحسنى جزء من الحديث عن أفعال الله وصفاته، لأن أسماءه تتلاءم مع أفعاله وصفاته. يقول النورسي:

"والصنع البديع المشاهد في المصنوعات الجميلة، كلها، يشهد شهادة قاطعة على حســـن أفعال الصانع الجليل وجماله، وأن الحسن في أفعاله تعالى وجمالها، يدل بلا ريب على حســـن العناوين المشرقة على تلك الأفعال وجمالها، أي على حسن الأسماء وجمالها التي هي منشأ تلك الأسماء، وأن حسن الصفات وجمالها يشهد شهادة قاطعة على حسن الشؤون الذاتية وجمالهـــا التي هي مبدأ تلك الصفات، وأن حسن الشؤون الذاتية وجمالها، يدل بالبداهة ويشهد شهادة قاطعة على حسن الذات وجماله الذي هو الفاعل المسمى، والموصوف، ويدل على الكمـــال المقدس لماهيته والجمال المنـــزه لحقيقته، بمعنى أن للصانع الجميل جمالا وحسنا لا حد له يليق بذاته المقدسة، بحيث إن ظلا من ظلاله قد جمل هذه الموجودات كلها، وأن له سبحانه جمـــالا منـــزها مقدسا، حيث إن بلورة من جلواته قد أضفت الجمال على الكون كله، ونورت دائرة الممكنات كلها بلمعات حسن وجمال، وزينتها بأبهى زينة"[١٥٠].

---

[١٥٠] الشعاعات :٨٦.

جمالية التمثيل والقياس

للنورسي منهج خاص في التأمل في جمالية أسماء الله الحسنى واستكناه أسرارها، فهو يعتمد المثال البسيط من العالم الأرضي للقياس وضرب الأمثال، وهو في اختياره للأمثلة يعكس روحا جميلة، ولطفا معنويا دقيقا، وذوقا فنيا رفيعا، وشعورا شفيفا، وقدرة عجيبة على ضرب الأمثال للجمال الإلهي والقياس واستقصاء الحجج العقلية الدامغة، في تسلسل منطقي بديع. وامتاز إلى جانب ذلك بتدفق الإحساس الشاعري، والفكر الثاقب، والإحساس الرهيف، والسريرة النقية، والإيمان الصادق، والتأمل العميق في كتاب الكون المشهود.

إن الأمثلة التي يسوقها هي في غاية الدقة والجمال واللطف. فمثلا وفي معرض حديثه عن اسم الحكيم الخبير الرحيم الكريم الودود والمنعم يستعمل مثال الرسام والنحات والفنان وينتقل إلى المعاني النفسية المختلجة في نفس ووجدان الفنان وهو يمارس عمل الإبداع بعلمه وحكمته وإحكام صنعته الفنية، ويلامس معاني التحنن والترحم والتزيين والإحساس بالجمال ورغبته في التعبير عن هذا الجمال بواسطة رسم لوحة وينتقل من هذا المثل إلى الله المثل الأعلى فيبرز تجليات أسمائه عز وجل في صنعته وصوره وخلائقه.

والنورسي صاحب نظرة جمالية للكون كله فعلى الرغم مما تعرض له في حياته من تشريد واعتقال يشعر قراءه وطلبته بالجمال الكامن في كل مظاهر الكون والحياة حتى في مشاهد المرض والموت والفناء ويسوق من الأمثلة ما يحقق ذلك فالدنيا يشبهها بدار الضيافة، وصاحب هذه الدار كريم، ومن تجليات كرمه أنه يوفر في دار الضيافة هذه كل ما يحقق الراحة والإحساس بالجمال والسعادة.

وتارة يشبه الدنيا بالفندق الواسع والحياة يشبهها بالمهرجان العظيم والكون عيد سعيد وكتاب عظيم إلخ.

وإنما بنى أسلوبه الإقناعي على ضروب من الأمثلة الجميلة على نحو ما بينا لأجل اقتياد نفوس طلبته إلى حب الله بإخلاص وصدق، حب مبني على المعرفة والرؤية الجماليين بأسمائه الحسنى التي تتجلى في كل الموجودات، حب يقيني لا يخامره شك المتشككين. ولا يحسبن أحد أن هذه الأمثلة مسوقة للاستدلال فحسب ولكنها ضرب من التلطف الجميل الشفيف، وفن من فنون الرفق بمخاطبيه والرغبة الأكيدة في إشراكهم في الإحساس بالجمال. ولعل هذا ما

يفسر قدرة هذه الرسائل على النفاذ إلى القلوب فالقارئ لها لا يملك إلا الإعجاب الشـديد والتأثر البالغ بها، ولهذا، كان من الناس عليها إقبال منقطع النظير.

تجلي أسماء الله الحسنى في الكون

يطّرد الحديث عن جمالية أسماء الله الحسنى في كل رسائل النور، فجمالها ينعكس على مرايا الخلائق وتتجلى في الكون الفسيح ، فتتحدث بلسان حالها عن الجمال الإلهي والنور الرباني، مجلية حقائق التوحيد، وأن الله واحد أحد لا شريك له في أفعاله وصفاته وأسمائه.

أسماء الله الحسنى كلها حقيقية أصيلة، وفي درجة واحدة من الكمال، ولا ينبغي تصورها على أن فيها أصلية وأخرى تابعة، فهذا حكم غير "عادل وتنكب عن واجب الاحترام لهـذه الأسماء الحسنى كما ينبغي"(١٥١). ولما كانت هذه الأسماء كذلك، اقتضت منطقيا موجـودات لائقة بها، ومخلوقات محتاجة إلى مثل رزق الرازق، ورحمة الرحيم. والأسماء تستدعي إظهارها لمشاهدة تجليات جمالها، ولذلك فإن الله قد نوّع المخلوقات لتكون تجليات غير محصورة لهـذه الأسماء:

إن " الله الصانع الجليل، قد أراد رؤية وإراءة جماله المطلق وكماله المطلق، فبنى قصر العالم هذا في أبدع ما يكون، بحيث إن كل موجود فيه يذكر كمالاته بألسنة كثيرة، ويدل علـى جماله بإشارات عديدة، حتى إن الكائنات تظهر بكل موجود فيها، كم من كنوز معنوية مخفية ضمن كل اسم من اسما الله الحسنّى!"(١٥٢).

وهذه الصنائع التي صنعت بدقة وجمالية، تدل على أن "الذي يجمل هذه الكائنات ويزينها بأنواع المحاسن، لا شك أن له جمالا وكمالا لا منتهى لهما، ولهذا يظهر الجمال والكمال في فعله"(١٥٣). وهكذا، فإن كل الموجودات تلمع مؤقتا بلمعان الحسـن والجمـال والكمـال، وتعكس كل أسماء الله الحسنى وما تحويه من الجمال الرائع، وأنه تعالى ذو "الجمال الحقيقـي المجرد السرمدي، المحبوب لذاته، الذي له المثل الأعلى، قد أخبرنا على لسان رسـوله عليـه

---

(١٥١) المكتوبات:ص١٠٨.

(١٥٢) الكلمات : ٦٨٦.

(١٥٣) نفسه:٧٤٢.

الصلاة والسلام أنه "خلق الخلق ليُعرف"، أي صور مرايا ليشاهد فيها تجليات جماله المحبوب لذاته بذاته". وإنما خلق الخلق لإظهار جمال أسمائه الحسنى وجميع هذه الأسماء إشارة ودلالة على كماله وعلى جماله. والجمال في أسمائه الحسنى جمال مطلق يختلف بعضه عن بعـــض، لـــذلك اختلفت أنواع الحسن والجمال في الموجودات.

والجمال لابد له من شاهد ومشهود، ولابد للشاهد أن يدوم لديه الإحســـاس بالجمـــال الدائم الذي لا يتبدل، وإنما يزداد جمالا وكمالا، كلما ازداد المشاهد علما وخبرة بالمشهود.

والمشهود صنفان: دائم وزائل، أما الدائم فهو الأصل ومنبع الجمال الذي يتجلى بجلالـــه وحسنه وبهائه، فيمد المشهود الزائل (المخلوقات) ببعض صفاته الجمالية. وكلمـــا ازداد لـــه الشاهد علما وقربا، ازداد جمالا ذاتيا ومعنويا، وكلما ازداد جمالا ازداد شـــوقا إليـــه، حـــتى يشاهده مشاهدة عينية في الجنة، وهو أعلى وأسعد وأعظم ما يتمناه الإنسان المـــؤمن، وقمـــة السعادة التي يصل إليها أصحاب الجنة تكون حين يستمتعون بمشاهدة الجمال الإلهي الـــذاتي بالعين المباشرة. والمشهود الزائل (وهو الموجودات الأخرى) على الرغم من فنائه، إلا أن قيمة الجمال، تظل لصيقة به، ففي فنائه يكمن جمال من نوع آخر، وفي انبعاث حياة أخرى مـــن داخل هذا الفناء وتجدد هذا المشهود ضمن دائرة الوجود والفناء أو العدم يكمن الجمال.

إن كل اسم من أسمائه الحسنى يحوي خزائن معنوية من الإحسان والجمال لا تنفد وكـــل منها تجل لمظهر من مظاهر الحياة ، وهكذا فإن فعل التزيين والإنعام من تجليات الجميل الكريم، وفعل التنظيم والنظام من تجليات اسم الحكم والحكيم، وفعل الوزن والميزان من تجليات العدل والعادل، وفعل التربية والإنعام من تجليات الرب الرحيم، وفعل التنظيف والتطهير من تجليات القدوس، وفعل الصناعة والتصوير من تجليات اسم الخالق والبارئ والمصور، وفعـــل الإمـــداد بالأرزاق من تجليات الرزاق الرحمان إلخ ... وكلها مسندة إلى فاعل واحد واجب الوجود وهو الواحد الأحد فموجد الأشياء الجميل المطلق لا يمكن إلا أن يكون واحدا منفردا في ألوهيتـــه منفردا في ربوبيته منفردا بأسمائه وأفعاله وذاته فالقاعدة البديهية تقول إن الواحد لا يصدر إلا عن الواحد.

ومن الأمور التي لفت إليها النورسي الأنظار، الحكمة من تعدد أسماء الله الحسنى، ومثـــل لهذا بالسلطان الذي له عناوين مختلفة في دائرة حكمه وأوصاف متباينة ضمن طبقات رعايـــاه

وأسماء وعلامات متنوعة في مراتب سلطنته، فمثلا له اسم الحاكم العادل في دوائر العدل، وعنوان السلطان في دوائر المدنية، بينما له اسم القائد العام في الدوائر العسكرية، وعنوان الخليفة في الدوائر الشرعية: " فكذلك الله عز وجل، ولله المثل الأعلى فهو سلطان الأبد والأزل، له ضمن مراتب ربوبيته شؤون وعناوين وأسماء مختلفة، وكل اسم له يتجلى في عالم من عوالم الكون، وكل حقائق الأشياء تستند إلى أسمائه، فمثلا علم الحكمة يستند إلى اسم الله الحكيم ، وعلم الطب إلى اسم الله الشافي، وعلم الهندسة إلى اسم المقدر.

وهكذا أمكن القول إن الله تجلى بأسمائه الحسنى الجميلة للكون وأرادنا أن نعرف جماله من خلال مرآة الكون البديعة، وهذا هو معنى الحديث خلق الخلق ليُعرف.

نماذج من تأملات النورسي في أسماء الله :

إن تأملات النورسي في أسماء الله الحسنى أعمق من أن يحيط بها بحث واحد، فكل اسم يستحق أبحاثا، وسأقتصر هنا على تأملاته في بعض من أسمائه تعالى.

الرحمن الرحيم

والمراد منهما إيصال الخير والثواب لمن يشاء من عباده، ودفع الشر عنهم أزلا، فهو تعالى رحمان بإيصال الرزق، ومنح الصحة للمؤمن والكافر، ورحيم بالمؤمن في الآخرة بإعطائه الأجر والتواب.

والنورسي في تأمله في اسمي الرحمان والرحيم، يبسط بعض الحقائق ، وهي كما استنتجت في تتبعي لها:

- إن ما في هذا العالم من الآلام الكثيرة لا يزيحه إلا اسما الرحمان والرحيم .
- إن هذين الاسمين، جديران بالمحبة، يقول:

"تدبر في اسمين فقط من أسماء الله الحسنى، وهما، الرحمان" و"الرحيم"، تجد أن جميع المؤمنين من الآباء والأجداد السالفين، وجميع الأحبة والأقارب والأصدقاء، هؤلاء الذين تحبهم وتحن إليهم وتشفق عليهم، يتنعمون في الدنيا بأنواع من النعم اللذيذة، ثم يسعدون في الآخرة بما لذ وطاب من النعم، بل يزيدهم سبحانه وهو الرحمان الرحيم سعادة ونعيما بلقاء بعضهم

بعضا، وبرؤية الجمال السرمدي هناك، فكم يكون اسما الرحمان والرحيم جديرين إذن بالمحبة! وكم تكون روح الإنسان تواقة إليهما !!"[١٥٤].

– إن الإنسان ليبرز نقوش الرحمان الرحيم بجميع أعضائه وأجهزته وجوارحه، وبجميع لطائفه ومعنوياته، وبجميع حواسه ومشاعره، فمن ذلك أن الله وضع في كل إنسان ما يمكن أن يتوجه به إليه سبحانه في كل حين ويسأله، فأودع جل وعلا في قلب كل إنسان هاتفا يصله به.

– إنه بتكرر هذين الاسمين في بداية كل سورة، جعل رحمته التي وسعت كل شيء هي الملاذ والملجأ لأهل الإيمان.

إن من مظاهر الرحمانية أن الله الواحد الأحد جعل من الأرض مضيفا رائعا غمره بآلاف هدايا رحمته ومن جمال رحمته إرسال آلاف الأطعمة المختلفة اللذيذة في سفينة الأرض، وجعله جوف الأرض مخازن لآلاف إحسانه. ومن رحمته أنه تعالى زودنا بالحواس الكثيرة لتذوق النعم وزودنا بالشعور لإدراكها وتحسسها والتنعم بها، وأكرمنا بالإنسانية والعقل. ومن رحمته أنه أكرمنا بالإسلام وهدانا للإيمان وأمدنا بما لا حصر له من أنوار الدنيا والآخرة، وإن رحمة كهذه هي تجل من تجليات الأحدية والواحدية

– والرحيمية والرحمانية شديدة الصلة بالرازقية التي هي إعطاء الرزق إلى جميع ذوي الحياة، وبخاصة ذوي الأرواح العاجزين، والضعفاء كالأطفال وصغار جميع الكائنات، فلا أحد يموت من عدم الرزق.

يقول النورسي:

"لو وجدت عين تستطيع رؤية أنواع الجمال لاسم الرحيم وأوجه الحسن لاسم الرزاق وشهادتهما الوحدانية رؤية تامة بحيث تتم من الإحاطة كليا بسطح الأرض ومشاهدته في آن واحد لكانت ترى مدى متعة الجمال، ومدى لذة الحسن في تجلى شفقة الرازق الرحيم ورأفته الذي يمد إمدادا غيبيا ويحسن إحسانا رحمانيا بقوافل الحيوانات التي كادت أرزاقها تنفد في أواخر الشتاء بأطعمة ونعم في منتهى اللذة ومنتهى الكثرة ومنتهى التنوع مودعة إياها في أيدي

---

[١٥٤] الكلمات:٧٦٨.

النباتات وموضوعة على هامات الأشجار ومعلقة في أثداء الوالدات ومرسلة لها من خزائن رحمة غيبية صرفة ".[155]

– إن الرحمان يقتضي الرحيم، لذلك يأتيان مقرونين، فالرحيم يقتضي أن يكون إنعام الرحمان في دار الدنيا مستمرا إلى دار الآخرة، حيث يعد الله عز وجل ذلك المسكن الجامع لسائر رغبات الإنسان المادية، ويهيئ آلاءها بجميع أسمائه الحسنى لإشباع رغبات الإنسان الروحية وما ركب بها من لطائف.

وإن استقراء تأملات النورسي في هذين الاسمين العظيمين، يوقفنا على ما يمكن أن نسميه بالترابط والتعالق بين أسماء الله الحسنى، إذ إن بعضها يقتضي بعضا. والنورسي غالبا ما يعمد إلى إبراز الوشائج واللطائف الجمالية بين اسم وآخر، يقول مثلا في الرحمان الرحيم:

"الرحمان بمعنى الرازق، وهو عبارة عن إعطاء البقاء، والبقاء تكرار الوجود، والوجود يستلزم صفة مميزة وصفة مخصصة وصفة مؤثرة، وهي :العلم والإرادة والقدرة. والبقاء الذي هو ثمرة إعطاء الرزق، يقتضي عرفا ثبوت السمع والبصر والكلام، إذ لابد للرازق من البصر ليرى حاجة المرزوق إن لم يطلب، ومن السمع ليستمع كلامه إن طلب، ومن الكلام ليتكلم مع الواسطة إن كانت، وهذه الست تستلزم السابعة التي هي الحياة"[156].

ويضيف النورسي في كتابه "الكلمات" إلى الرحمان الرحيم أسماء أخرى تقتضيها وتتسلسل معها في اقتضاء منطقي عجيب يقول:

"إن الجمال الذاتي والكمال الذاتي للصانع ذي الجلال والحكيم ذي الجمال والقدير ذي الكمال، يريدان الترحم والتحنن فيسوقان اسمي الرحمان الحنان إلى التجلي، والترحم والتحنن يسوقان اسمي الرحيم والمنعم إلى التجلي وذلك بإظهار الرحمة والنعمة معا. والرحمة والنعمة تقتضيان شؤون التودد والتعرف وتسوقان اسمي الودود والمعروف إلى التجلى فيظهران على المصنوع. والتودد والتعرف يحركان معنى اللطف والكرم ويستقرئان اسمي اللطيف والكريم في بعض نواحي المصنوع. وشؤون اللطف والكرم تحرك فعلي التزيين والتنوير فتستقرئ اسمي

---

[155] الشعاعات ص٢٢٢

[156] إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: ٢٥.

المزين والمنور بلسان حسن المصنوع ونورانيته.وشؤون التزين والتحسين تقتضي معاني الصنع والعناية وتستقرئ اسمي الصانع المحسن في السيماء الجميل لذلك المصنوع. وذلك الصنع والعناية تقتضيان العلم والحكمة فيستقرئ المصنوع اسمي العليم والحكيم في أعضائه المنتظمة الحكيمة ، ولا شك أن ذلك العلم والحكمة تقتضيان أفعال التنظيم والتصوير والتشكيل فيستقرئ المصنوع بشكله وبهيئته اسمي المصور المقدر"[١٥٧].

هذا التأمل الدقيق لترابط وتعالق الأسماء الحسنى، يقوم على عشق صوفي واجد لحقائق الإيمان وتجلياتها في الكون والنفس والمجتمع، وعلى ذوق العارفين الواجدين كما يقوم على المنطق وعلى ضروب الاستدلال المتسلسل الذي ينطلق من حقيقة واحدة إلى حقائق مترابطة، وينبني على نظرة جمالية لحقائق الإيمان كما بينا آنفا. والنورسي بعد هذا كله لا يفتأ يكرر الاسم الإلهي الواحد ومعانيه وحقائقه ومظاهر تجلياته في أكثر من مكان وبصيغ متعددة ولهذا ما يبرره في نظرنا، فرغبته الجامحة في تأكيد وترسيخ حقائق الإيمان في نفوس الناس أملت عليه أن يلجأ لأسلوب التكرار باعتباره من أكثر أساليب التلقين والتثبيت نجاعة.

في معرض الحديث عن علاقة اسم الرحمن الرحيم بالقهار المميت، يزيل النورسي الالتباس الذي يمكن أن ينشأ من العلاقة بين القاهرية والرحمانية كيف تجتمعان وهل فيهما ما يدل على التناقض ؟ بمعنى كيف يكون الله رحمانا ورحيما؟ وكيف يكون قهارا مميتا ؟

إن هناك جهات عدة يظهر منها الانسجام بين القهار المميت وبين الرحمن الرحيم، وذكر منها النورسي ما يلي:

– إنه بعد انتهاء الاستعراض الرباني لكل طائفة من الطوائف، يتفضل الرحيم فيمنح كل طائفة رغبة في الراحة وميلا عجيبا إلى الانتقال إلى الدار الآخرة ، ويسئمهم من الدنيا رحمة بهم، ويغرس في أرواحهم حنينا عجيبا إلى موطنهم الأصلي.

لكن هل كل إنسان يطول به العمر إلى أن يشيخ ويسأم من الحياة؟ وهل تنطبق هذه الحالة على الشاب الفتي الذي يتخطفه الموت بين أهله فجأة ؟

يجيب النورسي بأن الله لا يتفضل برحمانيته فيمنح الإنسان أي إنسان هذا الميل والشوق إلى الرحيل والعودة إلى الموطن الأصلي إلا إذا كان معترفا بهذه الرحمانية ومستقرا قلبه على

---

[١٥٧] الكلمات ٧٥٢

الإيمان متصفا حقيقة بأسماء الله الحسنى تنعكس في حياته ويتمثلها في حسه وروحه ووجدانه، أما السادر في الضلالة والغفلة، فلا يمكنه أن يستفيد من هذه الحالة الروحية الفريدة، وبالتالي فإنه لا يرحل عن الدنيا وهو راض ومشتاق إلى لقاء ربه. إن هذه الحالة لا تحدث إلا لمن تربت روحه وبلغت مبلغا من الشوق لله، كالجندي الشاب الذي يستشهد في سبيل الله فيقدم روحه لله ولا يأسى على فراق الدنيا وأهلها. وهكذا فإن الرحمانية تنسجم مع القاهرية في خمس نقاط ذكرها النورسي وهي:

١. إن الله يظهر للإنسان بحلول الشيخوخة ختم الفناء، مما يجعله ينفر من الدنيا ويسرع للبحث عن مطلوب باق خالد
٢. إنه يظهر له شوقا للذهاب إلى حيث ذهب تسعة وتسعون بالمائة من أحبته.
٣. إنه برحمته يدفع الإنسان ليستشعر ضعفه وعجزه اللامتناهيين فيولد لديه رغبة في الراحة.
٤. إنه برحمته يبين للمؤمن: أن الموت ليس إعداما أبديا بل هو إبدال مكان بمكان أفضل.
٥. إن المؤمن يعرف من خلال القرآن أن منـــزلة الدنيا تافهة بالمقارنة مع نعيم الآخرة. وهذا ما يخفف آلام فراق الدنيا وما يجعل اسم القهار المميت منسجما مع اسم الرحمان الرحيم.

الواحد الأحد :

كل الأسماء الحسنى تدور في فلك اسم الواحد الأحد وتثبتها، فهو الاسم الأعظم الذي يثبت التوحيد ولإظهار علامات الواحد الأحد. نجد النورسي يفتح كتاب الكون المشهود ويقول:

" إن معاونة الموجودات بعضها للبعض الآخر وتساندها في الوظائف والواجبات يدل على أن كل المخلوقات تحت تربية ورعاية مرب واحد أحد وأن الكل تحت أمر مدبر واحد أحد وأن الكل تحت تصرف واحد أحد ". [١٥٨]

إنه ما من شيء حسب النورسي إلا ويغدو:

" نافذة توحيد عظيمة إلى حد يسلم جميع الأشياء إلى الواحد الأحد، كل شيء لا سيما الأحياء يملك من النقوش الحكيمة والإتقان البديع بحيث إن الذي خلقه على هذه الصورة خلق

---

[١٥٨] الكلمات ص٧٩٢

جميع الأشياء وأن الذي لا يستطيع أن يخلق جميع الأشياء لا يمكن أن يخلق شيئا واحدا "[١٥٩].

وأن خالق الأشياء لا يمكن إلا أن يكون واحدا منفردا في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله وربوبيته وألوهيته، فالقاعدة البديهية تقول : الواحد لا يصدر إلا عن الواحد.

يقول النورسي:

" فلو كان هناك موضع ولو بمقدار ذرة لشريك مهما كان أو مداخلة في شؤون الكون مهما كان نوعها لفسد نظام السماوات والأرض ".[١٦٠]

وهذا يدل على الجمال الصمداني الإلهي الواحد الكامل المنــزّه يقول:

" إن الجمال الإلهي والكمال الرباني يظهران في التوحيد والوحدانية، ولولا التوحيد لظل ذلك الكنــز مخفيا ... نعم إن الجمال الإلهي وكماله الذي لا يحد، والحسن الرباني ومحاسنه التي لا نهاية لها، والبهاء الرحماني وآلاءه التي لا تعد ولا تحصى، لا يشاهد إلا في مرآة التوحيد بواسطة التوحيد ونور تجليات الأسماء الإلهية المتمركزة في ملامح الجزئيات، الموجودة في أقصى نهايات شجرة الكائنات ".[١٦١]

الفتاح:

حقيقة الفتاحية عند النورسي هي:

" انفتاح ما لا يحد من الصور المنتظمة المتنوعة المختلفة بتجلي اسم الفتاح من مادة بسيطة جدا وانكشافها معا في كل طرف من أنحاء العالم وفي آن واحد وبفعل واحد ".[١٦٢]

فإنه تعالى قد منح باسم الفتاح كل شيء صورة موزونة مزينة ومميزة وفي غاية الإتقان والحكمة وهذا دليل آخر على الواحدية الأحدية إذ لا يقدر على ذلك إلا الواحد جل وعلا قال تعالى: {**إِنَّ اللّهَ لاَ يَخْفَىَ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء. هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**} (آل عمران:٥ – ٦).

---

[١٥٩] الكلمات ص: ٨٢٣

[١٦٠] نفسه ص: ٨٢٤

[١٦١] الشعاعات ص:٨

[١٦٢] الشعاعات

وحيث إنه عز وجل فتاح فهو مصور: " يكتب أمام أنظارنا بأحسن صورة وأتمها بقلم القدرة والقدر أكثر من ثلاثمائة ألف نوع من الأنواع على صحيفة الأرض".[١٦٣] ويتفنن عز وجل في تصوير المخلوقات من الذرات إلى الشموس وذلك بجعل الصغير مثالا مصغرا للكبير وذلك " للطف الإرشاد وتسهيل التفكر وتيسير قراءة مكتوبات القدرة وإظهار كمال القدرة وإبراز نوعي الصنعة الجمالية والجلالية "[١٦٤] وحيث إنه مصور فهو بارئ يتقن الخليقة ويفصل الصور فلا ترى فيها نقصا ولا عوجا، ولا ترى فيها فرطا. وحيث إنه بارئ فهو بديع، والإبداع يقتضي عدم الاختلاط والاضطراب والعبث. إن الأشياء أمامنا هي في غاية الإتقان والصنعة، فمصابيح النجوم المتدلية من سقف قصر الأرض كما يقول النورسي، وهي أكبر من الكرة الأرضية نفسها بألوف المرات حسب علم الفلك، وتسير أسرع من انطلاق القذيفة من دون أن يختل نظامها، أو تتصادم مع بعضها، ومن دون انطفاء ولا نفاد وقود. والشمس هذا المصباح الدائم لدار ضيافة الرحمان لا تنطفئ، من يسيرها غير سلطان هذا المعرض الكبير البديع نور السماوات والأرض ونورها ومدبرها مصورها وبارئها ؟

إننا إزاء نظام بديع لا فطور ولا ثغور ولا لبس ولا نقص ولا خطأ في جهة من الجهات، ابتداء من الذرات إلى المجرات، وإن دقة الصنع والإتقان البديع لا يبقى جامدا، بل يتجدد بسرعة مذهلة ويتبدل في كل آن وحين، فيختفي خلق ويظهر خلق آخر، بنفس الدقة ونفس الصنعة والإبداع.

الخـــالق:

إن الله قد اختار لخلق كل شيء أقرب طريق وأدنى جهة وأرق صورة وأجمل كيفية، يقول النورسي:

" إن الخالق الحكيم والرحيم الودود، يشغل مصنع الكائنات، جاعلا من كل وجود فان نواة لأنواع من الوجود الباقي، ومدارا لإظهار مقاصده الربانية، مظهرا به شؤونه السبحانية، متخذا إياه مدادا لقلم قدره، ومكوكا لنسج قدرته، وذلك بمقتضى الرحمة والحكمة والودودية. فيدفع سبحانه بفعالية قدرته الكائنات لتؤدي مهامها وفعاليتها لأجل كثير مما لا

---

[١٦٣] الكلمات ٨٦

[١٦٤] المثنوي العربي النوري ٣٥٥

نعرفه من عنايات غالية، فتسوق تلك الفعالية الموجودات كلها حتى تجعل الذرات تجول جولانا والموجودات تسير سيرانا والحيوانات تسيل سيلانا والسيارات تدور دورانا فتجعل الكون يتكلم وينطق ويتلو آيات خالقه بصمت ويستكنهها".[١٦٥]

العليم الخبـــيـــر

العلم هو الإحاطة بكل شيء خفي. والخبرة : وضع الشيء في موضعه، والعلم بلا خبرة طيش، والخبرة بغير علم سفه، ولذلك اقتضت إحداهما الأخرى.

لقد أظهر الله تعالى إحاطة علمه بالأحياء بتمييزه كل كائن عن آخر وحفظه من الامتزاج والتشابك، وبجعل الموجودات متكاتفة مترافقة وبإدارته للخلائق ضمن أمره وإرادته، وبجعله الإنسان أجمع ثمرة في شجرة الكائنات، وبعلمه وخبرته وسائر أسمائه الأخرى يظهر عدم تدخل المصادفة في أي فعل من أفعاله. وبما أنه عليم فإنه حر في مشيئته وإرادته، مختار لأفعاله، واختياره لا يرضخ لأي قيد كان، لعلمه أن كل شيء في كل آن من شؤونه في كل ما يخصه ويعود إليه، محتاج إليه سبحانه منقاد لربوبيته، وأن كل شيء ضمن دائرة نظره، وأن علمه نافذ في كل شيء، ومحيط بكل شيء إحاطة مطلقة. ومادام العليم بهذه الصفات الجلالية الجمالية كان لابد أن يكون مريدا إذ محال أن لا يجتمع مطلق العلم بمطلق الإرادة.

تجلي أسماء الله في الآخرة :

إن جمال الله المطلق الذي زين هذا الكون وجمّله، جمال منـــزه ومقدس بلا نهاية ولا حد، وإن حكمته تعالى اقتضت أن يمتد إراءة الجمال الإلهي إلى الدار الآخرة جزاء للمحسنين في الدار الأولى العاشقين للجمال الإلهي الذين يتمتعون بمشاهدته رأي العين في ذاته. لقد اقتضى منطق الجمال والكمال الأبديين أن لا يختفي المشتاقون لله إلى الأبد، وأن لا يكون استمتاعهم بتجليات أسماء الله الحسنى في دار الضيافة فقط ولفترة قصيرة، ولذلك كان الله باعثا باقيا وارثا جامعا.

❧❧❧

---

[١٦٥] المكتوبات ٣٨٣

الجمالية في المحن والابتلاء
من خلال سيرة بديع الزمان سعيد النورسي

د. عبد الله البخاري
كلية الآداب – جامعة ابن زهر
أكادير

الحمد لله المتفرد بأسماء الجمال والجلال، والمتصف بجميع النعوت وصفات الكمال، والصلاة والسلام على المبعوث بمكارم الخصال، والقائل في فصل خطابه (إن الله جميل يحب الجمال)[١٦٦]، وعلى أزواجه وذريته وصحبه والآل، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المآل.

وبعد:

فإن جمالية المحن التي سأتحدث عنها هي تلك العاقبة الحسنة المحسوسة، والفائدة الطيبة الملموسة، التي تُعقب البلوى والمحن، والمصائب والفتن، وهي في جمالها المشرق، وبهائها المتألق، لا تظهر إلا بعد العسر والشدة، والكرب والحدة، وقد جرت بذلك سنة الله التي لا تتبدل، وعادته التي لا تتحول، {**فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلاً**}[١٦٧]، {**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ**}[١٦٨]، {**كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ**}[١٦٩]، {**وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**}[١٧٠]، {**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ**}[١٧١]،

---

[١٦٦] صحيح مسلم: كتاب الإيمان, باب تحريم الكبر ح١٤٧.
[١٦٧] الآية ٤٣ من سورة فاطر.
[١٦٨] الآية ٣١ من سورة الفرقان.
[١٦٩] الآية ٥٢ من سورة الذاريات.
[١٧٠] الآية ٣٥ من سورة الأنبياء

{أَحَسبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبينَ}[١٧٢]، **{أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذينَ خَلَوْاْ من قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ}**[١٧٣]، إلى آيات أخرى كثيرة ذكرها الله في كتابه العزيز ليبين لنا أن الوصول إلى الكمالات السامية، والمراتب العالية، لا بد له من عبور جسر الابتلاء والمحن.

والنصر والفرج – في الغالب – لا يأتي إلا بعد اشتداد الأزمات، وكلما عظمت البلايا والمحن كلما كان الفرج والنصر أكبر وأعظم، وقد يتأخر الفرج سنوات، وربما عشرات السنين، وربما قرونا بعد ذلك كثيرة، من أجل أن يكون النصر كبيراً، والأجر كثيراً، ولكن بعض المؤمنين لا يدركون هذه الحكمة فيستعجلون، ففي مكة لما اشتد الأمر على المؤمنين ونفد صبرهم وأصبح النصر منهم قريباً شكوا إلى رسول الله ﷺ واستبطئوا النصر فعن خباب بن الأرت: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة (فقلنا ألا تستنصر لنا ألا تدعوا لنا، فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد من دون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم قوم تستعجلون)[١٧٤]، هكذا يبين الرسول ﷺ سنة الله في المحن، ويذكر صحابته الكرام- الذين استعجلوا النصر مع أنهم صبروا سنوات ذاقوا خلالها من ألوان المحن ما ذاقوا- بهذه السنة في السابقين الأولين (ينشر بالمنشار- يمشط بأمشاط الحديد)، وبما أن الإنسان من طبعه استعجال الأشياء، ويود – في أقرب وقت — النصر على الأعداء، كان لا بد من هذا البيان ليعرف الناس أن سنة الله جرت على أن النصر لا يكون إلا بعد الصبر، وأن الفرج لا يكون إلا مع الكرب، وأن اليسر لا يكون إلا بعد العسر،

---

[١٧١] الآية ٣١ من سورة محمد.

[١٧٢] الآية ٢و٣ من سورة العنكبوت

[١٧٣] الآية ٢١٤ من سورة البقرة.

[١٧٤] صحيح البخاري:رقم ٦٩٤٣.

قال ﷺ: (واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً) [١٧٥].

وقد لا يعيش بعض المجاهدين نتائج النصر وعواقبه الحميدة التي تظهر فيها جمالية المحن في الدنيا قبل الآخرة، فسمية ومصعب وحمزة وغيرهم ممن استشهد قبل فتح مكة، لم يعيشوا فرحة الانتصار الذي تحقق بفتح مكة، وكثير من المؤمنين الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، لم يعيشوا فرحة الانتصارات الكبيرة التي تحققت للمسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ بالفتوحات الإسلامية الواسعة، وبمناسبة الحديث عن بديع الزمان النورسي، فإنه وإن كان على يقين من نصر الله لرسائل النور، فإنه ربما لم يكن يتوقع هذا الانتصار الباهر الذي حدث بعد وفاته، ولا زال في ازدياد إلى يومنا هذا، فما حدث بعده من جمالية المحن أكثر مما حدث في حياته، وهكذا شأن كثير من الدعوات الصادقة لا تظهر آثارها بشكل أوسع إلا بعد وفاة صاحبها، ولله تعالى حكم بالغة، ونعم سابغة، في الابتلاءات والفتن، والمصائب والمحن، يكرم الله بها عباده المخلِصين، وأصفيائه المخلَصين، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وهي حكم لا يدركها إلا من ذاق حلاوة المحنة، بعد مرارتها، وعاش ألطافها ومنحها بعد صدماتها، بل هناك حكم استأثر الله بالعلم بها، فالابتلاءات ظاهرها محن، وباطنها منح، قال تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ**}[١٧٦]، وقال: {**وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**}[١٧٧]، وإن أردنا أن نستشهد على هذه الحقيقة من الواقع فإننا نتأمل في جهاد الشعب الفلسطيني، فاستمرار الانتفاضة شئ مكروه للنفوس، والكل يحب للفلسطينيين أن ينعموا بالعافية والأمن والعيش بسلام، ولكن الله عندما يريد أن يُظهر آية من آياته: كعدم تحلل أجساد الشهداء يجعل الجهاد في سبيل الله يبقى قائماً في فلسطين حتى تظهر هذه الآية، فقد حكى الدكتور عبد الحميد القضاة في كتابه: "الميكروبات وكرامة الشهداء" أن أماً استشهد ابنها في سبيل الله، فأوصت بأن تدفن معه في قبره إذا ماتت، فعندما فتحوا قبر ابنها

---

[١٧٥] مسند الإمام أحمد (٣٠٨/١)، والبيهقي في الشعب (رقم ١٠٧٤)، والترمذي (برقم ٢٥١٦).

[١٧٦] الآية ١١ من سورة النور.

[١٧٧] الآية ٢١٦ من سورة البقرة.

وجدوه كما لو دفن لتوه، فلم يتغير منه شيء لا في كفنه ولا في جسده، فظهور مثـــل هـــذه الكرامة مترتب على ما يلاقيه إخواننا في فلسطين من محن وابتلاء.

ومن تأمل حكم الله سبحانه وتعالى (فيما ابتلى به عباده وصفوته بما ساقهم به إلى أجـــلّ الغايات، وأكمل النهايات، التي لم يكونوا يعبرون إليها إلا على جسر من الابتلاء والامتحان، وكان ذلك الجسر لكمالها كالجسر الذي لا سبيل إلى عبورهم إلى الجنة إلا عليه، وكان ذلك الابتلاء والامتحان عين المنهج في حقهم والكرامة، فصورته صورة ابتلاء وامتحان، وباطنه فيه الرحمة والنعمة، فكم لله من نعمة جسيمة ومنـــة عظيمـــة تجـــنى مـــن قطـــوف الابـــتلاء والامتحان...)[١٧٨]، (فلله سبحانه من الحكم في ابتلاءه أنبيائه ورسله وعباده المؤمنين، مـــا تتقاصر عقول العالمين عن معرفته، وهل وصل من وصل إلى المقامات المحمودة، والنهايـــات الفاضلة، إلا على جسر المحنة والابتلاء)[١٧٩].

وليس معنى هذا أن المؤمن يسعى إلى المحن لينال ما يترتب عليها من منح، فذلك مكروه عقلاً وشرعاً، قال ﷺ: (لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا)[١٨٠]، فالمؤمن لا يتمنى المحن، ولكن عليه أن يوطن نفسه على الصبر عليها، والرضى بها، إن هـــو أكرمه الله بشيء منها.

وقال ﷺ: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له)[١٨١].

وأكثر الناس بلاءً هم الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنـــه قال: قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء، قال:(الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل...)[١٨٢]، وبعـــد النجاح في الامتحان، تكون المكافأة في الدنيا وفي الآخرة، قال تعالى: {**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ**

---

[١٧٨] مفتاح دار السعادة (ج١/٢٩٩).

[١٧٩] مفتاح دار السعادة (ج١/٣٠١).

[١٨٠] صحيح البخاري: رقم ٢٩٦٦.

[١٨١] صحيح مسلم رقم ٢٩٩٩.

[١٨٢] ابن ماجه رقم ٤٠٢٣ والترمذي رقم ٩٣٢٨.

بكَلمَات فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ للنَّاسِ إِمَاماً}[183]، وقال:{**إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**}[184]، وقال: {**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**}[185]، (فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين)[186].

ومن درس سير ة الأنبياء والمرسلين، والعلماء والمصلحين، وجدها مملوءة بجماليات المحن، فمحنة نوح عليه السلام يظهر جمالها عندما عندما أغرق الله أعداءه بالطوفان، وأنجاه ومن معه في السفينة، ومحنة إبراهيم مع أبيه وقومه ظهر جمالها عندما قال الله للنار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم، ومحنته مع طاغية مصر ظهر جمالها عندما لم يستطع ذلك الطاغية أن يقترب من سارة، وإخدامه لها بهاجر، وكان منها إسماعيل، ومن نسله كان سيد الكائنات، قال العز بن عبد السلام: (فأعظم بذلك من خيركان في طي تلك البلية)[187]، ومحنة موسى مع فرعون ظهر جمالها عندما أغرق الله فرعون ومن معه أجمعين، ونجى موسى ومن معه أجمعين، وهكذا جمالية يوسف عليه السلام تظهر عندما صار وزيراً للمالية ثم ملكاً، ثم مجيء اخوته، فإرساله القميص فرجوع البصر إلى أبيه، ثم اجتماع الشمل، محطات في غاية الجمال، وأما جمال المحن في حياة محمد ﷺ فحدث ولا حرج، فسيرته كلها محن وكلها منح، وكلها جمال في جمال، وكمال في كمال، ولا يحصي ذلك إلا ذو الجلال والكمال والجمال، وهكذا أيضاً أمته ﷺ بدءاً من زوجاته وآله وصحابته ومن جاء بعدهم، من الأئمة الأعلام، الذين نصر الله بهم ملة الإسلام.

وللمحن فوائد كثيرة، وثمرات كبيرة، لو أردنا ذكرها على التفصيل لطال بنا المقام، وقد جمع بعضها العز بن عبد السلام في رسالة مستقلة بعنوان::**فوائد البلوى والمحن**، ذكر فيها سبع عشرة فائدة على سبيل الإجمال، ولأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي (ت٣٣٣) كتاب بعنوان: **المحن**، وكان هو أيضا من الذين تعرضوا للمحن من قبل الشيعة.

وكلما كثرت المحن في حياة العالم المصلح المجدد، كلما كثرت محطات الجمال، كما هو

---

(183) سورة البقرة الآية ١٢٣.
(184) سورة يوسف الآية ٩٠.
(185) سورة السجدة الآية ٢٤.
(186) تفسير ابن كثير (ج٣/٤٦٣).
(187) فوائد البلوى والمحن ص١٥.

جلي في سيرة بديع الزمان النورسي الذي استمرت معه المحن إلى آخر لحظة من لحظات حياته، بل حتى بعد مماته، حيث طاردوه في قبره حتى أخفوه عن الناس وهي في ظاهرها بلية ومحنة، لكن في طيها كرامة ومنة.

والأمر العظيم لا يصل إليه إلا الرجل العظيم، والوصول إلى الكمال لا يدرك إلا بركوب الأهوال، وسواء تعلق الأمر بالدنيا أو بيوم المآل، قال ابن القيم رحمه الله:(فالمصالح والخيرات واللذات والكمالات، كلها لا تنال إلا بحظ من المشقة، ولا يعبر إليها إلا على جسر من التعب، وقد أجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يدرك بالنعيم، وأن من آثر الراحة فاتته الراحة، وأن بحسب ركوب الأهوال واحتمال المشاق تكون الفرحة واللذة، فلا فرحة لمن لا هم له، ولا لذة لمن لا صبر له، ولا نعيم لمن لا شقاء له، ولا راحة لمن لا تعب له، بل إذا تعب العبد قليلاً، استراح طويلاً، وإذا تحمل مشقة الصبر ساعة قاده لحياة الأبد، وكل ما فيه أهل النعيم فهو صبر ساعة والله المستعان ولا قوة إلا بالله، وكلما كانت النفوس أشرف والهمة أعلى كان تعب البدن أوفر وحظه من الراحة أقل) [١٨٨].

وإذا كانت النفوس كباراً　　　تعبت في مرادها الأجساد[١٨٩]

وقال غيره:

وإن عليات الأمور مشوبة　　　بمستودعات في بطون الأساود

تلك هي نفس بديع الزمان النورسي، لقد أتعب من جاء بعده، وأيأس من حاول مسايرته، وحير من حاول فهمه، فقد بالغ رحمه الله في الاستعداد للتضحية بنفسه في سبيل إنقاذ بعض المساكين من أهل الإيمان، حتى ولو أدى به الحال إلى ترك الجنة ودخول النار، ثم الخروج منها والرجوع إلى الجنة، وهذا مما لا نوافقه عليه، وهو غير متصور عندي، إذ العمل من أجل إسعاد الناس من أسباب دخول الجنة والبعد عن النار، ولكن الشيخ كأنه يقول لو كان ذلك ممكناً لضحيت بنفسي في سبيل نجاة الآخرين، والله أعلم.

فقد وصل إلى درجة التلذذ بالمحن والفرح بها، قال ﷺ : (وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء

---

[١٨٨] مفتاح دار السعادة (١٥/٢).

[١٨٩] ديوان المتنبي مع شرح البرقوقي ج٦٤/٤.

كما يفرح أحدكم بالرخاء)[190]، وهي درجة عالية في محبة الله والرضى بأقداره، لأن المحبة كلما تمكنت في القلب ورسخت فيه، كان أذى المحبوب في رضى محبوبه مستحلىً غير مسخوط، والمحبون يفتخرون عند أحبابهم بذلك حتى قال قائلهم:

لئن ساءني أن نلتني بمساءة لقد سرني أني خطرت ببالك

وهذا في المحبة بين المخلوقات، فما الظن بمحبة المحبوب الأعلى، الذي ابتلاءه لحبيبه رحمة منه له وإحسان إليه[191].

وإذا ما تمعن المؤمن في سيرة هذا الرجل العظيم، وما لاقاه من محن بنوعيها البدني والنفسي، وإن كان نصيبه من الثاني أشد وأكثر، فإنه يرجو له أن يكون داخلاً تحت قوله ﷺ: (ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى العبد على حسب دينه، فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه من خطيئة)[192].

فنرجو له أن يكون قد خرج من الدنيا وما عليه من خطيئة.

المبحث الأول: بعض المحن التي ابتلي بها الأستاذ النورسي:

كل من قرأ من المنصفين المخلصين سيرة هذا الإمام العظيم، سيقف أمامه وقفة إجلال وإكبار وامتنان، ويحييه تحية احترام وتقدير وعرفان، وسيطأطئ رأسه حياء وخجلاً من عمله في خدمة الإيمان، ولن يجد بداً من أن يشكر الإمام على ذلك الجهاد وتلك التضحيات، ويهنئه بتلك المكرمات، ويغبطه على مقامه في تلك المقامات، كيف لا وهو الرجل الذي نذر حياته كلها لله، وضحى بماله وجاهه ونفسه في سبيل الله، لم ينعم بأنعم الدنيا وملذاتها، مع أنه كان بالإمكان أن ينال أعلى منازلها ووظائفها، بل إنه فضل أن يعيش غريباً في شكله، ووحيداً في دهره، لم تغيره الأيام والسنون، ولا إشرافه مرات عديدة على لقاء المنون، إن رجلاً كهذا لجدير بأن تقتدي به الحركات الإسلامية في دعوتها، وتستنير بسياسته الدعوية في خلواتها

---

(190) سنن ابن ماجه رقم ٤٠٢٤.

(191) إغاثة اللهفان لابن القيم ج٢/١٨٨-١٩٠.

(192) سنن ابن ماجه رقم ٤٠٢٣.

وجلواتها، وذلك لأن ما واجهه من مؤامرات كانت أقسى مما تواجهه الدعوة اليوم في مسيرتها، وإن تعجب فعجب غفلة كثير من الدعاة المخلصين عن سيرة هذا الرجل ودعوته، أو عبقريته وحنكته، وجهاده الطويل ومصابرته، بالرغم من المجهودات المشكورة التي يبذلها طلاب النور في نشر كتبه ورسائله، ولعل من الموانع اختلاف اللسان والتأخر في ترجمة كتبه، ولذلك فإنه يحسن بنا ومن باب تنوير فكر القارئ أن نعرج على بعض المحن التي تعرض لها الأستاذ خلال حياته، وهي قليل من كثير، بل بمثابة نقير على ظهر بعير، فما سنذكره هنا لا يبلغ ولا عشر معشار ما تعرض له الأستاذ من المحن.

وذلك لأن محنه كثير منها ليست كمحننا من حيث نوعها ومجالها ومهما بلغت في شدتها فإنه كان يجد لها طعماً خاصاً، يحولها إلى منح، فمن المحن العصيبة التي ابتلي بها رحمه الله:

جهاده وأسره:

عندما كان يجاهد في سبيل الله دفاعاً عن دينه ووطنه، وأبلى في ذلك البلاء الحسن، فإنه في إحدى مواقفه الشجاعة تولى قيادة ثلاثمائة متطوع واستخلص ثلاثين مدفعاً من يد الجنود الروس بعد أن قال رحمه الله: (إما أن أموت أو آتيكم بتلك المدافع)[١٩٣]، ولما كان الأرمن يذبحون أطفال المسلمين منع هو رحمه الله من قتل أطفالهم مما جعل الأرمن يعجبون من أخلاق المسلمين ويكفون عن ذبح أطفالهم[١٩٤]، ووقع أسيراً في يد الجنود الروس في الحرب العالمية الأولى بعد استشهاد كثير ممن كانوا معه، ومنهم ابن أخته، ونجا هو في أربعة من طلابه باختراقهم صفوف العدو بشكل خارق، ثم أصيب بأربع قذائف دفعة واحدة، وكسرت ساقه، وبقي في الماء والطين أربعاً وثلاثين ساعة منتظراً الموت، ومحاصراً من قبل العدو، قال رحمه الله عن هذه الحادثة: (فهذا الوقت يعد أحلك أوقاتي اليائسة وأشدها رهبة)[١٩٥]، وقال لطلابه بعد إصابته: اتركوني وشأني واسعوا لإنقاذ أنفسكم، فأجابوه: فلنستشهد ونحن في خدمتكم، وظلوا معه حتى أسر الجميع، وظل في الأسر سنتين ونصف السنة تقريباً حتى تمكن من الفرار وعاد إلى

---

(١٩٣) السيرة الذاتية ص١٢٧.

(١٩٤) السيرة الذاتية ص١٢٦.

(١٩٥) السيرة الذاتية ص١٢٨.

استانبول سنة ١٣٣٦هـ[١٩٦]، وكانت له ذكريات عجيبة، ومواقف إيمانية منقطعة النظير أثناء أسره[١٩٧].

السجن:

دخل رحمه الله عدة سجون في أوقات مختلفة، في أماكن متعددة، بسبب اتهامات ملفقة، وأكاذيب مختلقة، أو تأويلات مكلَّفة، ومن هذه السجون سجن (أسكي شهر) سنة ١٩٣٥-١٩٣٦م[١٩٨]، وسجن (دنيزلي) سنة ١٩٤٣-١٩٤٤م[١٩٩]، وسجن (أفيون) سنة ١٩٤٨-١٩٤٩م[٢٠٠]، وقد تعرض فيها رحمه الله إلى كثير من أنواع الإهانات والمضايقات والسجن الانفرادي، وقد كان رحمه الله يسمي السجن بدار الضيافة، وبالمدرسة اليوسفية- نسبة إلى نبي الله يوسف عليه السلام الذي لبث في السجن بضع سنين- وكان ينظر إلى السجن على أنه مدرسة لتكوين الأجيال وتقوية الإيمان، وانتشار سر الإخلاص، وأن في السجن خيرات كثيرة وربحاً عظيماً بل إن السجن عين الرحمة، وأنه وسيلة لنشر رسائل النور، قال رحمه الله:(قضاء الشهور الثلاثة (رجب شعبان رمضان) في المدرسة اليوسفية التي تكسب ربحاً بعشر أمثالها لا شك أنه ربح كبير، وفوز عظيم فمهما كانت المشقات فهي عين الرحمة...، لأن القادمين والمغادرين لدار الضيافة هذه (السجن) يصبحون وسائط لنشر دروس النور)[٢٠١]، وقال: (لو أفرج عنا لحرمنا من خيرات هذه المدرسة اليوسفية، فالخير فيما اختاره الله، وستكون إن شاء الله أفراح كثيرة، وخيرات أكثر)[٢٠٢].

النفي:

كان الأستاذ من أذكى الناس وأعقلهم وأكثرهم رزانة وأرجحهم سياسة، ينظر بعيداً، ويصدر دائماً عن القرآن، وهدفه الوحيد هو أن يثبت الناس على حقائق الإيمان، ولا يحب أن

---

[١٩٦] السيرة الذاتية ص١٢٨.

[١٩٧] المكتوبات ص٩٤,الشعاعات ص ٣٧٩, السيرة الذاتية ص١٢٩-١٣١.

[١٩٨] السيرة الذاتية ص٢٥١, اللمعات ص٤٠٣., الشعاعات ص٥١٨.

[١٩٩] السيرة الذاتية ص٣٢٧.

[٢٠٠] السيرة الذاتية ص ٣٨٣.

[٢٠١] الشعاعات ص ٥٤٠, السيرة الذاتية ص٤٢٠-٤٢١.

[٢٠٢] الشعاعات ص٥٥٧, السيرة الذاتية ص٤٢٦.

يؤذى أحد بسببه، ومن أحرص الناس على حفظ الدماء، ولذلك لم يرتكب طول حياته مـــا يكون سبباً في ثورة أو خروج على الحكومة، مع أنه كان من أقدر الناس على استمالة الناس إليه، بل إنه استشير مرة من قبل بعض الأقوياء على العصيان فرفض الإذن له بـــذلك حقنـــاً للدماء، ومع ذلك أوذي ورمي بتهمة الإخلال بالأمن، واعتقل مرات ونفي مرات أكثر، بل إن حياته كلها كانت نفياً، وما ذاك إلا لأن أعداء الإسلام من الماسونيين والملحدين عرفوا قـــوة خطابه وبيانه، فكانوا يحرصون باستمرار على عزله وفصله عن المجتمع؛ حتى لا تنتشر دعوته ويظهر نوره، ولكن هيهات هيهات {**يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**}[٢٠٣].

وكانت الحكومات المتعاقبة تلجأ إلى النفي بدل السجن، لأن المحاكم التي كان يقدم لها بتهم واهية ما كانت تستطيع إدانته لضعف التهم، وقوته رحمه الله في الحجاج والدفاع عـــن نفسه، وقبل ذلك وبعده {**إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا**}[٢٠٤]، فلربما كلمة واحدة أو جملة واحدة يقولها الأستاذ تجعل كل التهم تتهاوى وتتساقط، فمن الأماكن التي نفي إليها (بوردور) سنة ١٩٢٦م، ثم (إسبارطة)[٢٠٥]، ثم إلى (بارلا) من ســـنة ١٩٢٧م-١٩٣٥م[٢٠٦]، ثمـــاني سنوات تعرض خلالها لمضايقات شديدة؛ حتى ذكر الأستاذ مرة أنه على استعداد أن يسرد منها ثمانين حادثة[٢٠٧]، ومنها أنهم كانوا يمنعونه من إقامة الصلاة باللغة العربية ومـــن رفـــع الأذان سراً، ثم منفى(قسطموني) (من سنة ١٩٣٦-١٩٤٣)[٢٠٨]، ثم منفـــى (أمـــيرداغ) ١٩٤٤-١٩٤٨م[٢٠٩]، وكان المنفى أشد عليه من السجن خاصة منفاه الأخير، وفي هذه المحنة يقول: (عندما كنت نـــزيل غرفة في (أميرداغ) تحت الإقامة الجبرية وحيداً فريداً كانت عيون الترصد تتعقبني وتضايقني دائماً، فأتعذب منها أشد العذاب...حتى رغبت أن أعود إلى السجن؛ حيث

---

[٢٠٣] الآية ٨ من سورة الصف.

[٢٠٤] الآية ٣٨ من سورة الحج.

[٢٠٥] اللمعات ص٦٨, السيرة الذاتية ص٢١٠-٢١١.

[٢٠٦] السيرة الذاتية ص٢١٣, المكتوبات .

[٢٠٧] اللمعات ص ٦٨, السيرة الذاتية ص٢٢٠.

[٢٠٨] اللمعات ص ٤٠٢, السيرة الذاتية ص٣٠٣.

[٢٠٩] اللمعات ص ٣٩٤, السيرة الذاتية ص٣٥٧.

السجن أفضل من هذا اللون من الحياة ...إن يوماً واحداً من هذه الحياة يضايقني أكثر مـــن شهر كامل في سجني المنفرد، ذلك لقد منعت من كل شـــئ رغـــم ضـــعفي وتقـــدمي في السن)[٢١٠]، ومع ذلك فكما أنه يسمي السجن بالمدرسة اليوسفية فإنه كان يســـمي المنفـــى بالمدرسة النورية، نسبة إلى رسائل النور، ورغم قساوة المحن التي مرت به فإنه لم يكن يضـــيع شيئاً من وقته، فإما ذاكراً لله وإما متأملاً في ملكوت الله أو يكتب في رسائل النور.

التسمم:

لقد كان أعداء الإسلام يحاولون التخلص منه بكل الوسائل وذلك بعد أن عجزوا عـــن إسكاته لأنهم لما عزلوه عن الناس بالسجون والنفي الطويل، ابتكر رحمه الله طريقة رسائل النور التي كان يتواصل بها مع الناس، بحيث كانت هذه الرسائل تستنسخ وتوزع على أوسع نطاق رغم أنف المترصدين والجواسيس.

ومن جملة المكائد الكثيرة التي كادوا بها الأستاذ عملية التسميم، فقد تعرض رحمه الله إلى التسميم خمس عشرة مرة، وذلك بأمر من السلطات[٢١١]، ولكن الله الحافظ حفظه وشافاه في كل تلك المرات، والآجال بيد الله، وهو على كل شئ قدير.

المضايقات المستمرة:

كثيراً ما نص الأستاذ على المضايقات التي كان يتعرض لها[٢١٢]، سواء أكان في السجن أو في المنفى أو خارجهما حتى إنه كان يُكره على لبس القبعة التي لا تليق بأهل العلم، وجلـــب مرتين إلى المحكمة بسبب ذلك، وقد قال مرة: (إن مضاعفة المضايقات والمراقبة علي وعـــزلي عن الناس أكثر من هذا الحد سيمس غيرة الله وتكون العاقبة وخيمة)، ويظهر أن منظمـــات كثيرة من الماسونيين والزنادقة والملحدين، كانوا وراء هذه المضايقات من أجل كسر نفـــوذه وتأثيره في الناس، وذلك بتجريده من كل شيء وإهانته وعدم الاهتمام به، وتجنيب الناس عنه وإخافة محبيه[٢١٣]، فقد كانوا يخافون من تأثيره في الناس خوفاً شديداً، لذلك استمر الحصـــار

---

[٢١٠] الملاحق ص٢٣١, السيرة الذاتية ص٣٥٧.

[٢١١] السيرة الذاتية ص٣٥٩و٤٣٦.

[٢١٢] السيرة الذاتية ص٣٦٠.

[٢١٣] السيرة الذاتية ص٣٥٨.

عليه طيلة حياته، وهذا التأثير العجيب أدركه اليهودي (عمانوئيل كراصو) عنـــدما حـــاول الاجتماع مع الأستاذ للتأثير عليه وإذا به يفر هارباً ويقول:(لقد كاد هذا الرجل العجيـــب أن يزجني في الإسلام بحديثه) [٢١٤]، وكل المضايقات والشدائد والحصار المحكم عليه الذي تعرض له من أعدائه إنما كان بسبب الخوف الشديد منه وذلك لقوة إيمانه وبيان حجتـــه الشـــرعية والقانونية[٢١٥]، حتى إنهم كانوا لا يسمحون له في كثير من الأحيان بالرد علـــى الاتهامـــات والافتراءات الموجهة إليه، فتجد أن لائحة الاتهام تستغرق قراءتها ساعتين، والرد عليها من قبل الأستاذ يحدد له في دقيقة أو دقيقتين[٢١٦].

وقد بدأت هذه المضايقات في وقت مبكر في حياة الأستاذ، فقد قال في بعـــض رســـائله لأصدقائه من منفى (أميرداغ) الذي كان ما بين تاريخ (١٩٤٤-١٩٤٨) إنه قبل ثلاثين سنة سمع ممن يثق به أن:(منظمة للزندقة مدعومة من جهات أجنبية قرءوا كتاباً لك (أي للأستاذ) وقالوا لا يمكن نشر أفكارنا ما دام هذا الرجل حياً ولذلك قرروا القضاء عليـــك... فهـــذه المنظمة قد توسعت واستعملت بحقي جميع حبائل المكر والخديعة منذ ثلاثين سنة أو أربعين سنة فسببت دخول السجن مرتين، وتسميمي إحدى عشرة مرة، وآخر خطتهم هو استعمال نفوذ الحكومة الرسمية بتشديدها علي... حتى إنهم بدءوا ببث الأراجيف والشائعات المغرضة لمثلي، وأنا العاجز الضعيف الكهل المنـــزوي الفقير الغريب المحتاج إلى من يعاونه ويخدمـــه فيبلـــغ الخوف لدى الناس مبلغاً بحيث لا يجرأ أحد من الموظفين أن يسلم علي تجنباً من نقله إلى بلـــد آخر ... لذا لم يمر علي غير المخبرين والجواسيس بل حتى جيراني قطعوا عني السلام) [٢١٧].

ولما برأت المحكمة ساحته بعد تدقيق وتمحيص استغرق سنتين، دبرت تلك المنظمة خطة أخرى وعزلوه عن طلابه ونفوه إلى مكان غير ملائم كلياً لصحته وحياته، وكانوا يفتعلـــون الأحداث من أجل إثارته وإغضابه حتى يقول كلاماً أو يتصرف تصرفاً غير متزن ليدينوه بـــه وينهون حياته، ولما لم ينجحوا في محاولاتهم البائرة حاولوا إنهاء حياته بالتسمم، وكمـــا قـــال

---

[٢١٤] السيرة الذاتية ص٨٧.

[٢١٥] الشعاعات ص ٥٣٧, السيرة الذاتية ص٤٢٠.

[٢١٦] السيرة الذاتية ص٤٠٨.

[٢١٧] السيرة الذاتية ص٣٦١.

الأستاذ: (لم يقترف في التاريخ وفي أي حكومة كانت خرق للقانون ولا إنـــزال لأنـــواع العذاب والمظالم باسم القانون وباسم الحكومة بمثل ما اقترف بحقي، إذ كان الترصد والمراقبـة مستمرة بحيث تثير أعصابي حتى تبلغ مبلغ الحدة والغضب مـع إلقـاء الرعـب في قلـوب الناس)[٢١٨].

ولشدة المضايقات واستمرارها وكثرة ما يراه من منكرات مقننة تجرح مشاعر المسـلمين وتؤلمهم، أصبح الأستاذ يفضل البقاء داخل السجن حتى لا يرى الكفر البواح والزندقة والإلحاد والافتراء على الإسلام الذي لا يسمح له بإنكاره لا باللسان ولا بالقلم.

قال رحمه الله: (إن أفضل مكان لنا هو السجن في زمن حكم وزارة مستبدة تمنع الحـج، وتهدر ماء زمزم وتحظره، وتسمح بإنـزال أشد الظلم بنا...وترفع درجة المـوظفين الـذين يتولون تعذيبنا قصداً وبلا سند قانوني ولا تلقي السمع إلى أصواتنا المرتفعة، ولا إلى بكائنا بكاء المظلومين المنطلق من مساكننا بلسان الحال، إن أفضل مكان لنا في فترة حكم هذه الوزارة هو السجن)[٢١٩]، وقال مرة أخرى:(إن وضعنا وحالنا خارج السجن- تحت هذه الظروف- أسوأ مائة مرة من حالنا داخله ولا يبقى بعد هذا الاستبداد المطلق الموجه إلينا أي نوع من أنـواع الحرية، لا الحرية العلمية، ولا الحرية الوجدانية، ولا الحرية الدينية، أي لا يبقى أمـام أهـل الشهامة، وأهل الديانة، وأمام مناصري الحرية، ومحبيها من سبيل إلا الموت، أو الـدخول إلى السجن، أما نحن فلا يسعفنا إلا أن نقول: {**إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ**} ونعتصم بربنا ونلوذ به)[٢٢٠].

هذا زيادة على الآلام التي كان يحس بها أكثر من غيره من جراء ما أصاب العالم الإسلامي بصفة عامة والدولة العثمانية بصفة خاصة، من هزائم متتابعة، وهذا ما يعبر عنه بقوله: (إنـني أستطيع أن أتحمل كل آلامي الشخصية، ولكن آلام الأمة الإسلامية سحقتني، إنني أشعر بـأن الطعان التي وجهت إلى الأمة الإسلامية وجهت إلى قلـبي أولاً، ولهـذا تـروني مسـحوق الفؤاد)[٢٢١].

---

[٢١٨] السيرة الذاتية ص٣٦٢.

[٢١٩] السيرة الذاتية ص٤٣٠..

[٢٢٠] الشعاعات ٣٣١, السيرة الذاتية ص٣٤٠.

[٢٢١] السيرة الذاتية ص١٣٧.

ومما ارتعدت منه روحه وقلبه وبكت منه نفسه بكاء مراً ما آل إليه أمـــر دار الحكمـــة الإسلامية- التابعة لديوان المشيخة الإسلامية التي كان يعمل فيها، وكانت تشع منها أنـــوار الشريعة، منذ مئات السنين- إذ أصبحت إعدادية للبنات وموضع اللهو واللعـــب (فعنـــدها غشيتني حالة روحية محزنة كأن الدنيا هدمت على رأسي، فما حيلتي؟ لا حول لي ولا قوة ولا كرامة ولا ولاية لأدفع المصيبة)[٢٢٢].

إلى غير ذلك من المحن التي تشيب لها الولدان، ويتفطر منها قلب الإنسان، وهذا ما دفعه مرة ليقول:(لقد تعرضت إلى ظلم لا مثيل له)[٢٢٣].

المبحث الثاني: بعض التهم التي كان يحاكم من أجلها:

عندما تسود شريعة الغاب وتغيب الشريعة المحمدية ولا يحترم الناس حتى مـــا وضـــعوه بأنفسهم من قوانين وضعية، ويتحكم الهوى، وينعدم العقل والضمير ويصبح الإنسان حيوانـــاً مفترساً فإنه سيضع القوانين التي تخدم أغراضه وشهواته، ثم إذا لم تحقق له ذلك غيبها أو أولها من أجل الوصول إلى مراده، فلربما حاسب المقتول لماذا تلطخ بدماء قاتله، والعـــدو إذا كـــان خصماً وحكماً فإنك لن تستطيع التخلص من تهمه، والأستاذ النورسي كان خصـــمه هـــو الحكم، وهذا من أشد أنواع المصائب والمحن، بحيث يعد حسناته سيئات ومعروفه منكـــرات وجماله قبائح وزلات.

إذا كانت محاسني التي أدل بها ذنـــوباً فقـــل لي كيـــف أعتذر

فمن أغرب ما اتهموه به- ولأول مرة في حياتي أسمع أنه جريمة يحاكم عليها المتلبس بها أنهم قالوا له: لماذا طلبتك يثنون عليك ويمدحونك؟! ومع أن الشريعة الإسلامية تجيز ذلك.

والله تعالى (إذا أحب عبداً وضع له القبول في الأرض)[٢٢٤]، والقوانين ليس فيها ما يمنع من ذلك ولكن أعداء الأستاذ أعمى الله بصائرهم حتى أصبحوا لا يميزون بين الليل والنهـــار وبين الشمس والكوكب الغابر، والأستاذ رحمه الله عرف عنه أنه لا يحب من أحد أن يثني عليه

---

[٢٢٢] السيرة الذاتية ص٢١٠.

[٢٢٣] السيرة الذاتية ص ٢٨٥.

[٢٢٤] متفق عليه: البخاري برقم(٣٢٠٩و٦٠٤٠), ومسلم برقم(٢٦٣٧).

أو يمدحه، وفي الدفاع عن هذه التهمة قال لهم:(فهل هناك مادة قانونية تضع شخصاً في موضع الاتهام واللوم لأن أفراداً آخرين يمدحونه بالرغم أنه كاره لهذا المديح؟ أتوجد مثل هذه المـــادة القانونية لكي يمكن تبرير قيام موظف رسمي لاتهامي باسم القانون)[٢٢٥].

ومن التهم أيضاً: ذكره في رسائله لبعض الأمور المسلمة في الشريعة الإسلامية الـــتي لم يختلف فيها اثنان، و لم ينتطح فيها عنـــزان، وهي من المسائل المعلومة من الدين بالضرورة.

مثل: الحجاب، والإرث، وتعدد الزوجات، وذكر الله عز وجل قال رحمه الله: (لقد عدوا تفسيري للآيات القرآنية الصريحة حول الحجاب والإرث وذكر الله، وتعدد الزوجات، وقيامي برد الاعتراضات المثارة ضدها من قبل المدنية الغربية الحالية رد مفحماً...، عدُّوا ذلك إحدى التهم الموجهة إلي)[٢٢٦]، وهذه الإدانة تعتبر منهم إنكاراً للإسلام وخيانة لمليار من أجـــدادنا الأبطال المتدينين واتهاماً لملايين التفاسير القرآنية كما قال الأستاذ النورسي رحمه الله[٢٢٧].

ومن التهم أيضاً: تهمة الإخلال بالأمن، قال رحمه الله:(من الأسباب التي ذكروها لتبرير الحكم علي هي القيام بالإخلال بالأمن والاستقرار، وعلة هذا أنهم قاموا بتفسير خاطئ لمعـــنى بعض الجمل الواردة في خطابات شخصية ورسائل خاصة لا تتجاوز الخمسين جملة مـــع أن رسائل النور تحوي أكثر من مائة ألف كلمة وجملة ونظروا إلى احتمال واه وبعيـــد جـــداً لا يتجاوز واحداً في المائة بل واحداً من ألف)[٢٢٨].

وكيف يتهم شخص بهذا الاتهام وهو من أشد الناس شفقة ورغبة في تجنيـــب الأبريـــاء والشيوخ أي أضرار تلحق بهم، ويتجنب الدعاء على ظالميه ومعذبيـــه[٢٢٩]، وإذا لم تســـتحي فاصنع ما شئت.

ومن التهم أيضاً: عدم لبس القبعة، قال رحمه الله: (لقد أبرزوا عدم قيامي بلبس قبعـــتهم كسبب مهم لإدانتي و لم يسمحوا لي بالكلام)[٢٣٠].

---

[٢٢٥] السيرة الذاتية ص٤١٤.
[٢٢٦] السيرة الذاتية ص٤٠٩.
[٢٢٧] السيرة الذاتية ص٤١٠.
[٢٢٨] السيرة الذاتية ص٤١٠.
[٢٢٩] السيرة الذاتية ص٤١٢.
[٢٣٠] السيرة الذاتية ص٤١٣.

ومن التهم أيضاً: استغلال الدين لغاية سياسية، قال رحمه الله:(لِمَ أُساق من محكمة إلى محكمة، ومن ولاية إلى ولاية، ومن مدينة إلى أخرى، طول ثمانية وعشرين عاماً؟ وما التهمة الموجهة إلي من قبل من ارتضوا لأنفسهم معاملتي بكل هذا التعذيب الظالم، أليست هي استغلال الدين في سبيل السياسة؟ ولكن لم لا يستطيعون إثبات ذلك؟ لأنه لا يوجد شئ من هذا القبيل في الحقيقة وفي الواقع...)[٢٣١].

ومن التهم أيضاً: الافتراءات والتأويلات المكشوفة: قال رحمه الله:(أجبرونا على سماع لائحة الاتهام للمدعي العام البالغة خمس عشرة صحيفة والتي ملأوها بالأكاذيب المغرضة، وبالافتراءات وسوء الفهم، حتى إنني أحصيت فيها واحداً وثمانين خطأ و لم يسمحوا لي بالكلام وبالرد)[٢٣٢].

ومن التهم أيضاً: تأليف جمعية سرية، وتحريض الشعب على الحكومة العلمانية، ومحاولة قلب نظام الحكم، وتسمية مصطفى كمال بـ"الدجال" و"السفياني"[٢٣٣].

المبحث الثالث: قواعد في التعامل مع المحن من خلال سيرة الأستاذ النورسي.

هناك ظاهرة عند الأستاذ لم أجدها حسب علمي عند غيره من العلماء المجاهدين هذه الظاهرة هي الاستعداد المتناهي للتضحية في سبيل الله، من أجل إسعاد الإنسانية، والتفاني في خدمة الإيمان مهما عظمت المصائب والمحن، حتى إنه قال مرة: (ألا فلتعلموا جيداً بأنه لو كان لي من الرؤوس بعدد ما في رأسي من الشعر، وفصل كل يوم واحدٌ منها عن جسدي فلن أحني هذا الرأس الذي نذرته للحقائق القرآنية، أمام الزندقة والكفر المطلق، ولن أتخلى بحال من الأحوال عن هذه الخدمة الإيمانية النورية ولا يسعني التخلي عنها)[٢٣٤]، وفي مرات كثيرة يصرح بأنه مستعد للتضحية بكل شيء من أجل خدمة الإيمان ومن أجل إنقاذ بعض المساكين من أهل الإيمان، بل إن لزم الأمر التضحية حتى بالمراتب الأخروية، وبمعنى آخر أن الإمام النورسي تغيرت عنده المحن إلى منح وأصبح يتلذذ بها بدل الخوف منها، فما هي السبل

---

[٢٣١] السيرة الذاتية ص٤٤١.
[٢٣٢] السيرة الذاتية ص٤٠٨.
[٢٣٣] السيرة الذاتية ص ٣٢٧.
[٢٣٤] السيرة الذاتية ص ٣٩٤.

والطرق التي سلكها بديع الزمان حتى أصبح المكروه عند الناس محبوباً لديه.

لقد سلك الأستاذ طرقاً كثيرة من أجل الوصول إلى هذه الغاية، هذه الطرق يمكن أن تكون بمثابة قواعد يضبط بها المسلم كيفية تعامله مع المحن، وتكون بالنظر إلى أمور، منها:

١. النظر إلى الأجر والثواب المترتبين على المحنة والعقاب.

قال رحمه الله:(وقد عزمنا على مجابهة جميع المشقات بالصبر الجميل بل بالشكر لله العظيم، فنحن مكلفون بالشكر؛ لأن درهما من التعب والمشقة يورث طناً من الثواب والرحمة)[٢٣٥]، وقال مرة أخرى: (إن كانت مشقتكم واحدة فإن ربحكم ألف إن شاء الله) [٢٣٦].

وقال أيضاً:(فقضاء هذه الشهور الثلاثة في المدرسة اليوسفية(السجن) التي تكسب ربحاً بعشرة أمثالها لا شك أنه ربح كبير وفوز عظيم فمهما كانت المشقات فهي عين الرحمة) [٢٣٧]، وهكذا كلما تعرض لمحنة ينظر إلى ما تؤول إليه من الخيرات والمسرات، فيقول:(وستكون إن شاء الله أفراح كثيرة وخيرات أكثر)[٢٣٨]، وإذا طالت المحنة قال:(لو أفرج عنا لحرمنا من خيرات هذه المدرسة اليوسفية)[٢٣٩].

وبما أن الأمور بنتائجها وخواتمها فإن الإنسان إذا فهم عن الله وأيقن بوعده واستنار بسيرة الأنبياء الصالحين فإن فرحه بتلك النتائج المرجوة وانتظاره لذلك الأجر والثواب الذي لا يقادر قدره {**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**}[٢٤٠]، سيجعل الفرح والانتظار ينسيه المحن، وتصبح المصيبة كأن لم تكن[٢٤١]، (إن المصائب الظاهرية ونتائجها تنشق عن ثمرات عناية إلهية في منتهى اللذة فالآية الكريمة {**وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ**}[٢٤٢]تلقن درس حقيقة يقينية)[٢٤٣].

---

[٢٣٥] الشعاعات ص٤١٩, السيرة الذاتية ص٤١٩.
[٢٣٦] الشعاعات ص ٥٦٩, السيرة الذاتية ص٤٣٠.
[٢٣٧] السيرة الذاتية ص٤٢٠.
[٢٣٨] السيرة الذاتية ص٤٢٦.
[٢٣٩] السيرة الذاتية ص٤٢٦.
[٢٤٠] الآية ١١من سورة الزمر.
[٢٤١] اللمعات/٤٠٤.
[٢٤٢] الآية ٢١٦ من سورة البقرة.
[٢٤٣] السيرة الذاتية (ص٣٧٣).

٢. النظر إلى عدالة القدر أكثر من النظر في ظلم الإنسان.

الإنسان لضيق صدره ومحدودية معرفته وعجلته، لا ينظر في الغالب إلا فيما يراه بعينه، فيصدر الأحكام ويبني عليها تصرفات أخرى، ولو رفع الحجاب لنسخ الأحكام وهدم ما بناه عليها، هكذا الإنسان الذي لا صلة له بالله، أما المسلم الذي تأدب بآداب القرآن، فإنه يؤمن بالقدر خيره وشره، وبقوله تعالى {**وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**}[٢٤٤].

وهذا هو المبدأ الذي كان عند الأستاذ النورسي، الذي أطلق عليه قاعدته المشهورة (من آمن بالقدر أمن من الكدر)[٢٤٥]، وأما النظر في عدالة القدر وحكمته فيقول فيها رحمه الله:(فعلينا أن نفكر في عدالة القدر الإلهي والحكمة الإلهية أكثر مما نفكر في ظلم الإنسان، نعم! إن القدر قد دعا طلاب النور إلى هذا المجلس وإن حكمة ظهور الجهاد المعنوي قد ساقتهم إلى هذه المدرسة اليوسفية التي هي حقاً ضجرة وخانقة، فصار ظلم الإنسان وسيلة ذلك.

ولهذا إياكم أن يقول بعضكم لبعض:"لو لم أفعل كذا لما اعتقلت"[٢٤٦]، إن حكمة واحدة لعدالة القدر الإلهي في سوقنا إلى المدرسة اليوسفية ل"دنيزلي" هي حاجة المسجونين فيها وأهاليها- إلى رسائل النور وإلى طلابها أكثر من أي مكان آخر)[٢٤٧].

وفي فهم دقيق وفتح مبين لبعض المظالم التي تنزل بالإنسان، وما تنطوي عليه من تجل للعدالة الإلهية يقول: (لقد أثبتت رسائل النور أنه قد تنبثق عدالة من بين طيات الظلم أي قد يتعرض أحدهم إلى الظلم وإلى الحيف فتصيبه نكبة وقد يحكم عليه بالسجن-ولا شك أن مثل هذا الحكم ظلم واضح، ولكنه قد يكون سبباً لتجلي العدالة وظهورها، ذلك لأن القدر الإلهي قد يستخدم الظالم لتوجيه العقوبة إلى شخص استحقها بسبب آخر)[٢٤٨].

---

[٢٤٤] الآية ٢١٦ من سورة البقرة.

[٢٤٥] السيرة الذاتية ص٣٤٦.

[٢٤٦] اللمعات/٤٢٩, السيرة الذاتية ص ٣٠٠.

[٢٤٧] السيرة الذاتية ص ٣٤٩.

[٢٤٨] السيرة الذاتية ص٤٤١.

٣. كيف يستقبل الأستاذ المحن والمصائب؟

كل ما يتعرض له الأستاذ من محن وابتلاءات كان ينظر إليه على أنه منحة إلهية وعناية ربانية، ورحمة رحمانية، ومن ثم فبحكم تكرار ذلك عليه ونظره إلى عواقبها التي تعود بالخير عليه فإنه أصبح يشتاق إليها مع أنه لا يتمناها وبالشكر والصبر والرضا يتلقاها(وإن إنقاذ الإيمان من قبضة الكفر المطلق الذي يمحي الحياتين معاً له أهميته البالغة في هذا الوقت، وحتى لو وقع شيء من المشاق فينبغي أن يجابه بالشوق والشكر والصبر؛ إذْ لما كان خالقنا الذي يستخدمنا ويدفعنا إليها رحيم حكم، فعلينا إذن أن نستقبل كل مصيبة تنزل بنا بالرضى والسرور والالتجاء إلى رحمة الله تعالى والاطمئنان إلى حكمته)[٢٤٩].

(إن هذا البلاء النازل بنا عناية بحقنا، وأنا مطمئن من هذا ومقتنع به)، (إن هذه الخطة الرهيبة الواسعة قد حيكت منذ مدة مديدة إلى أنها جاءت مخففة معي وستزول بسرعة بإذن الله فلا تتألموا بل استرشدوا بالآية الكريمة{**وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ**}[٢٥٠])[٢٥١].

بهذه النصوص من كلام الأستاذ ندرك لماذا كان لا يهاب أحداً إلا الله ومع ذلك لا يقصر في الأسباب، وندرك أيضاً لماذا كان قوياً إلى أبعد حد وهو الشيخ البالغ من الكبر عتياً، ولماذا لم يتزحزح عن مبدئه قدر أنملة مع استغراق محنته لطول عمره، ثم هو أيضا لم يغفل عن الاسترشاد بالآيات القرآنية، قال رحمه الله: (أما نحن فإننا نقول لكل مصيبة نراها{**إنا لله وإنا إليه راجعون**}[٢٥٢]و{**حسبنا الله ونعم الوكيل**}[٢٥٣])[٢٥٤].

٤. الثبات على الحق خير من إظهار الضعف أمام الأعداء.

لما كان أعداء الدين وأعداء الحق والحقيقة لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، وليس في قلوبهم شفقة ولا رحمة ويحملون طباع بعض الحيوانات المفترسة فإن الأستاذ يوجه طلابه

---

[٢٤٩] السيرة الذاتية ص٣٤٧-٣٤٨.
[٢٥٠] الآية ٢١٦من سورة البقرة.
[٢٥١] الشعاعات ص ٣٥٠-السيرة الذاتية ص٣٤٧.
[٢٥٢] الآية ١٥٦ من سورة البقرة.
[٢٥٣] الآية ١٧٣ من سورة آل عمران.
[٢٥٤] السيرة الذاتية ص٤١٣-٤١٤.

ويرشدهم إلى إظهار القوة والثبات أمام أعدائهم مع التحلي بالحكمة في أقـــوالهم وأفعـــالهم والأخلاق الفاضلة في أسلوبهم وسلوكهم(كما أن إظهار نفسك ضعيفاً تجاه حيوان مفتـــرس يشجعه على الهجوم عليك، كذلك إظهار الضعف بالتزلف إلى من يحمل طباع الحيوان المفترس يسوقه إلى الإعتداء لذا ينبغي للأصدقاء أن يتصرفوا بحذر لئلا يستغل الموالون للزندقـــة عـــدم مبالاتهم وغفلتهم) [٢٥٥]، (ولكن القوة الخفية التي تريد سحقنا تعرفكم جيداً ولا تنخدع بمثل هذه الأمور بل تتشجع بسحق أكثر كلما رأت ضعفكم وانسحابكم من الميدان)[٢٥٦].

٥. التداوي من الآلام والأحزان.

مهما بلغ الإنسان من القوة الحسية والمعنوية فإنه لن يخرج عن قوله تعالى: {**وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً**}[٢٥٧]، وبما أن الأستاذ لم يشذ عن هذه القاعدة فإنه كان يتأثر أحياناً بالمصائب والمحن التي تنتج عنها هموماً وآلاماً محزنة إلا أنه كان يستخدم بعض الأدوية الشرعية الـــتي كانـــت تخفف عنه آلامه وأحزانه(كنت أذهب وأسرح في وديان"بارلا" وأجول في جبالهـــا وحيـــداً منفرداً وأجلس في أماكن خالية منعزلة حاملاً تلك الهموم والآلام المحزنة...[٢٥٨] إن الـــذي نجاني من تلك الحالة المحزنة المؤلمة تكراري ل"يا باقي أنت الباقي، يا باقي أنت الباقي"، مرتين والذي هو معنى الآية الكريمة {**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ**}[٢٥٩]... إنني عندما قلت: يا باقي أنت الباقي للمرة الأولى، بدأ التداوي والضماد بما يشبه العملية الجراحية على تلك الجـــروح المعنوية غير المحدودة، الناشئة من زوال الدنيا وزوال من فيها من الأحبة... أما في المرة الثانية فقد أصبحت جملة يا باقي أنت الباقي مرهما لجميع تلك الجروح المعنوية، بلسماً شافياً لهـــا) [٢٦٠].

ومن الأدوية النافعة ما ذكره رحمه الله تحت عنوان:

---

(٢٥٥) السيرة الذاتية ص٢٢١-المكتوبات ص ٤٦٥-٤٦٦.

(٢٥٦) السيرة الذاتية ص ٣٥١.

(٢٥٧) الآية ٢٨ من سورة النساء.

(٢٥٨) السيرة الذاتية ص ٢٢٦.

(٢٥٩) الآية ٨٨ من سورة القصص.

(٢٦٠) السيرة الذاتية ص٢٢٧-٢٢٨.

(سلوان ذو حقيقة يزيل مصائبي المضجرة)

وهي وصفة طبية معنوية صالحة لكل الأمراض بإذن الله مكونة من تسع نظرات:

١. تحول المشقات إلى رحمات ومسرات.
٢. الانشراح النابع من الرضى والتسليم لعدالة القدر الإلهي.
٣. السرور الناشئ من رعاية العناية الإلهية الخاصة بطلاب النور.
٤. اللذة الناشئة من زوال المصيبة التي هي عابرة.
٥. الأثوبة العظيمة.

عدم التدخل في مشيئة الله.

حصول أخف الجراحات وأقل المشقات عند أشد الهجوم شراسة.

تضاؤل المصيبة بدرجات كبيرة بالنسبة للمبتلين الآخرين.

الفرح المنبعث من تأثير الإعلانات الرفيعة عن الانتهاء من الامتحان العسير في خدمة النور والإيمان.

فهذه المسرات المعنوية التسع علاج لذيذ ومرهم لطيف إلى حد لا يمكن تعريفه لتهدئة آلامنا الشديدة[٢٦١].

٦. النظر إلى ما أصاب الأئمة السابقين والاعتبار بأحوالهم.

سبق أن عرفنا من خلال النصوص النبوية أن أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، ومن يقرأ حياة الأنبياء ويرى قصصهم يدرك مدى الإبتلاءات والمحن التي تعرضوا لها في سبيل الدعوة إلى الله، وقد قص الله علينا قصصهم في القرآن وأمرنا بالاهتداء بهم، والاعتبار بأحوالهم، قال تعالى: {**أُولَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**}[٢٦٢]، وقال: {**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ**}[٢٦٣]، ومن ذلك أيضاً أننا إذا قرأنا محنهم وقارنّاها بما تعرضنا له فإن ذلك يزيدنا ثباتاً ويقيناً، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة: {**وَكُـلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ**

(٢٦١) الشعاعات ص٥٧٧, السيرة الذاتية ص٤٣٠.
(٢٦٢) الآية ٩٠ من سورة الأنعام.
(٢٦٣) الآية ١١١ من سورة يوسف.

أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ}[٢٦٤]، وقد يقول البعض –إن هؤلاء أنبياء مصطفون فكيف لنا اللحوق بهم، وهذا غير مسلم لأن الله أمرنا بالاقتداء بهم ولكن من بـاب التنـزل مـع ضعاف الفهم والإدراك، فإن لنا قدوة من غير الأنبياء ممن هم مثلنا، وابتلوا بأكثر مما ابتلينا به ومع ذلك صبروا وصابروا، وهذا ما ألمح إليه الأستاذ النورسي رحمه الله عندما قال: (ولقـد خطر للقلب: ما دام الإمام الأعظم "أبو حنيفة النعمان" وأمثاله من الأئمة المجتهدين قد أوذوا بالسجن وتحملوا عذابه، وأن الإمام أحمد بن حنبل وأمثاله من المجاهدين العظام قـد عـذبوا كثيراً لأجل مسألة واحدة من مسائل القرآن الكريم، وقد ثبت الجميع أمام تلك المحن القاسية وكانوا في قمة الصبر والجلد، فلم يبد أحدهم الضجر والشكوى، ولم يتراجع عن مسألته التي قالها وكذا علماء عظام كثيرون، وأئمة عديدون لم يتزلزلوا قط أمام الآلام والأذى الذي نـزل بهم بل صبروا شاكرين لله تعالى، مع أن البلاء الذي نـزل بهم كان أشد ممـا هـو نـازل بكم)[٢٦٥].

٧. الإخلاص وشدة التعلق بالله.

من أعظم الأسباب لاكتساب القوة الخارقة التي يواجه بها المـؤمن المصـائب والمحـن، الإخلاص؛ إذ بإمكان شخص واحد مخلص أن يقوم بعمل ألف رجل ويتحمل مـا يتحملـه آلاف الأشخاص، (إن الحوادث والمصائب التي لا يمكن الصمود تجاهها إلا بعشـرة آلاف شخص، يمكن مقاومتها– بسر ذلك الإخلاص– بعشرة أشخاص فقط)[٢٦٦]، بهذه الجملة يوجه الأستاذ النورسي طلابه إلى اكتساب أعظم قوة يستند إليها خادم القرآن والإيمان، فالإخلاص هو الذي يجعلك تتعلق بالله وتتشبث به في الأزمات وتكسب يقيناً دائماً يشعرك بأنه ما دام الله باق فإنك لو فقدت الدنيا كلها فلن تفقد شيئاً فالذي أعطاك ما فقدته قادر على إعطائك مرة أخرى(ليرحل من يرحل يا إلهي فأنت الباقي وأنت الكافي، وما دمت باقياً فلتحل من تجليات رحمتك كاف لكل شيء يزول، وما دمت موجوداً فكل شيء إذاً موجود)[٢٦٧].

---

[٢٦٤] الآية ١٢٠ من سورة هود.
[٢٦٥] السيرة الذاتية ص٣٣٣–اللمعات ص٤٠٧.
[٢٦٦] السيرة الذاتية ص٢٩٦.
[٢٦٧] السيرة الذاتية ص٢٢٨.

والمشقات كلها تهون إذا كان الإخلاص موجوداً فإذا انتشر الإخلاص فإن العبد تصبح المضايقات والمحن لا أهمية لها عنده.

ومن شدة حرص الأستاذ على الإخلاص فإنه ربما تراجع عن بعض الطاعات- إن كان ذلك جائز شرعاً حفاظاً على إخلاصه، ومن ذلك أنه عندما كان يجاهد في سبيل الله أثناء الحرب العالمية الأولى تراجع من الخطوط الأمامية- التي يقوم فيها بالتحريض على الجهاد وبث الروح المعنوية والشجاعة والإقدام-عندما خطر له خاطر حب الظهور الذي يفسد الإخلاص[٢٦٨].

وكان رحمه الله لا ينسب شيئاً لنفسه أبداً، وإنما لرسائل النور (إن حسن ظنكم المفرط نحوي هو فوق حدي بكثير، فلا أستطيع قبوله إلا أن يكون باسم شخص رسائل النور المعنوي... وإنني أشكر ربي الرحيم شكراً لا منتهى له على أنه لم يجعلني أُعجب بنفسي قط، وإنه أظهر لي عيوب نفسي وتقصيراتي حتى لم تبق لي أي رغبة في إظهار تلك النفس إلى الآخرين)[٢٦٩].

إن الدرس الذي لقنتنا إياه رسائل النور هو التمسك بحقيقة الإخلاص، وترك الأنانية ومعرفة النفس أنها مقصرة دائماً والحذر الشديد من الإعجاب بالنفس...نحن نشكر من يرى نقائصنا ويريها لنا بشرط أن تكون حقيقة، ونقول له: ليرض الله عنك[٢٧٠].

المبحث الرابع: مظاهر الجمالية في المحن والإبتلاءات

تمهيد: كل المباحث التي مرت معنا تعتبر تأسيساً وتأصيلاً لهذا المبحث الذي هو لب الموضوع، وعندما نتحدث عن الجمالية في المحن ونحاول تجليتها من خلال سيرة الأستاذ النورسي، فإن ذلك لا يعني أن كل الناس سيفهمون خطابنا ويستوعبونه، وإنما الذي سيفهمه هو المؤمن الذي آمن بالغيب، وآمن بالقدر خيره وشره، وبدون لغة الإيمان فلن يفهم عنا أحد.

وبما أن جمالية المحن المتمثلة في العواقب الحسنة للمحن، ربما كان بعضها لا صلة له بالآخرة، كمن يأخذ بأسباب النصر والتقدم الحضاري الدنيوي للوصول إلى أهداف معينة،

---

[٢٦٨] السيرة الذاتية ص١٢٧.

[٢٦٩] الملاحق ص٢٦٢-٢٦٣, السيرة الذاتية ص٣٦٩.

[٢٧٠] الملاحق ص ٢٥٠-٢٥١, السيرة الذاتية ص ٣٦٦.

وقد يلاقي في طريقه أنواعاً من المحن والمصائب الحسية والمعنوية، فهذا الجانب الدنيوي المحض قد يدركه بعض طلاب الدنيا، ولكن هذا القدر من الجمالية لا يساوي شيئاً بالنسبة للجمالية التي يدركها المؤمنون في الدنيا والآخرة.

وهناك سبب آخر يمنع حتى بعض المسلمين من فهم هذا الخطاب وهو اختلاف التصورات والمدارك والأذهان والأفكار والعقول، فما يراه زيد جميلاً قد يراه عمرو قبيحاً والشيطان له دور كبير في تزيين القبيح وسيئ الأعمال، قال تعالى: {**أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً**}[٢٧١]، وقال عز وجل: {**وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ**} [٢٧٢]، فالقاتل وآكل الربا وشارب الخمر والسارق والعاق لوالديه والكذاب، وكل من يفعل كبيرة من الكبائر، فإنه لا يفعل شيئاً من ذلك إلا بعد أن تُزَيَّنَ له من قبل الشيطان.

وقد قص الله علينا خبر قوم لوط عندما قالوا للنبي المرسل إليهم من قبل الله: {**أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون**}[٢٧٣]، وذكر عنهم أنهم كانوا يعملون الخبائث: {**وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ**}[٢٧٤]، ولكن القوم عندما انتكست عقولهم واختلت تصوراتهم، وطاشت أحلامهم، أصبحوا يجرمون من يتجنب الخبائث، ويدعوا إلى الطهارة.

فاختلاف التصورات بسبب اتباع الشهوات، أو بسبب مخلفات ثقافية معينة، أو بسبب غزو فكري معين من أعظم موانع الفهم، وبهذا يعلم أننا نخاطب أصحاب الفطر السليمة، التي لم تتلوث بما يغيرها.

وهذه الجماليات التي سنتحدث عنها تتجلى في أمور كثيرة، ومتنوعة، بعضها علمناه وبعضها علمنا بعضه، والمقام لا يتسع لذكر جميعها، ولذلك فإننا سنقتصر على بعضها، وما سنذكره وإن كان قليلاً بالنسبة لما لم نذكره، فإنه كاف في إضاءة الطريق أمامنا، وفتح آفاق جديدة لطرق أبواب كثيرة في هذا المجال، الذي تظهر من خلاله حكمة الحكيم المنان،

---

[٢٧١] الآية ٨ من سورة فاطر.
[٢٧٢] الآية ٣٨ من سورة العنكبوت.
[٢٧٣] الآية ٨١من سورة الأعراف.
[٢٧٤] الآية ٧٤ من سورة الأنبياء.

وتنطوي تحته رحمة الرحيم الرحمن.

١. **جمالية تجليات أسماء الله الحسنى بسبب المحن والمصائب.**

كل متأمل في آيات الله المتلوّة والمنظورة، يدرك حكمة الله الباهرة في أفعاله الغير متناهية، إلا أن إدراك هذه الحكم يختلف الناس فيها.

ومن أفعاله سبحانه وتعالى التي يفعلها لحكم متعددة، ابتلاء الناس بأنواع المحن والمصائب، وكثير من هذه المحن تكون سبباً في تجلي أسماء الله وصفاته، فمتى يعرف العبد أن له رباً يغفر الذنوب، ويعفو عن الزلات، إذا لم تكن ذنوب تغفر، ومتى يعرف العبد أن له رباً يكشف الضر إذا لم ينزل بالعبد ضرراً، وهكذا تتجلى أسماء الله تعالى وتظهر بوجود مقتضياتها، فالغني يقتضي الفقر، والقوي يقتضي الضعف، وهكذا اسم (الشافي) يستدعي المرض، واسم الرزاق أو الرازق يقتضي الجوع[٢٧٥].

فالمظلوم الذي يبتليه الله عز وجل بضياع بعض حقوقه، يدرك الحقائق التي يتضمنها اسم (الحق) وتجلياته في الوجود أكثر من الذي ضمنت له كل حقوقه[٢٧٦]، وعلى هذا فلتقس كل أسماء الله تعالى.

٢. **جمالية تجلي العدالة الإلهية بسبب الظلم.**

(لقد أثبتت رسائل النور أنه قد تنبثق عدالة من بين طيات الظلم، أي قد يتعرض أحدهم إلى الظلم وإلى الحيف فتصيبه نكبة، وقد يحكم عليه بالحبس، ويرمى به في غياهب السجون، لاشك أن مثل هذا الحكم ظلم واضح، ولكنه قد يكون سبباً لتجلي العدالة وظهورها، ذلك لأن القدر الإلهي قد يستخدم الظالم لتوجيه العقوبة إلى شخص استحقها بسبب آخر، وهذا نوع من أنواع تجلي العدالة الإلهية)[٢٧٧].

لقد بلغ الأستاذ إلى مرتبة عالية من الإحساس العميق، والخواطر الإلهامية التي قل أن يجدها الإنسان العادي، فلربما تحدث عن ارتكابه ذنباً أو ذنوباً نحن لا نراها كذلك، ولكنه كما قال بعض السلف: (حسنات الأبرار سيئات المقربين) ولا يبلغ الإنسان درجة التقوى حتى يدع ما

---

(٢٧٥) اللمعات ص١٢.

(٢٧٦) التربية السلوكية عند بديع الزمان ص٩٥.

(٢٧٧) الملاحق ص٣٦٨.

لا بأس به خوفاً من الوقوع فيما به بأس.

ثم إن الأستاذ رحمه الله كثيراً ما يجعل نفسه محلاً للحدث، فيمثل بنفسه بدل أن يبحث في عيوب الآخرين وذنوبهم.

يتساءل الأستاذ: (لم أساق من محكمة إلى محكمة، ومن ولاية إلى ولاية، ومن مدينة إلى أخرى طوال ثمانية وعشرين عاماً، وما التهمة الموجهة إلي من قبل من ارتضوا لأنفسهم معاملتي بكل هذا التعذيب الظالم؟ أليست هي استغلال الدين في سبيل السياسة؟ ولكن لا يستطيعون إثبات ذلك... فهذه محكمة تقضي الشهور والسنوات في محاولة الحصول على دليل يدينني فلا تستطيع، وهكذا ثانية وثالثة، وأنا أنتقل من مصيبة إلى أخرى ومن نكبة إلى أخرى، لقد انقضى ثمان وعشرون سنة من عمري على هذا المنوال، وأخيراً أيقنوا من عدم صحة التهم المنسوبة إلي...فما السبب في إصرارهم على اقتراف هذا الظلم في حقي؟ ولماذا بقيت معرضاً على الدوام لهذا الظلم والتعذيب مع كوني بريئاً ودون أي ذنب؟...[٢٧٨].

يجيب الأستاذ عن نفسه بنفسه (إن ذنبي هو اتخاذي خدماتي القرآنية وسيلة للترقي المعنوي، والكمالات الروحية، والآن بدأت أفهم هذا وأحسه تماماً...لقد أذهلتني هذه الأحاسيس الداخلية العميقة...فلله الشكر ألوف ألوف المرات، ففي طي تهمة القيام باستغلال الدين في السياسة قام القدر الإلهي الذي هو العدل المحض طوال ثمان وعشرين سنة بمنعي من جعل الدين آلة لأي غرض شخصي، وذلك باستخدام الأيدي الظالمة للبشر في توجيه الصفعات لي وفي تذكيري وتنبيهي، هذه الصفات التي كانت عدلاً محضاً تحذرني قائلة: إياك إياك أن تجعل الحقائق الإيمانية آلة لشخصك، وذلك لكي يعلم المحتاجون إلى الحقائق أن الحقائق وحدها هي التي تتكلم، ولكي لا تبقى هناك أوهام النفس ودسائس الشيطان بل لتخرص وتصمت)[٢٧٩].

- **أنواع الظلم تتحول إلى أنواع من الفضل والرحمة والأمن والاطمئنان والإخلاص**

لا بد من التذكير بأن هذه الفضائل والرحمات والسعادة والاطمئنان، الذي أصبح الأستاذ يتقلب فيها بين الفينة والأخرى، هي بسبب تحقيق عبودية الأستاذ وإخلاصه لله، وصبره

---

(٢٧٨) اللمعات ص٣٦٨-٣٦٩, السيرة الذاتية ص٤٤١.

(٢٧٩) اللمعات ص٣٦٩-٣٧٠, السيرة الذاتية ص(٤٤٢-٤٤٣)

الجميل، ونجاحه في الامتحانات المتكررة التي مر بها لسنوات طويلة، ولهذا أصبح يحس بأنه في سعادة غامرة، حتى أثناء وقوع الظلم عليه ولذلك نجده يكثر من حمد الله حمداً لا نهاية له على حصل عليه من فضل ورحمة بسبب الظلم النازل به، قال رحمه الله: (إني أحمد الله تعالى حمداً لا أحصيه إذ حول أنواع الظلم والمكاره التي جابهني بها أهل الدنيا إلى أنواع من الفضل والرحمة، وإليكم البيان؛ يقول الأستاذ: بينما كنت معزولاً في مغارة في أحد الجبال، وقد طلقت السياسة وتجردت عن الدنيا منشغلاً بأمور آخرتي، أخرجني أهل الدنيا من هناك ونفوني ظلماً وعدواناً، فجعل الخالق الرحيم الحكيم هذا المنفى لي رحمة، إذ حول ذلك الانــزواء إلى خلوة يحيط بها الأمن والاطمئنان والإخلاص)[٢٨٠].

وقال في موطن آخر وهو يتحدث عن الظلم النازل به:(فارتكبوا الظلم في حقي، ولكــن ربي الرحيم وخالقي الحكيم بدل لي ذلك الظلم إلى رحمة، إذ أدخلني في خلوة مرغوبة، وعزلة مقبولة...فالحمد لله على كل حال)[٢٨١].

٣. جمالية الغربة الغريبة والعزلة العجيبة.

لقد تعرض الأستاذ إلى عزلة وغربة استمرت عقوداً من الزمن، تحدث عنها في أكثر مــن موضع في كتبه، مصوراً لها تصويراً أدبياً يجعل القارئ يتأثر تأثيراً بالغاً، وفي غالب الأحيــان يذكرها الأستاذ في سياق التحدث بنعم الله عليه أو مذكراً بمجيء العناية الإلهية إليه.

وكانت لهذه الغربة الغريبة جماليات كثيرة نقتصر على ذكر بعضها:

- **الأنس بالله.**

حينما كان الأستاذ في منفى (بارلا) قال عن نفسه:(بقيت وحدي منفرداً منعــزلاً عــن الناس على قمة جبل...كنت أبحث عن نور في تلك العزلة، وذات ليلة في تلك الغرفة الصغيرة غير المسقفة، المنصوبة على شجرة صنوبر عالية على قمة ذلك المرتفع...حيــث لا أثــر ولا صوت سوى ذلك الصدى الحزين لحفيف الأشجار وهمهمتها...ففي هذه الغربــة المكتنفــة بالحزن...بدأت أبحث عن نور وعن قبس أمل وعن باب رجاء، وسرعان ما جاء الإيمان بالله

---

[٢٨٠] المكتوبات ص٥٦.

[٢٨١] المكتوبات ص٥٧.

لنجدتي وشد أزري، ومنحني أنساً عظيماً، بحيث لو تضاعفت آلامي ووحشتي أضعافاً مضاعفة، لكان ذلك الأنس كافياً لإزالتها، فما دام لنا خالق رحيم فلا غربة لنا إذاً أبداً، وما دام سبحانه موجوداً فكل شيء لنا موجود إذن)[٢٨٢].

وهكذا ينسى الأستاذ كل آلام الغربة وأحزانها بسبب جمالية الأنس بالله.

- **الأنس بمخلوقات من غير جنس الإنسان.**

الاستئناس بالله يفتح للمؤمن آفاقاً جديدة تجعله يستأنس بكل من حوله من المخلوقات، وهذا ما أدركه وشعر به الأستاذ النورسي، وترجمه بقوله:(ما دام الله موجوداً وملائكته موجودة فهذه الدنيا إذن ليست خالية لا أنيس فيها ولا حسيس، وهذه الجبال الخاوية، وتلك الصحاري المقفرة، كلها عامرة ومأهولة بعباد الله المكرمين، بالملائكة الكرام، نعم إن نور الإيمان بالله سبحانه والنظرة إلى الكون لأجله يجعل الأشجار بل حتى الأحجار كأنها أصدقاء ومؤنسون فضلاً عن ذوي الشعور من عباده حيث يمكن لتلك الموجودات أن تتكلم معنا بلسان الحال بما يسلينا ويروح عنا)[٢٨٣].

- **الغربة وسيلة إلى خدمة القرآن وصفاء الذهن.**

في مرة من المرات أُخلي سبيل المجرمين من السجون، وخرج الجميع، وبقي الأستاذ وحده هناك ظلماً وعدواناً، قال الأستاذ عن هذه المرحلة:(ولكن ربي الرحيم شاء أن يبقيني في هذه الغربة ليستخدمني في خدمة القرآن أكثر، وليجعلني أكتب هذه الأنوار القرآنية، التي سميتها(الكلمات)أكثر فأكثر، فإبقائي في هذه الغربة بلا ضجة ولا ضوضاء حولها إلى رحمة سابغة...فرضوا علي حياة العزلة ظلماً وعدواناً وأرسلوني إلى قرية صغيرة، ولم يسمحوا لأقاربي ولا لأهل بلدتي-باستثناء واحد أو اثنين-بزيارتي، فقلب خالقي الرحيم هذه العزلة إلى رحمة عامرة بالنسبة لي، إذ جعل هذه العزلة وسيلة لصفاء ذهني وتخليصه من توافه الأمور وتوجيهه للاستفاضة من القرآن الحكيم على صفائه ونقائه)[٢٨٤].

---

(٢٨٢) اللمعات ص ٣٤٩-٣٥٠.

(٢٨٣) اللمعات ص ٣٥٠.

(٢٨٤) المكتوبات ص٥٧.

- **من جمالية الغربة انبعاث نور الإيمان وفيض القرآن ولطف الرحمن.**

يتحدث الأستاذ عن حالته عندما بقي ثلاثة أشهر وحيداً فريداً في الجبال الموحية بالغربة، خاصة في الليل البهيم حيث لا صوت ولا صدى إلا حفيف الأشجار الحزين، ثم يصف خمسة أنواع من الغربة متداخلة وهي بمثابة ظلمات متراكبة، ممزوجة بالبعد عن الأقران والأحباب والأصحاب، وما يحدثه ذلك من ألم الفراق والبعد عن موطنه، فهو لا يرى إلا الجبال الشاخصة بالنهار، وظلمة الليل البهيم الاليل عندما تغيب الشمس، وبعد شعوره بغربة غير معتادة يقول فجأة: سبحان الله (يا رب أنا غريب وحيد ضعيف غير قادر عليل عاجز شيخ لا خيار لي...الغوث الغوث أرجو العفو واستمد القوة من بابك يا إلهي.

وإذا بنور الإيمان، وفيض القرآن، ولطف الرحمن، يمدني من القوة ما يحول تلك الأنواع الخمسة من الغربة المظلمة إلى خمس دوائر نورانية من دوائر الأنس والسرور، فبدأ لساني يردد: **{حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}**[٢٨٥]، وتلا قلبي الآية الكريمة: **{إِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}**[٢٨٦])[٢٨٧].

٤. جمالية العناية الربانية بعد المطالبة بإعدام الأستاذ.

كلما كانت المصيبة كبيرة، كانت لذة الفرج أكبر، وهذا أمر يعرف من الواقع المعيش، عندما نشط أبطال مدرسة الزهراء في استنساخ الرسائل ونشرها وكان لهذا النشاط أثراً كبيراً داخل السجن وخارجه، رفع من يسمون بالخبراء تقريراً سطحياً كان سبباً في توزيع بيان شديد اللهجة، وشن وزير التربية هجوماً عنيفاً وطالب البعض بإعدام الأستاذ وسعوا في ذلك.

يقول الأستاذ: (وفي هذا الوقت العصيب بالذات، جاءتنا العناية الربانية فأسعفتنا، إذ بينا ننتظر انتقادات لاذعة عنيفة من خبراء أنقرة، إذا بتقاريرهم المتضمنة للإعجاب والتقدير لرسائل النور)[٢٨٨].

٥. جمالية تحويل السجن الرهيب إلى مدرسة نوريه وتبديل الضجر والمصائب والأحزان

---

[٢٨٥] الآية ١٧٣ من سورة آل عمران.

[٢٨٦] الآية ١٣٠من سورة التوبة.

[٢٨٧] المكتوبات ص ٢٩-٣٠.

[٢٨٨] اللمعات ص ٤٠٤-٤٠٥.

إلى أفراح ورحمات.

قال الأستاذ:(ساقونا إلى سجن "دنيزلي" وزجوني في ردهة كبيرة ذات عفونة ورطوبة شديدتين، فوق ما فيها من برودة شديدة فاعتراني حزن وألم شديدان من جراء ابتلاء أصدقائي الأبرياء، كل ذلك جعلني أتقلب في ضجر وسأم حتى أغاثتني العناية الربانية فحولت ذلك السجن الرهيب إلى مدرسة نوريه، فحقاً إن السجن مدرسة يوسفية، وبدأت رسائل النور في الانتشار والتوسع... فكانت تلك النسخ سبباً للفتوحات في السجن وفي خارجه، فحول الله ضررنا في تلك المصيبة إلى منافع وبدل ضجرنا وحزننا إلى أفراح)[٢٨٩].

وقال في موطن آخر: (إن المصائب الدنيوية الزائلة تنتهي بالأفراح والخيرات على الأكثر)[٢٩٠]، وقال أيضاً: (إن هذه المصائب وأمثالها ينطوي تحتها نوع من الرحمة والمجازاة)[٢٩١]، وقال: (يا من تضيقون علي الخناق، اعملوا ما شئتم، واقضوا ما أنتم قاضون، فلا أهمية لعملكم، كل المصائب التي تنزل بنا هينة تافهة، بل إنها عناية إلهية محضة، ورحمتها بعينها)[٢٩٢].

٦. جمالية الوصول إلى الأهداف تنسي كل المتاعب وتجعل المصيبة كأن لم تكن.

كان الأستاذ مهتماً كثيراً برسائل النور، ونظراً للحصار المحكم الذي وضعه أعداء الدين، وأعداء الحرية، فإنه كان يرى أن المتنفس الوحيد لنشر دعوته هي تلك الرسائل، فكان يوجهها لجميع الجهات والفئات، حتى الذين يخططون للقضاء عليه يرسل إليهم رسائل النور، ومرة أرسل عدة رسائل للدوائر الرسمية، تعرض فيها لأهل الضلال، وشدد عليهم الخطاب، وبينما هو ينتظر التعنيف وإذا بالأمر يأتي بعكس ما كان يتوقع فعلم أن (حقائق رسائل النور بفضل العناية الإلهية وكرامتها قد غلبتهم وانتصرت عليهم حتى جعلتهم يقرءونها ويسترشدون بها، وحولت تلك الدوائر الرسمية الواسعة إلى ما يشبه المدارس النورية، وأنقذت كثيراً من الحيارى والمترددين، وشدت من إيمانهم مما ملأنا بهجة وسروراً هو أضعاف أضعاف ما كنا نعانيه من

---

(٢٨٩) اللمعات ص ٤٠٤-٤٠٥.

(٢٩٠) الشعاعات ص٣٦٧.

(٢٩١) الملاحق ص ١٤٧.

(٢٩٢) الملاحق ص٢٣٩.

ضيق وضجر)[٢٩٣]، (...لو تضاعفت متاعب السجن كلها مائة ضعف فقد أدت هذه الرسالة (الثمرة) أضعافها من الوظائف، إذ تستقرئ نفسها في شتى الأوساط العامة، وتسوق إلى الإيمان حتى المتعنتين)[٢٩٤].

وفي مرة من المرات خبأ الأستاذ بعض الرسائل الخاصة والمجموعات المهمة التي ظن أن وقت نشرها لم يحن بعد، ولعلها تنشر بعد موته، فوضعها تحت أكوام من الحطب والفحم، وكان مطمئناً على عمله هذا، (ولكن ما إن داهم موظفو التحريات ومعاون المدعي العام البيت وأخرجوا تلك الرسائل المهمة المخبوءة من تحت أكوام الفحم والحطب ساقوني إلى سجن (إسبارطة) وأنا أعاني من اعتلال صحتي ما أعاني، وبينما كنت متألماً بالغ الألم ومستغرقاً في التفكير حول ما أصاب رسائل النور من أضرار، إذ بالعناية تأتي لإغاثتنا جميعاً، حيث بدءوا بدراستها بكل اهتمام ولهفة، فتحولت تلك المحافل الرسمية إلى ما يشبه المدارس النورية، إذ انقلب النقد والجرح عندهم إلى نظرة الإعجاب والتقدير، حتى إنه في "دينـزلي" قرأ الكثيرون سواء من المسؤولين أو غيرهم- دون علمنا- رسالة(الآية الكبرى) المطبوعة بسرية تامة فازدادوا إيماناً وأصبحوا سبباً لجعل مصيبتنا كأن لم تكن)[٢٩٥].

٧. جمالية السجن.

دخول السجن يكون لحكم كثيرة، بعضها ندركه، وأكثرها يستأثر الله بعلمه، وقد نعلم بعضها بعد حين، أو يستفاد منه بعد قرن أو قرون فقد يكون القدر قد كتب لنا أرزاقاً داخل السجن، وقد نكون قد أُدخلنا السجن لتعليم مسجونين معينين، وقد تظهر لنا أسرار بعض الآيات القرآنية، وقد نكون في حاجة إلى تربية من نوع خاص، وقد يريد الله أن يبعدنا عن مكروه خارج السجن في ديننا أو دنيانا إلى حكم كثيرة لا نعلمها.

ومن أجل ذلك نجد الأستاذ النورسي يدرك بعض هذه الحكم فيهنئ الداخلين إلى السجن بدل أن يعزيهم أو يواسيهم، فيقول رحمه الله مخاطباً طلابه: (إخواني الأعزاء لا أعزيكم بل أهنئكم، إذ ما دام القدر الإلهي قد ساقنا إلى هذه المدرسة اليوسفية الثالثة لحكمة اقتضاها، وأنه

---

[٢٩٣] اللمعات ص ٤٠٥.

[٢٩٤] الملاحق ص ٢٣٨.

[٢٩٥] اللمعات ص٤٠٤.

سيطعمنا قسماً من أرزاقناً دعتنا إلى هنا، وما دامت تجاربنا القاطعة قد علمتنا أن العناية الإلهية لطيفة بنا، وقد جعلتنا ننال سر الآية الكريمة{**وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم**}[٢٩٦]، وإن إخواننا الحديثي العهد في المدرسة اليوسفية هم أحوج الناس إلى السلوان الـذي تورثـه رسائل النور...وأن كل ساعة فانية هنا في السجن تصبح بمثابة ساعات من العبادة الباقيـة، ينبغي لنا...أن نتحمل بالصبر والثبات شاكرين خالقنا مستبشرين إزاء هذه الحادثة)[٢٩٧].

٨. جمالية توبة أكثر من مائتي سجين وحاجة المسجونين والموظفين إلى رسائل النور.

(فما أن دخل طلاب النور ورسالة الثمرة التي كتبت للمسجونين حتى تاب أكثر من مائتي سجين، وتحلوا بالطاعة والصلاح...حتى إن قاتلاً لأكثر من ثلاثة أشخاص كان يتحاشى أن يقتل (بقة الفراش) فلم يعد عضواً لا يضر بل أصبح نافعاً رحيماً بالبلاد[٢٩٨]، (إن حكمـة واحدة لعدالة القدر الإلهي في سوقنا إلى المدرسة اليوسفية ل"دينـزلي" هو حاجة المسـجونين فيها وأهاليها وربما موظفيها ومأموري دائرة العدل إلى رسائل النور وإلى طلابها أكثر من أي مكان آخر)[٢٩٩].

٩. الجمالية في عدم الإفراج عن النورسي من السجن.

كلما كان الإنسان بعيداً عن الدنيا ومشاغلها كلما كان أكثر استفادة من عبادته، فعبادة الليل الهادئ ليست كعبادة النهار، وكل ما يفعله العبد المؤمن من تأمل وتفكر وذكر لله وقراءة القرآن بتدبر في خلوة، أو في مكان منعزل عن الناس فإنه يجد له لذة وطعماً غير ما يجـده في الهرج والمرج، وخاصة إذا كانت هذه العبادة في شهر رمضان المبارك، وأفضل من يتحدث عن هذه اللذة والسعادة رجل عاشها وذاق طعمها حتى أصبح يفضل البقاء في السجن من أجلها، (نبارك من كل قلوبنا وأرواحنا شهر رمضان المبارك، ونسأله تعالى أن يجعل ليلة القدر لكـم خيراً من ألف شهر...إنني أعتقد أن بقاءنا هنا إلى العيد فيه خير كثير، وفوائد جمة، إذ لو أفرج عنا لحرمنا من خيرات هذه المدرسة اليوسفية، فضلاً عن أننا سنشتغل بأمور دنيويـة في هـذا

---

[٢٩٦] الآية ٢١٦ من سورة البقرة.

[٢٩٧] الشعاعات ص٥٢٤.

[٢٩٨] اللمعات ص ٤٠٠.

[٢٩٩] الشعاعات ص٣٦١.

الشهر المبارك، شهر رمضان الذي هو شهر أخروي بحث...إذن فالخير فيما اختاره الله، وستكون إن شاء الله أفراح كثيرة، وخيرات أكثر)[٣٠٠].

١٠. جمالية التحمل العجيب والصبر الجميل والاستغناء عن الناس بعد الحصار المحكم.

أشار الأستاذ إلى مجموعة من المحن والمصائب التي تعرض لها من قبل أعداء الإسلام ثم اتبعها قائلاً:(ولكن رغم كل هذا فقد منحني الحفيظ العليم، وشملني بعنايته الواسعة، وأعطاني تحملاً عجيباً، وصبراً جميلاً، و لم يجعلني مضطراً إلى التوسل بهم قطعاً رغم المضايقات الشديدة)[٣٠١].

١١. الجمالية في اكتشاف سر بعض الآيات.

القرآن معجزة الله الخالدة، وهو كتاب هداية وتذكير، من تمسك به نجى ومن أعرض عنه هلك {**إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم**}[٣٠٢].

والعلماء من عهد الصحابة رضي الله عنهم، إلى يومنا هذا يتفاوتون في فهم كتاب الله والاستفادة منه، وفي استخراج كنوزه وأسراره، وقوة الاستنباط لها أسبابها: فمنها العلم بلغة القرآن، ومعرفة علوم الآلة التي لها صلة به، وإلى هنا قد يتساوى الكثير في الحصول على هذه العلوم، لكن الذي لا يمكن التساوي فيه هو العلم بالله وخشيته، والتضحية من أجل إعلاء كلمة الله، بالجهاد في سبيله بالنفس والمال، والصدق والإخلاص، والاطراح بين يديه، فهؤلاء الصادقون المخلصون لقوة تعلقهم بالله، وتدبرهم لكتابه يفتح الله عليهم، بما يعدونه اكتشافاً من الناحية العلمية، عندما يمتحنون، وهذا الاكتشاف يظهر في الغالب بعد تذكير وتنبيه، وربما بصفعات متتالية، كما عبر عنها الأستاذ النورسي؛ لأن من الناس من لا ينتبه إلا بالصفع، والصفع من الحبيب تشريف، وقد وقع مثل هذا الاكتشاف لعمر بن الخطاب رضي الله عنه،

---

[٣٠٠] الشعاعات ص٥٥٧.
[٣٠١] السيرة الذاتية ص٣٦١.
[٣٠٢] الآية ٩ من سورة الإسراء.

عندما صفع بموت الحبيب المصطفى ﷺ، حتى جاء أبوبكر الصديق وتلا عليه الآية: {**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ**}[٣٠٣]، قال عمر رضي الله عنه: (والله ما هو إلا أن سمعت أبابكر تلاها فعرقت حتى ما تُقلّني رجلاي وحتى هويت إلى الأرض)، وفي رواية: (فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنـزل هذه الآية حتى تلاها عليهم أبوبكر، فتلاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشراً من الناس إلى يتلوها)[٣٠٤].

فالأستاذ النورسي كان يحفظ كتاب الله، ويتلوه دائماً ولكن ظهور سر من أسرار بعض الآيات، يظهر أحياناً لسبب من الأسباب.

فمن ذلك:

كان الأستاذ يشتغل بالقرآن وأسراره ونكته، محاولاً بذلك التغلب على الآلام والأحـزان التي كان يعيشها بسبب النفي، وعزله عن الناس كلياً، ومفارقة بلدته وأحبابه وأصدقائه، ولكنه مع ذلك لم يستطع نسيان ابن أخيه، بل ابنه المعنوي وتلميذه المخلص، وصديقه الشجاع عبد الرحمن، وبعد أن تحدث الأستاذ عن حياته المليئة بالجد والاجتهاد والتضحية والتفاني في خدمة رسائل النور، وكان أمله الوحيد في خدمته ورعايته والتعاون معه، وبعد مراسلة بينهما يقول الأستاذ:(لقد أبكتني تلك المراسلة كثيراً ولا زالت تبكيني)، وبينما كان يعيش أمل تلك الحياة الدنيوية، ليعيشا معاً في خدمة الدين، وإذا به يفاجأ بوفاته، يقول الأستاذ:(فيا أسـفاه ويـا حسرتاه، لقد هزني هذا الخبر هزاً عنيفاً حتى أنني لا أزال تحت تأثيره منذ خمـس سـنوات، وأورثني حزناً شديداً وألماً عميقاً للفراق المؤلم يفوق ما كنت أعانيه من ألم الأسر المعذب، وألم الانفراد والغربة الموحشة، وألم الشيخوخة والمرض، كنت أقول: إن نصف دنياي الخاصة قـد انهد بوفاة أمي، بيد أني رأيت أن نصفي الآخر قد توفي أيضاً بوفاة عبد الرحمن... ولكن على حين غرة انكشف سر الآية الكريمة: {**كل شيء هالـك إلا وجهـه لـه الحكـم وإليـه ترجعون**}[٣٠٥]، انكشافاً بيناً بحيث جعلني أردد يا باقي أنت الباقي، وبه أخـذت السـلوان الحقيقي...وهكذا فقد أغاثني المعنى الإشاري للآية الكريمة: {**فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله**

---

[٣٠٣] الآية ١٤٤ من سورة آل عمران.

[٣٠٤] تفسير ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية (٤٠٩/١).

[٣٠٥] الآية ٨٨ من سورة القصص.

إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم}[٣٠٦]، وأمدني بنور لا يخبو، فبدد ما كنت أعانيه من الحزن النابع من وفاة عبد الرحمن واهباً لي التسري والتسلي الحقيقي.

نعم لقد علمتني هذه الآية الكريمة أنه ما دام الله موجوداً فهو البديل عن كل شيء...ليرحل من يرحل يا إلهي، فأنت الباقي وأنت الكافي، وما دمت باقياً فلتجل من تجليات رحمتك كاف لكل شيء يزول)[٣٠٧].

وينبغي أن يعلم أن هذا النوع من الفهم للقرآن الكريم ليس فهماً نظرياً يدركه الإنسان بالتدبر والقراءة المجردة، وإنما هو فهم تطبيقي وإحساس شعوري خاص يكرم الله تعالى به من شاء من عباده بعد اختبار عسير وامتحان غير يسير.

وبعد أن تحدث عن فوائد كثيرة حصلت له ولرسائل النور بسبب دخولهم السجن، والمحن التي أصابتهم من جراء ذلك، قال:(لو رفع الحجاب لحملتكم تلك الفوائد على القول:يا رب لك الحمد والشكر حقاً، إن هذا البلاء النازل بنا عناية بحقنا، وأنا مطمئن من هذا ومقتنع به، لا تعاتبوا-يا اخوتي-الذين أصبحوا السبب في وقوع الحادثة، إن هذه الخطة الرهيبة الواسعة، قد حيكت منذ مدة مديدة إلا أنها جاءت مخففة معنى، وستزول بسرعة بإذن الله فلا تتألموا بل استرشدوا بالآية الكريمة: {**وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم**}[٣٠٨])[٣٠٩].

وقال في موضع آخر: (فالآية الكريمة{**وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم**}تلقن درس حقيقة يقينية)[٣١٠].

وقال رحمه الله لإخوانه وأعزائه الأوفياء:(لا أعزيكم بل أهنئكم، إذ ما دام القدر الإلهي قد ساقنا إلى هذه المدرسة اليوسفية الثالثة، لحكمة اقتضاها، وأنه سيطعمنا من أرزاق دعتنا إلى هنا، وما دامت تجاربنا القاطعة قد علمتنا- لحد الآن- أن العناية الإلهية لطيفة بنا، وقد جعلتنا ننال

---

[٣٠٦] الآية ١٢٩ من سورة التوبة.

[٣٠٧] اللمعات (ص٣٧٣-٣٧٦), السيرة الذاتية ص٢٢٥.

[٣٠٨] الآية ٢١٦ من سورة البقرة.

[٣٠٩] السيرة الذاتية (ص٣٤٧).

[٣١٠] الملاحق ص٢٩٠, السيرة الذاتية (ص٣٧٣).

سر الآية الكريمة: {**وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم**}([311])([312]).

١٢. جمالية العفو عند الأستاذ النورسي.

من أسماء الله (العفو الغفور) وهو سبحانه وتعالى يحب العفو كما ورد في حديث عائشة رضي الله عنها: (اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا)([313])، وقد أمر الله بالعفو وأرشد الناس إليه وحببه إليهم بطرق كثيرة، قال تعالى: {**فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**}([314])، وقال: { وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا }([315])، وقال: {**أَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**}([316])، وقال: { **وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** }([317]).

وفي صحيح البخاري كتاب المظالم(باب عفو المظلوم).

وقد مثل الرسول ﷺ المثل الأعلى في العفو، وذلك في مقامات كثيرة منها في فتح مكة (اذهبوا فأنتم الطلقاء)، وعندما خرج إلى الطائف وآذوه وجاءه جبريل معه ملك الجبال وخيره في إهلاكهم، فقال:(أرجو الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً)، وعندما كان راجعاً من غزاة ونام تحت شجرة علق سيفه فيها، فجاءه مشرك وأخذ السيف وقال: يا محمد من يمنعك مني الآن، فقال الرسول ﷺ (**الله**) فسقط السيف من يد المشرك، وأخذه الرسول، وقال له: وأنت من يمنعك مني الآن، فقال المشرك: كن خير آخذ، فعفى عنه وخلى سبيله([318]).

وهكذا كان الأئمة والمجاهدون والمصلحون عبر التاريخ الإسلامي يتحلون بهذه الصفة العظيمة التي يحبها الله.

أما الأستاذ النورسي رحمه الله، فإن له في العفو حديثاً عجباً، ذلك أن الحقد مغيب عنده تماماً حتى على أعدائه المعاندين الذين ظلموه عن علم وقصد، فهو يتأسف لحالهم بدل الحقد

([311]) الآية ٢١٦ من سورة البقرة.
([312]) الشعاعات ص٥٢٤, السيرة الذاتية ص٤١٧.
([313]) سنن ابن ماجه رقم ٣٨٥٠.
([314]) الآية ١٣ من سورة المائدة.
([315]) الآية ٢٢ من سورة النور.
([316]) الآية ٢٣٧ من سورة البقرة.
([317]) الآية ٤٣ من سورة الشورى.
([318]) صحيح البخاري رقم ٢٩١٣.

عليهم، ويحيلهم على المحكمة الكبرى يوم القيامة، قال رحمه الله: (ولما كانت الدنيا ومشقاتها فانية وماضية عابرة بسرعة فإن المظالم التي ينـــزلها بنا أعداؤنا المستترون سننتقم منهم، ونأخذ ثأرنا بأضعاف أضعافها، بل بمائة ضعف، وذلك في المحكمة الكبرى وجزء منها في الـــدنيا، فنحن بدلاً من الحقد والغضب عليهم نأسف على حالهم)[٣١٩].

وفي نظرة أخرى وهو يحكي عن تأثير رسائل النور في القلوب العطشى، وكأنه وصل إلى أقصى أمانيه، وكشكر لله تعالى على بلوغه أمنيته التي هي أغلى أمانيه يخرج نفسه من المعادلة، ويبرهن على إخلاصه ويعفو عن الجميع، وكأنه وصل إلى الفتح الأعظم، وقال لأعداء الأمس: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

قال رحمه الله: (وما دامت رسائل النور تؤثر في القلوب العطشى إلى الإيمـــان وإلى نـــور الحقائق، إذن لا يفدى بـــ"سعيد"واحد، بل بألف "سعيد وسعيد" وليكن كل ما قاســـيته في غضون ثمان وعشرين سنة من الأذى والمصائب حلالاً زلالاً.

أما الذين ظلموني وجرجروني من مدينة إلى أخرى، والذين أرادوا أن يوصموني بمختلف التهم والإهانات، وأفردوا لي أماكن في الزنـــزانات، فقد غفرت لهم وتنازلت عن حقـــوقي تجاههم)[٣٢٠].

وليس هذا فحسب بل إنه يوصي طلابه أيضاً بهذه الصفة العظيمة، صفة العفو، فيقول:(إن الكثيرين من طلابي قد ابتلوا بشتى أنواع البلايا والمصائب، وتعرضـــوا لصـــنوف العـــذاب والمتاعب، واجتازوا امتحانات عسيرة بفضل الله:إنني أطلب منهم أن يتجاوزوا مثلـــي عمـــن اقترف تلك المظالم وهضم الحقوق؛ لأن أولئك قد ارتكبوا تلك الأمور عن جهل منهم، والذين آذونا وعذبونا ساعدوا على نشر تلك الحقائق الإيمانية، دون أن يدركوا تجليات أسرار القـــدر الإلهي...ووظيفتنا تجاه هؤلاء هي التمني لهم بالهداية.

أوصي طلابي ألا يحمل أحد منهم شيئاً من روح الانتقام في قلبه، ولو بمقـــدار ذرة، وأن يسعوا سعياً جاداً لنشر رسائل النور، وليرتبطوا بها ارتباطاً وثيقاً، إنني مريض جداً لا طاقة لي

---

[٣١٩] الشعاعات ص٥٥٧-السيرة الذاتية ص٤٢٧.

[٣٢٠] الملاحق ص٣٧١.

لا في الكتابة ولا في الحديث، وقد يكون هذا آخر أقوالي)[٣٢١].

ونحن بدورنا أيضاً سنكون قد انتهينا من تحرير هذا الموضوع المهم في حياة الإنسانية بصفة عامة، وحياة المسلمين بصفة خاصة.

ولكني قبل أن أضع القلم أوصي وبإلحاح شديد بقراءة (اللمعة الثانية)[٣٢٢]، الـتي هـي بعنوان: (بسم الله الرحمن الرحيم {**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**}[٣٢٣])، وكذلك (اللمعة الخامسة والعشرون)[٣٢٤]، وهي رسالة المرضى.

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم، أن يشفي أمراضنا جميعاً، ويلهمنا الصبر على الضراء، والرضى به، والشكر على السراء والقناعة به.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد إمام الصابرين، وسيد الشاكرين وعلى آلـه الأطهـار وصحابته الأخيار ما تعاقب الليل والنهار.

---

[٣٢١] الملاحق ص٣٧١-٣٧٢.
[٣٢٢] اللمعات ص ١٠.
[٣٢٣] الآية ٨٣ من سورة الأنبياء.
[٣٢٤] اللمعات ص٣١٥.

الجمال والخلود
في "رسائل النور"

ذ.أديب إبراهيم الدباغ
مركز الدراسات الاكاديمية
استانبول

في أكثر من مكان من رسائل النور يشير "النورسي" إلى أنَّ النفس الإنسانية هي عبارة عن مجموعة كبيرة من اللطائف والنوازع الفطرية المختلفة، وأنَّ هذه اللطائف والنوازع تبقى في ظمأ شديد، وفي اشتياق أبدي إلى ما يروي ظمأها ويشبع جوعتها، لكُلٍّ منها رِيُّها وَقُوتُها الخالصان بها، فما يروي العقل غير ما يروي الروح، وما يروي الحسَّ غير ما يروي الشعور، وما يشبع خيال الروح غير ما يشبع خيالات البدن، ونزوع النفس الحرَّة إلى المغيبات في حاجة إلى رواء غير الرواء الذي تحتاجه النفوس الحبيسة في قمقم أجسادها، ولكي يتهيأ لنا أن نستقي من ينابيع القرآن جميعاً علينا أن نقبل عليه بِجَمع كياننا، وبجميع لطائفنا، وبكل نوازعنا، ومن هنا عاب علماؤنا على بعض الفرق الإسلامية إتيانها القرآن من بعض منافذ النفس دون بعض.

والنفس السليمة تنجذب بفطرتها إلى الجمال والجميل، وكل جمال وجميل يوقظ حبنا ويأخذ بمجامع قلوبنا لسبب وحيد وذلك لظهوره بمظهر من ينطوي على قوىً هي أعظم من جرمه، وأعمق وأوسع مما يبدو على ملامح شكله، وأن فيه لمحة من ملامح الخلود تضيء قلوبنا، وتصعق أرواحنا، فالجمال الإلهي الذي يندّ عن أي شكل لا يلبث أن يأخذ أشكالاً عديدة ويتصور بصور مختلفة حين يهبط الأرض وينزل منها منازله.

والنورسي يرى "أن كلاً منا هو مرآة كبيرة واسعة" قابلة لاستقبال الصور التي يبثها الكون والحياة، من حولنا، وإننا لننفعل بما تنقله إلينا هذه الصور من رسائل ونسعى إلى فهمها، والكشف عما ترمز إليه من المعاني والأفكار. وما تنطوي عليه من أسرار الحسن والجمال، ومن حيث كوننا مرايا يظلُّ الواحد منا يتلقى طوال حياته سيولاً هائلة متتابعة لا تتوقف من الصور، وتزدحم بها ذاكرته وينتخم بها عقله.

ولضعف في قوة الإبصار، وصدأ مزمن في المرآة، وكلال في الذهن على استبانة حقائق الأشياء، يتلقى الإنسان المنكود الصور الهابطة عليه من سماء الحق مشوشةً ومشوهةً، لا يتبين حقيقتها، ولا يدرك رمزها، ومن هنا تنشأ الانحرافات وتتجذر الكفريات، ويكبر الجحود، ويتفاقم الإنكار، وتصبح الماهية الإنسانية التي هي في الأصل "مرآة جامعة للأسماء الحسنى كلها" كما يقول النورسي، عدسةً مشتتةً لهذه الأسماء وطامسة لأنوارها وجلواتها في مرايا الموجودات.

- ٢ -

والمرآيا العاكسة التي تعكس كُلٌّ واحدة منها — بحسب حجمها وعلى قدر صقالتها وشدة نقائها- بعضاً من أنوار تجليات الأسماء الإلهية الحسنى. فإن هذه المرآيا إذا ما نُظِرَ إليها بمنظار "التوحيد" عُرِف أن مصدر نورها واحد، ومنبعه واحد، فيجتمع بهذا النظر شتاتها، وتتوحد أجزاؤها، ويلتحم بعضها ببعض، وتصير —بسرّ التوحيد- مرآة واحدة كبرى تعكس وحدة النور وأحدية المُنّوِر.

والوحدة والتوحيد سنة كونية تدفع بالأشياء من الجزئية إلى الكلية، ومن الشتيت المتفرق إلى الواحد المتجمع، وتسعى إلى رتق ما يتفتّق، وتركيب ما يتفكك، حتى أن القرآن الكريم يشير إلى هذه السنة الكونية الإلهية فيقول: {**ما خلقكم وما بعثكم إلاّ كنفس واحدة**} (لقمان:٢٨)، ويقول: {**مَنْ قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومَنْ أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً**} (المائدة:٣٢).

فالبشرية بأجيالها المتعاقبة منذ آدم عليه السلام وإلى أن تقوم الساعة مختزلة في أي فرد من أفرادها، فقتل هذا الفرد من غير وجه حق كأنه قتلُ البشرية بأسرها، وإحياؤه، أي مساعدته

على حفظ حياته كأنه إحياءُ للبشرية كلها، وهذا الفرد وسرّ كينونته منطوٍ في اصغر خلاياه، كما أن أعظم طاقات الكون مخفية في الذرة الواحدة من ذراته.

يقول "النورسي" في هذا المعنى:

(نعم، إنَّ ثمرة واحدة وزهرة واحدة، وضياءً واحداً، كُلٌّ منها يعكس كالمرآة الصغيرة رزقاً بسيطاً، ونعمة جزئية، واحساناً بسيطاً، ولكن بسرّ التوحيد تتكاتف تلك المرايا الصغيرة مع مثيلاتها مباشرة، ويتصل بعضها بالبعض الآخر، حتى يصبح ذلك النوع مرآة واسعة كبيرة جداً تعكس ضرباً من جمال إلهي يتجلى تجلياً خاصاً بذلك النوع، فيظهر سرُّ التوحيد حسناً سرمدياً باقياً من خلال ذلك الجمال الفاني الموقت، بمعنى أن ذلك الشيء الجزئي يتحول بسر التوحيد إلى مرآة للجمال الإلهي) [٣٢٥]

وفي النافذة السادسة والعشرين من رسالة "النوافذ" يقول "النورسي":

(إنَّ أنواع الجمال الزاهر، وأشكال الحسن الباهر، التي تتلألأ على وجوه الكائنات السريعة الأفول، ثم تتابع هذا الجمال وتجدده بتجدد الكائنات، واستمراره باستمرار تعاقبها، إنما يُظهر أنها ظل من ظلال تجليات جمال سرمدي لا يحول ولا يزول... تماماً كما أن تلألأ الحباب على وجه الماء الرقراق، وتتابع هذا اللمعان في تتابع الحباب يدل على أن الحباب والزبد والتموجات التي تطفو على سطح الماء إنما تمثل مرآيا عاكسة لأشعة شمس باقية..

فتلمّع أنواع الجمال أيضاً على الموجودات السيالة في نهر الزمان الجاري يشير إلى جمال سرمدي خالد، ويدل على أن تلك الموجودات إنما تمثل إشارات وعلامات على ذلك الجمال، ثم إن ما يخفق به قلب الكون من حُبٍّ جادّ وعشق صادق، يدل على معشوق دائم باقٍ.

إذْ كما لا يظهر شيء في الثمرة ما لم يوجد في الشجرة نفسها. فكذلك العشق الإلهي العذب الذي يستحوذ على قلب الإنسان – وهو ثمرة الكون- يبين أن عشقاً خالصاً ومحبة صادقة بأشكال شتى مغروزة في كيان الكون كله، وتتظاهر بأشكال شتى... هذا الحب المالك قلب الكون يفصح عن محبوب خالد سرمدي...).[٣٢٦]

---

[٣٢٥] الشعاعات ص ٨-١١

[٣٢٦] الكلمات ص ٨١٦-٨١٧

فمادام أن الكون شجرة كما يراه "النورسي" والإنسان ثمرة هذه الشجرة، والثمرة لا يمكن أن تحمل من الخصائص والصفات ما لا تحمله الشجرة ذاتها، ولما كان الإنسان يحسُّ في حالة صحو الروح، وصفاء القلب بوجد وتوق متدفق نحو خالقه وموجده، لذا فإن الكون –الذي هو شجرة الإنسان– لا بد وأن يحمل نفس ما تحمله ثمرته "الإنسان" من مثل هذا الوجد والتوق إلى الخالق العظيم ذي الجلال والجمال.

ويسير النورسي موغلاً في عمق هذه المعاني حيث يقول:

(ثمَّ إنَّ ما تمور به قلوب اليقظين الراشدين من أصفياء الناس، وما يشعرون به من انجذاب، وما يؤرقهم من وَجْدٍ وما يحسون به من جذبات، وما تتدفق به صدورهم من توق وحنين، إنما يدل على أن حنايا ضلوع الكون تعاني ما يعاني الإنسان. وتكاد تتمزق من شدة إنجذابها وعظيم جذباتها، التي تتظاهر بصور متنوعة، وهذا الجذب لا ينشأ إلاّ من جاذب حقيقي وجاذبية باقية أبدية...) إلى أن يقول: (ثم إنَّ قلم التجميل والتحسين الذي يبدع نقوشه في وجه الكائنات، يدل بوضوح على جمال أسماء مالك ذلك العليم المبدع...

وهكذا فالجمال الذي يشع من وجه الكون

والعشق الذي يخفق به قلبه

والانجذاب الذي يمتلئ به صدره

والكشف والشهود الذي تبصره عينه

والروعة والإبداع في مجموع الكون كلّه

كل ذلك يفتح نافذة لطيفة جداً ونورانية ساطعة أمام العقول والقلوب اليقظة يتجلى منها ذلك الجميل ذو الجلال، الذي له الأسماء الحسنى، وذلك المحبوب الباقي والمعبود الأزلي...).[٣٢٧]

[٣٢٧] الكلمات ص ٨١٧.

إنَّ شيئاً ما ينحدر إلينا من منابع الأبدية عندما نروح في استبحار فكـري وروحـي في الأمداء المهولة البعد من محيطات النفس والوجدان، وهذا يعني أنَّ "الخلود" مُجَوْهَرٌفي منـاجم الروح، وأنَّ بذرة "الأبدية" منطوية في وجدان كل إنسان.

و"النورسي" يرصد هذه الظاهرة ويقدم لنا التفسير الآتي:

(إنَّ هذه الأشياء لم تخلق للفناء بل للبقاء، بل إنَّ فناءها الظاهري ليس إلاَّ إطلاقاً لسراحها بعد أن أنهت مهامها، وكما أن الشيء يفنى من جهة إلا أنه يبقى من جهات كثيرة:

تأمل هذه الزهرة — وهي كلمة من كلمات القدرة الإلهية- إنها تنظر إلينا مبتسمة لفتـرة قصيرة ثم تختفي وراء ستار الفناء، فهي كالكلمة التي تتفوه بها والتي تودع آلافاً من مثيلاتها في الآذان، وتبقى معانيها بعدد العقول المنصتة لها، وتمضي بعد أن أدَّتْ وظيفتها وهي إفادة المعنى.

فالزهرة ايضاً ترحل بعد أن تودع في بذيراتها ماهيتها المعنوية، فكأنَّ كل ذاكرة، وكُـلَّ بذرة بمثابة صور فوتوغرافية لحفظ جمالها وصورتها وزينتها ومحل إدامة بقائهـا. فلـئن كـان المصنوع وهو في أدنى مراتب الحياة يعامَلُ مثل هذه المعاملة للبقاء فما بالك بالإنسان الذي هو في أسمى طبقات الحياة، الذي يملك روحاً باقية، ألا يكون مرتبطاً بالبقاء والخلود..؟!).[٣٢٨]

والرغبة بالخلود والدوام هي حافز أعظم الأعمال الفكرية والوجدانية. فآمـال الانسـان وأشواقه وأحلامه وخياله وفكره وآدابه وفلسفاته، وما قاله من حِكَمٍ، وتغنَّى به من شعر، إنما هو تعبير عن نفس الهاجس، ولو لم يتوهم لمحة من لمحات الخلود في أعماله الفكرية والإبداعية وبناه الحضارية لما كلَّفَ نَفْسَهُ عناء التفكير ومشقة الإبداع، ولو لم يتوهم بعضاً من علامات الخلود والدوام فيما يحبُّ ويهوى لما أحبَّ ولما هَوِيَ.

ولما التذ بعمل أو سُرَّ بشيءٍ من أعماله، كما يشير إلى ذلك "النورسي".

فالزمان الدنيوي المحدود عاجز عن المضي مع الإنسان إلى آخر الشوط في خياله الذي لا حدود له، ومع أشواقه التي لا نهاية لها. فلا بُدَّ من زمن أخروي لا حدود له تصبُّ فيه الأزمنة كُلُّها بخيرها وشرِّها، وتصبُّ فيه آمال الإنسان وأحلامه وأشواقه بخيرها وشرِّها، وتطويها دفاتر الأبد وسجلاته.

يقول "النورسي":

---

[٣٢٨] الكلمات ص ٨٠

(لو قيل لقدرة التخيل في الإنسان، وهي إحدى وسائل العقل، وأحد مصوريه، سَتُمْنَح لكِ سلطنةُ الدنيا وزينتها مع عمر مديد يزيد على مليون سنة، ولكن مصيركِ إلى الفناء والعدم حتماً، نراها تتأوه وتتحسَّر...

إي إنَّ أعظم فانٍ — وهو الدنيا وما فيها- لا يمكنه أن يشبع أصغر آلة في الإنسان وهي الخيال.

يظهر من هذا جلياً أنَّ هذا الإنسان الذي له الاستعداد الفطري، والذي له آمال تمتدُّ إلى الأبد، ورغبات تنتشر في ثنايا أنواع السعادة الأبدية... هذا الإنسان إنما خلق للأبد وسيرحل إليه حتماً، فليست هذه الدنيا إلاَّ مستضافاً موقتاً، وصالة انتظار الآخرة).[٣٢٩]

– ٤ –

وحبُّ الجمال، والانتشاء بمشاهدته والاقتراب منه، ومحاولة امتلاكه، والاستحواذ عليه بالفكر والحسِّ والخيال، هو قضية معروفة ومشاهدة في الإنسان، حيث يمتطي خياله، ويظلُّ سابحاً في ملكوت الجمال، يجوس خلاله، ويطوف بين أمدائه وهو يلاحق مغيبات الحسن في خبايا الكون والحياة والإنسان، مدفوعاً إلى ذلك بنازع فطري وبحافزٍ روحي يَوَدُّ لو يشرب جمال العالم كله، ويطويه في حشاشته.

غير أنَّ هذا "الخيال" وهو يبحث عن لمحات الجمال ويلاحقها في كل مكان يقودنا إلى تيهٍ يباب، ويقف بنا في منتصف الطريق مُنْبَتّينَ هالكين لأنه يبحث عن جمال مجازي، ويلاحق حسناً فانياً زائلاً، بينما هو مرصود لكي يتلمس لمعات الحسن الحقيقي، ويبحث عن أنوار جمال سرمدي لا يفنى ولا يزول، لذلك فسيظَلُّ جائعاً لا يشبع، وظامئاً لا يروي، لأن كُلَّ جمال يلتقيه إنما هو جمال نسبي محدود فانٍ، وفوقه جمال هو تجلٍ من تجليات نوره، كتجلي نور الشمس —ولا مشاحة في المثال- على المرايا وقطرات الماء وحباب البحر، هو ليس بالشمس ولا بعض منها، ولكنه بسرِّ النورانية والشفافية يدخل كُلَّ شيء من غير أن يحتويه شيء،

---

[٣٢٩] الكلمات ص٩٥

ويقرب من كل شيء بينما هو بعيد عن كل شيء كما يشير إلى ذلك "النورسـي" رحمـه الله.[٣٣٠]

ومعلوم بداهةً أنَّ الجمال –أي جمال– يحبُ أن يَشْهَدَ نَفْسَهُ في مراياه ومرايا الآخـرين، ويَودُّ أنْ يكون موضع إعجاب واستحسان غيره، ولمَّا كان الجمال الإلهي سـرمداً وخالـداً وأبدياً، فهو يقتضي خلود أولئك المشتاقين وديمومتهم، فمنح الخلود للمؤمنين المشتاقين للجمال الإلهي هو من مقتضيات أبدية هذا الجمال وسرمديته كما يقول "النورسي": (ولمّا كان الجمال والحسن خالدين سرمديين فإنهما يقتضيان خلود المشتاقين وديمومتهم، لأنَّ الجمال الـدائم لا يرضى بالمشتاق الزائل).[٣٣١]

فالإنسان رهين الخلود، محكوم به عليه، مذهوب به إليه، سواء استسلم لقضاء الله فيه، أم تمرد عليه، وسواء آمن واتّقى أم جحد وكفر، فكما جاء إلى الدنيا بغير إرادته، فإنه مغادرهـا كذلك إلى الآخرة بغير إرادته، فلا فكاك له عنها، ولا مصرف له إلاَّ إليها. لأنها موصولة بـه بحبال منسوجة من خيوط روحه، فهو مشدود إليها، وهي مشدودة إليه، ولا خلاص لأحدهما من الآخر.

إنَّ "وجود الإنسان" موجود في علم الله تعالى قبل أن يمنحه إياه، ويُتَوِّجُه بالروح والحياة، ولأن علم الله تعالى أزلي وأبدي، فمن البديهي أن يكتسب هذا الوجود ظلاً من ظلال الدوام والبقاء، وهو بهذا الانتساب الإلهي لا يمكن أن يتفكك أو يمضي لأي سبب من الأسـباب في طريق "التلاشي" والوصول إلى نقطة "اللاّوجود" والانحدار نحو العدم.

فـ "وجود الإنسان" إبتداءً إنما هو خروج من دائرة "العلم" إلى دائرة "القدرة". ووجوده انتهاءً هو خروج من دائرة "القدرة" إلى دائرة "العلم" ثم العودة مرةً أخرى إلى دائرة "القدرة" للحساب والثواب والعقاب، وهو في هذه الحالات جميعها موجود غير معـدوم. فهـو –أي الإنسان– إما أن يكون موجوداً في "علم الله" أو موجوداً في "قدرة الله" ولا في شيء غيرهما.

وفي تفسيره لقوله تعالى: {**كُلُّ شيءٍ هَالِكٌ إلاَّ وَجْهَهُ**}(القصص:٨٨)، يقول "النورسي":

---

[٣٣٠] انظر "الكلمات" ١٨٩

[٣٣١] الكلمات ص٧٢

(ثمَّ إن العدم المطلق لا وجود له أصلاً، لوجود "العلم المحيط" علماً أنه لا شيء خـــارج عن دائرة العلم الإلهي كي يمضي إليه شيءٌ ما، والعدم الموجود ضمن دائرة "العلم هو عـــدم خارجي، وهو عنوان صار ستاراً على الوجود العلمي، حتى حدا ببعض العلماء المحققين التعبير عن هذه الموجودات العلمية بأنها "أعيانٌ ثابتة" لذا فالذهاب إلى الفناء هو نـــــزع الأشـــياء لألبستها الخارجية موقتاً ودخولها في وجود معنوي وعلمي، أي أنَّ "الهالكات والفانيات" تترك الوجود الخارجي وتلبس ماهياتُها وجوداً معنوياً، وتخرج من دائرة "القدرة" وتدخل في دائرة "العلم" [٣٣٢]

والكافر –كما يحكي عنه القرآن– حين يرى العذاب المنصبّ عليه في نار جهنّم، يهتـــف صارخاً: {**يا ليتني كنتُ تراباً**} (النبأ: ٤٠)، متوهماً أنَّ التراب مواتٌ لا يُحسُّ بالعذاب. بينما الأرض ومنها التراب هي مظاهر قدرته تعالى ورحمته وإحسانه، فحفنة من تـــراب يمكـــن أن يُستَنبَت فيها كُلُّ أزهار العالم وأشجاره على اختلاف أنواعها وألوانها وطعومها، كما يقـــول "النورسي":

(فالتراب حياة وإحياء، ومن هنا كان المؤمن أقرب ما يكون إلى الله وهو ساجد كما جاء في الحديث الشريف، لأنه أقرب ما يكون إلى التراب. الذي تتجلّى فيه أسماؤه الحسنى، حـــتى كره بعض الفقهاء السجود على ما يحجب جبهة الساجد عن الأرض.

فالتراب فيه خاصية إحياء كالماء، لذا فهو يقوم مقامه في الوضوء والطهارة حين يَعِزُّ الماء أو يختفي. فالتراب الذي يتمنّى الكافر أن يكونه ليس عدماً ينجيه من العذاب كما يتوهم، فلا خلاص له مهما صار إليه من أشياء، أو تحول إليه من أحوال، لأنه مسجون الوجود، ولا عدم يمكن أنْ يتلاشى فيه، أو يذوب في قعره ليخرج من شيئيئيته الإنسانية، ويتخلص من مسؤولية فكره وعقيدته، فالله تعالى من حيث ربوبيته "قد جعل سبحانه المخلوقات الأرضية عروشاً له، إذ جعل الهواء نوعاً من عرش لأمره وإرادته، وعنصر النور عرشاً آخر لعلمه وحكمته، والماء عرشاً آخر لإحسانه ورحمته، والتراب نوعاً من عرش لحفظه وإحيائه).[٣٣٣]

---

[٣٣٢] المكتوبات: ٧٥

[٣٣٣] المكتوبات ص ٢٩٧



الوظيفة الإيمانية والأخلاقية
للنظر الجمالي في رسائل النور

أ.د. عمار جيدل
جامعة الجزائر

الخلاصــــة:

بسم الله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى ومن بآثاره اقتفى وبعهد وفى، وبعد لا شك أن للجمال في رسائل النور وظائف كثيرة تستغرق كثيرا من مجالات الفعل الإنساني، يعد هذا المسلك في النظر إلى الجمال سبيلا معبدة للاستدراك على النظرة العبثية للجمال، فلا يرى مسلك رسائل النور الجمال وسيلة لتحقيق النواحي الهابطة (المهبطة) من الإنسان (تمتع الحواس، والمعدة، واللذة الحيوانية، و...)، بل له وظيفة أسمى، وأعظم، تستغرق جميع أصول الفضائل، قصرت الورقة على الوظيفتين الإيمانية والأخلاقية للجمال في رسائل النور.

و عرضت مضمون الورقة على النحو الآتي:

المبحث الأول: توظيف النظر إلى الجمال في رسائل النور.

١ - الجمال لغة معنوية يفهمها كل الخلق على تنوّع مشاربهم ومستوياتهم العلمية.

٢ - شروط اكتشاف الجميل (شروط الاستعداد لاكتشاف الجمال وموانع النظر).

أ - أن يكون الناظر إنسانا.

ب- أن يكون قلب الناظر حيا.

ج- أن يكون الناظر صاحب شعور وإحساس مرهف.

د - التحرر من موانع النظر الصحيح.

٣ - زوايا النظر الجمالي.

المبحث الثاني:وظائف النظر الجمالي.

التأسيس للذوق الجمالي أو التنبيه إليه.

أولا :لوظيفة الإيمانية للنظر الجمالي.

١ – الجمال وسيلة لمعرفة الله تعالى.

٢ – اكتشاف لطف الله بالخلق.

٣ –الاستجابة لأمر الله في النظر الجمالي.

٤ – الشهادة على الجمال الموافق لشهادة الله .

٥ – محبة الله تعالى.

٦ – الجمال دليل الخالق ومرشد إلى معرفته .

٧ – المناجاة بنظر الجمال.

ثانيا: الوظيفة الأخلاقية للنظر الجمالي.

١ – الجمال والرقي المعنوي.

٢ – التربية على التكمل من خلال طلب الكمال.

٣ – الجمال المادي والمعنوي والجمال الأخلاقي.

٤ – الجمال الأخلاقي والأسرة.

المبحث الأول:

توظيف النظر إلى الجمال في رسائل النور

١– الجمال لغة معنوية يفهمها كل الخلق على تنوّع مشاربهم ومستوياتهم العلمية:

الجمال لغة مشتركة بين الخلق يستوعب معانيها الأسوياء من البشر، يفهمهـــا الإنســـان ويستوعب ما ترمي إليه من أهداف تربوية ومعرفية، ذلك أنّ الاتصال بالجماليات طريقه الأولي الحواس القسط المشترك بين الناس، واستيعاب معانيه ومراميه يرجع إلى قدر مشترك بين البشر في تذوق الجمال، لهذا قلنا بأنها قسط مشترك بين البشر في كلياته، يشهد لهذا المعـــنى قـــول الأستاذ بديع الزمان النورسي في سياق التأكيد على تذوق الجمال، وأنه ليس له كبير صـــلة

بالمستوى المعرفي، يقول رحمه الله: "حتى أضفى **جمالاً رائعاً وحسناً جالباً للأنظار يعجب بها كل من يراها سواء أعلم القراءة أم جهلها"، ويؤكد في السياق نفسه أن الجمال الظاهري الباهر يشف عما تحته من (جمال المعاني)، وهو** في منتهى السطوع واللمعان وغاية اللذة والذوق.(٣٣٤)

٢ – شروط اكتشاف الجميل (شروط الاستعداد لاكتشاف الجمال+ موانع النظر):

لماذا لا يتذوّق الناس الجمال بطريقة واحدة رغم كون النظر الجمالي مشتركا إنسانيا وإن شئت بشريا، ويرجع الأمر– بحسب تقدير النورسي– إلى فقد شروط النظر الواعي الصحيح أو فقد إرادة النظر، إذ يؤثر فقدهما في رؤية الجمال حال وجوده فضلا عن تذوقه، وتأكيدا لهذه المعاني، يحيلنا الأستاذ –كما هي عادته في البيان– على المثال، فيقول في ذلك"والآن يذهب صديقان معاً إلى تلك الضيافة ويجلسان جنباً إلى جنب على مائدة واحدة في مكان مخصص. ولكن لكون أحدهما يملك حاسة ذوق ضعيفة، لا يتذوق إلا شيئاً قليلاً من تلك الضيافة، ولا يرى كثيراً من الأشياء، لأن بصره ضعيف. ولا يشم الروائح الطيبة، لأنه فاقد لحاسة الشم. ولا يفهم خوارق الأشياء، لعجزه عن إدراك غرائب الصنعة.. أي لا يستفيد من تلك الروضة الرائعة، ولا يذوق من تلك الضيافة العامرة إلا واحداً من ألف، بل من مليون مما فيها، وذلك حسب قابلياته الضعيفة. أما الآخر، فلأن جميع حواسه الظاهرة والباطنة، وجميع لطائفه من عقل وقلب وحسّ، كاملة مكتملة، متفتحة منكشفة بحيث يحس جميع دقائق الصنعة من ذلك المعرض البهيج، وجميع ما فيه من جمال ولطائف وغرائب، يحس كلاً منها ويتذوقها، مع انه جالس مع الرجل الأول."(٣٣٥)

يذكر الأستاذ أن لتذوق الجمال شروطا أساسية، يطلب توفرها في الناظر، على رأسها:

أ– أن يكون الناظر إنسانا:

لا يمكن أن ينتفع بالنظر الجمالي غير الإنسان الحق الذي يجعل منتهى غايته تعبيد نفسه لله تعالى، وإذا تعلق قلب الإنسان بمثل تلك المعاني مقصدا وغاية؛ فإنه سيورثه سعادة دائمة

---

(٣٣٤) الكلمات ١٤٢

(335) الكلمات ٥٨٨.

مستمرة وسرورا منقطع المثيل، يشهد لهذه المعاني، قول الأستاذ: "تستطيع أن تدرك – إن كنت إنسانا حقاً– مدى ما يورثه من سعادة دائمة ومدى ما يبعث من سرور ولذة ونعمة، التوفيق إلى رؤية مَن هو الأهل لمحبة بلا نهاية وشوق بلا نهاية ورؤية بــلا نهايــة في الســعادة بــلا نهاية."[٣٣٦]

ب – أن يكون قلب الناظر حيا:

درج البشر فطريا على حب الجمال، ولكن قد تصادف في حياتك المعيشة نمطا من البشر يعلنون مقتهم للجمال بكل معانيه وتجلياته – الأخلاقي المعــرفي العقلــي التربــوي ... – ويصرحون في الوقت ذاته بحبهم للقبيح بكل تجلياته ومعانيه، وفي هذا المقام حري بك التساؤل عن سر هذا الموقف.

يؤكد الأستاذ أن حياة القلب شرط رئيس في النظر الجمالي، ذلك" أن كل من يحمل قلباً حياً، لا شك انه يحب من كان ذا جمال وكمال وإحسان، وهذه المحبة تتزايد وفق درجات ذلك الجمال والكمال والإحسان، حتى تبلغ درجة العشق والتعبد. فيضحي صاحبها بما يملك في سبيل رؤية ذلك الجمال، بل قد يضحي بدنياه كلها لأجل رؤيته مرة واحدة. وإذا علمنا أن نسبة ما في الموجودات من جمال وكمال وإحسان إلى جماله وكماله وإحسانه سبحانه وتعالى لا يبلغ أن يكون لُميعات ضئيلة بالنسبة للشمس الساطعة."[٣٣٧]

ج– أن يكون الناظر صاحب شعور وإحساس مرهف:

تقتضي حياة القلب إحساسا مرهفا، ييسر لصاحبه رؤية آثار الجمال والجلال، وقد جعل الخالق الحكيم المدبر الجمال – مختلف مظاهره المادية والمعنوية–، معرضا لحكمته وجماله وسجل شهوده عليه سبحانه وتعالى، ذلك أنه يخاطب من سلم ذوقه، فكان خطابه المشاهد في مختلف صور الجمال موجها إلى المتحلين بالشعور والإحساس المرهف. يقول الأستاذ: "وما دام ذلك الحكيم المطلق سلطاناً ذا جلال؛ بشهادة جميع إجراءاته الحكيمة، وبما يظهره من آثار جليلة.. ورباً رحيماً واسع الرحمة؛ بما يُبديه من آلاء وإحسان كثير لا حصر له، .. وصانعاً بــديعاً

---

[٣٣٦] الكلمات ٦٩٨

[٣٣٧] الكلمات ٦٩٨

يحب صنعته كثيراً، بما عرضه من مصنوعات بديعة.. وخالقاً حكيماً يريد إثارة إعجاب ذوي الشعور وجلب استحسانهم بما نشره من تزيينات جميلة وصنائع رائعة.. ويُفهم مما أبدعه من جمال يأخذ بالألباب في خلق العالم أنه **يريد إعلام ذوي الشعور** من مخلوقاته: ما المقصود من هذه التزيينات؟ ومن أين تأتي المخلوقات والى أين المصير؟.. فلا ريب أن هذا الحاكم الحكيم والصانع العليم سيُظهر ربوبيته الجليلة"[٣٣٨]

د- التحرر من موانع النظر الصحيح:

تأسر الرغبات الشخصية والمنافع الذاتية عقل الناظر، وشخص هذا شأنه لا يمكن أن يرى الجمال وإن كان باديا للعيان، بل قد يشكك في بهاء الجميل وحسن منظره، وهو لا يعلم أن المشكك في الجميل البهي يرتد إليه الشك؛ فيصبح بتصرفه هذا محل شك، ذلك أنه يشكك فيما لا يمكن الشك فيه، لوضوح حسنه وبهاء منظره.

إن المشكك في مثل هذا الجمال والحسن الواضحين، يسترعي الشفقة والحرمة بناظر هذا شأنه، إذ تدل تصرفاته على خلل من الناحية النفسية قد يصاحبه خلل ثاني من الناحية الأخلاقية، وثالث من الناحية العقلية، لهذا يطلب تحليل جيد للعناصر النفسية والأخلاقية والاجتماعية التي نشأ في كنفها هذا التصور والذوق الأعوج.

يوضح هذه المعاني مثال واضح ضربه الأستاذ في سياق بيان الرغبات والمنافع الشخصية في حجب الحقائق والجمال مهما كان واضحين: نعم لقد ذَهَب مثلاً: أن حسناء بارعةَ الجمال طردت أحد المعجبين بها، فقال هذا المعجب مسلياً نفسه: **تبّاً لها ما أقبحها**.. منكراً جمال تلك الجميلة. وذات يوم مرّ دُب تحت شجرة عنب ذات عناقيد لذيذة، فأراد أن يأكل من ذلك العنب الحلو، ولّما لم تصل يده إليه، وعجز عن التسلق، قال متمتماً: انه حامض، فسلى نفسه.. ومضى في طريقه"[٣٣٩].

تلاحظ أن أسير رغباته مستعد لقلب الحقائق مهما كانت واضحة جلية، نعم ليس بمقدوره قلب الحقائق من حيث هي، لأنه محال بالاتفاق، وأشد محالاته هو انقلاب الضد إلى ضده.

---

[٣٣٨] الكلمات ٦٧٧

[٣٣٩] لكلمات ٧١

وضمن عدم إمكان انقلاب الحقائق إلى اضدادها حقيقة لا تقبل الضد قطعاً، وهي انقلاب الشيء مع احتفاظه بماهيته إلى عين ضده، كـأن ينقلب الجمال المطلق – مع احتفاظه بهـذا الجمال – إلى القبح الحقيقي! فتحول جمال الربوبية الواضح والظاهر ظهوراً جلياً إلى ضده مع بقائه على ماهيته هو اشد محالا واكثر عجباً في إحكام العقل.[٣٤٠]

هـ – الاعتراف بجمال الجميل:

يدرب الحكيم المدبر سبحانه وتعالى الإنسان على الاعتراف بالجمال، وذلـك بإظهـار الجمال في كل عناصر الكون مهما صغر حجمها، وتدل استجابة الإنسان لها على سـلامة الفطرة، فيتذوق الجمال ويقر للجميل بحسنه وبهائه، وأول عناصر الاستفادة من ذلك الإصلاح الاعتراف بكل جميل، ورأسه على الإطلاق الإقرار لصاحب الجمال المطلق سبحانه وتعـالى، خاصة وقد شهد الخالق المبدع الحكيم وأشهد خلقه محاسن جماله ولطائف حسـنه في مرايـا تعكس هذا الجمال، بوساطة رسول حبيب؛ فهو حبيب لتـودده إلى الله سـبحانه بعبوديتـه الخالصة، وهو رسول حبيب لأنه يحبب الله سـبحانه إلى الخلـق بإظهـار جمـال أسمائـه الحسنى.[٣٤١]، وحيث أن كل ذي جمال وكمال يحب أن يشهَد ويُشاهد جمالَه وكمالَه، كذلك هذا السلطان العظيم، أراد أن يفتح معرضاً هائلاً لعرض مصنوعاته الدقيقة كي يُلفت أنظـار رعيته إلى أبهة سلطنته، وعظمة ثروته ويُظهِر لهم من خوارق صنعته الدقيقة وعجائب معرفتـه وغرائبها، ليشاهد جمالَه وكمالَه المعنويين على وجهين:الأول: أن يرى بالـذات معروضـاته بنظره البصير الثاقب الدقيق. والثاني: أن يراها بنظر غيره[٣٤٢]، وفي ذلك مسلك استعادة الذوق الجمالي وتدريب عليه.

٣ – زوايا النظر الجمالي:

تتجاوز رسائل النور ما شاع تداوله في النظر الجمالي وتذوقه، فلا تقصره علـى النظـر المتعلق بالقشور التي تتعلق بها الأبصار، بل تتعداه إلى لفت النظر إلى الجمال المطلـق بوصـفه منتهى غايات النظر وذروة سنام الأهداف التي تتعلق بها الهمم، وتتأكد تلك النتيجة بملاحظـة

---

[٣٤٠] الكلمات ٧٦
[٣٤١] الكلمات ٦٢
[٣٤٢] الكلمات ١٢٩

الجمال المتحقق في العناصر المادية والمعنوية الجزئية، ولهذا ظهر الجمال المفضي إلى تلك النتيجة في جميع عناصر الكون مهما بدت صغيرة.

و يمثل الكون في رسائل النور معرض مصنوعات الله تعالى؛ فجماله ودقة صنعه مرآة عاكسة لجمال الله ومحاسنه، وإحسانه للخلق، والكون في فكر الأستاذ طريق لطلب الجمال الخفي السامي الذي لا مثيل له، فيرى الإنسان إحسان خالقه للخلق في مرآة عاكسة ويشهد قِيَم حُسنه ومقاييس جماله في مرآة ذات مشاعر وأشواق إليه، فانه يريد الظهور والتجلي ليرى جماله المحبوب أيضا بأنظار الآخرين. أي أن النظر إلى جمال ذاته يستدعي أن يكون من جهتين: الأولى: مشاهدة الجمال بالذات في المرايا المختلفة المتعددة الألوان، والأخرى: مشاهدة الجمال بنظر المشاهدين المشتاقين المعجبين المستحسنين. [٣٤٣]

يحرر الإنسان بهذا النظر المستعاد أو المؤسس من التعلق بالقشر من الناحية الجمالية؛ والتي كان يكفي فيها مجرد البصر بشرط أن لا يكون مانعاً للألفة، ويهيئه لاستيعاب الجمال الذي في الجنة، وهو جمال يعد لبا محضا لا قشر فيه، ذلك أن حواس الإنسان ولطائفه كلها، أخذ حظوظ أذواقها المختلفة، ولذائذها المتباينة. [٣٤٤]

المبحث الثاني :

وظائف النظر الجمالي

التأسيس للذوق الجمالي أو التنبيه إليه:

جعل الخالق الحكيم الكون معرض مصنوعاته ومخزن الأدلة على كماله ووجوده واستحقاقه العبادة، فخزائنه ملأى بأنواع لا تعد ولا تحصى من الجواهر النفيسة والألماسات الفريدة، وبدائع صنعته شاهدة على عظيم قدرته، وإحاطته التامة بمخلوقاته وحاجاتها الجزئية والكلية في وجودها وكمالها وبقائها،... وفي ذلك أعظم دال على كمال صنعته، وأعظم دعوة

---

[١٠] الكلمات ٧١

[١١] الكلمات ٥٨٩

وأندى صوت يرشد إليه، فالعاقل مع كثرة الشهود يلبي إرادة الله جلا وعلا في جاب الأنظار إلى كمال صنعته والإعلان عنها[٣٤٥]

و يمكن للبشر أن يخلصوا إلى تلك النتائج المطلوبة، باستعادة الذوق الجمالي إن وقعوا تحت طائلة الملوثات الفكرية والنفسية؛ فيكون لفت النظر إلى الجمال لفت نظر إلى أهمية الذوق الجمالي من جهة، ومنزلة الصحة النفسية والفكرية في صحة النظر الجمالي من جهة أخرى، وهو بذلك لافت للنظر إلى ما هو أبعد من الظاهر المألوف؛ فهناك من الحوادث التي يبدو في ظاهر أمرها قبيحاً مضطرباً ومشوشاً، إلا أنَّ تحت ذلك الستار الظاهري أنواعاً من جمال رائق، وأنماطاً من نظم دقيقة[٣٤٦]

وظيفة النظر الجمالي في رسائل النور:

استعمل الخالق المدبر سبحانه وتعالى الكون شاهدا ودليلا، وقد أبانت وحدة الشهود على مقصد رئيس ومقاصد فرعية بالنظر إلى ذلك المقصد الكلي، وإن كانت هي نفسها مقاصد كلية باعتبارات أخرى، ورأس سنام تلك المقاصد تعبيد الخلق لله تعالى، وطريقه إرشاد الخلق إلى ما يجب أن يتحلوا به من خلال كريمة.

أول ما يشاهد من معرض المصنوعات (الكون) ويلفت انتباه الناظر فيها، الناحية الجمالية في زاويتها الشكلية (القشرية)، وهي بدورها طريق معبد للتساؤل عن سر هذا الجمال وأصله، فتكون للنظر الجمالي وظيفة تدبرية تسهم بقسط وافر في التنبيه إلى القيم والأخلاق؛ فتكون وظيفتها إيمانية تؤسس لوظيفة أخلاقية مخصوصة.

أولا : الوظيفة الإيمانية للنظر الجمالي:

١ – الجمال وسيلة لمعرفة الله تعالى:

استعادة سلامة الذوق الجمالي يسهم في التأسيس لعلاقة تواصل بوجه ما مع الأشياء الجميلة والأمور الطيبة، وهو طريق للتواصل مع خالقها المدبر الحكيم من خلال التعرف على جمال أفعاله البديعة، ومن جمال الأفعال إلى جمال أسمائه الحسنى – ومن جمال الأسماء الحسنى إلى

---

[٣٤٥] انظر الكلمات ٧٦،٦٨٥،٦٩٠

[٣٤٦] الكلمات ٢٥٠

جمال صفاته الجليلة، ومن جمال الصفات الجليلة إلى جمال ذاته المقدسة، .. وكل ذلك مؤسس لمحبة الأشياء الجميلة والأمور الطيبة، لأنها طريق إلى معرفة خالقها؛ فتحب لأنها مرشدة إليه؛ فهو حب في سبيل الله، وفي سبيل معرفة صانعها الجليل بحيث يجعلك تقول: **ما أجمل خلقه!**. فان هذه المحبة في حد ذاتها تفكر ذو لذة ومتعة، فضلاً عن أنها تفتح السبيل أمام أذواق حب الجمال والشوق إلى الحسن لتتطلع إلى مراتب أذواق أسمى وارفع، وتريه هناك كنوز تلك الخزائن النفيسة فيتأملها المرء في نشوة سامية عالية؛ ذلك لان هذه المحبة تفتح آفاقاً أمام [٣٤٧] عينيه وقلبه وعقله.

إن محبتنا للأشياء الجميلة بمعنى نظرتنا إليها من زاوية "**ما أجمل خلقه**"، وتوجيه النظر إلى ما وراء ذلك الشيء الجميل من جمال الأفعال وانتظامها، والى ما وراء تلك الأفعال المنسقة من جمال تجليات الأسماء الحسنى، والى ما وراء تلك الأسماء الحسنى من تجليات الصفات الجليلة.. وهكذا.. إن نتيجة هذه المحبة المشروعة هي: مشاهدة جمال أسمى من ذلك الجمال الذي شاهدته في المصنوعات بألوف ألوف المرات. آي مشاهدة تجليات الأسماء الحسنى وجمال الصفات الجليلة بما يليق بالجنة ودار البقاء. حتى قال الإمام الرباني السرهندي رضى الله عنه: "إن لطائف الجنة إنما هي تمثلات الأسماء الحسنى" فتأمل!. [٣٤٨]

٢ – اكتشاف لطف الله بالخلق:

تذوق الجمال طريقه التدبر والتفكر فيه وجودا ونظاما، والذي ينتهي بصاحبه إلى الإعلان الصريح الواضح بالوحدانية، وخاصة في مقام التتريه بإمتاع النظر إلى دقة اللطف في خلق الأشياء، ورقة الجمال في إتقانها، وبهذا يدخل وظيفة المحبة والشوق إلى جمال الفاطر الجليل والصانع الجميل.[٣٤٩]

٣– الاستجابة لأمر الله في النظر الجمالي:

أراد الله الحكيم المدبر للبشر أن يتفاعلوا إيجابيا مع معرض مصنوعاته "الكون" بما وضعه عز وجل من عناصر جمالية لا تحصى عدا، وطريق ذلك التفاعل، إعلامهم بالمقصود من مختلف التزيينات المبثوثة في الكون.

---

[٣٤٧] انظر الكلمات ٧٧٢

[٣٤٨] انظر الكلمات ٧٧٧

[٣٤٩] انظر الكلمات ١٣٤

إقرأ معنا هذه الفقرة الصريحة في إثبات تلك الحقيقة، يقول الأستاذ رحمه الله: "وما دام ذلك الحكيم المطلق سلطاناً ذا جلال؛ بشهادة جميع إجراءاته الحكيمة، وبما يظهره من آثار جليلة.. ورباً رحيماً واسع الرحمة؛ بما يُبديه من آلاء وإحسانات وصانعاً بديعاً يحب صنعته كثيراً، بما عرضه من مصنوعات بديعة.. وخالقاً حكيماً يريد إثارة إعجاب ذوي الشعور وجلب استحسانهم بما نشره من تزيينات جميلة وصنائع رائعة.. ويُفهم مما أبدعه من جمال يأخذ بالألباب في خلق العالم أنه يريد إعلام ذوي الشعور من مخلوقاته: ما المقصود من هذه التزيينات؟ ومن أين تأتي المخلوقات والى أين المصير؟.. فلا ريب أن هذا الحاكم الحكيم والصانع العليم سيُظهر ربوبيته الجليلة."[350]

٤ – الشهادة على الجمال الموافق لشهادة الله :

يعرض الله سبحانه وتعالى مصنوعاته في الكون؛ فيرى العقلاء جمالها وحسن صناعتها، وهي بدورها خير شاهد على جمال صانعها وكمال ربوبيته، ذلك أن الكون يمثل مرآة مخلوقاته، وطريقا لمشاهدة آثار الجمال والكمال وإشهاد الآخرين على ذلك [351]

٥ – محبة الله تعالى:

النظر إلى الكون من زاوية الجمال يعرف الناظر إلى خالق الجمال، وتسعفك تلك المعرفة حين النظر إليها بعين البصيرة في معرفة الجمال المطلق والكمال المطلق المستفادين من شهادة آثار مصنوعاته، وإذا كان الجمال والكمال محبوبين لذاتهما عند العقلاء، فمالك ذلك الجمال والكمال إذن له محبة بلا نهاية لجماله وكماله المطلقين، لأنه لا يوافي غير المنتهي منتهيا، وتلك المحبة تظهر بوجوه عدة وأنماط كثيرة في المصنوعات؛ فيولي سبحانه مصنوعاته حبًّه لما يرى فيها من أثر جماله وكماله.[352]

٦– الجمال دليل الخالق ومرشد إلى معرفته :

الجمال صورة من صور الإحكام والتدبير، لهذا يستدل به على الخالق المدبر، وقد أرشد الفرقان الحكيم الخلق إلى الآيات الكونية التي سطَّرها قلمُ القدرة الإلهية على صحائف الكون

---

[350] الكلمات ٦٧٧

[351] انظر الكلمات ٦٨٥

[352] الكلمات ٦٨٥

الواسع ودبجها على أوراق الأزمنة والعصور. وهو الذي ينظر إلى الموجودات- التي كل منها حرف ذو مغزى - بالمعنى الحرفي، أي ينظر إليها من حيث دلالتها على الصانع الجليل. فيقول: **ما أحسنَ خلقه! ما أجملَ خلقه! ما أعظم دلالته على جمال المبدع الجليل. وهكذا يكشف أمام الأنظار الجمالَ الحقيقي للكائنات.**[٣٥٣]

٧- المناجاة بنظر الجمال:

تذوق الجمال والتدبر في أحواله الدالة على خالقه، سبيل معبدة للمناجاة العقلية والقلبية والروحية، إن النقوش الشاهدة والمتقنات الناطقة باسم خالقها، والمصنوعات الدالة على مبدعها، أجلى مرآة وأصفاها لعكس جمال مالك العالم ولطائف حسنه المنزه، وهو أفضل من أحب المؤمن وحببه إليه، كما حبب إليه الجمال، لهذا فمن البديهي أن يكون أحب مخلوق لدى الخالق الكريم الذي يحب مصنوعاته، ومَن يُظهر في ذاته لطائف الصنعة إظهارا كاملاً، ومن يعرفها ويعرِّفها، ومَن يحبِّب نفسه ويستحسن- بإعجاب وتقدير- جمال المصنوعات الأخرى.[٣٥٤]

ترشدنا تلك المناجاة المؤسسة على رؤية الجمال إلى رؤية حقائق الأركان الإيمانية، رؤية عين وبصر، تظهر الأشياء على حقيقتها، إنها كتابات صمدانية، ورسائل ربانية قدسية، ومرايا جميلة تعكس جمال الأحدية. مما أدخل السرور والفرح في قلوب جميع ذوي الشعور بل أبهج الكائنات كلها.[٣٥٥]

ثانيا: الوظيفة الأخلاقية للنظر الجمالي:

١ - الجمال والرقي المعنوي:

الرقي المعنوي والسمو الروحي الحقيقي في رسائل النور يتم بتوجيه من القلب، والسر والروح، والعقل، وحتى الخيال، وسائر القوى الممنوحة للإنسان، إلى الحياة الأبدية الباقية، واشتغال كلٍّ منها بما يخصّها ويناسبها من وظائف العبودية.المستفاد من النظر القلبي والعقلي

---

(٣٥٣) الكلمات ١٤٣

(354) انظر الكلمات ٦٩٠،٢٤٢، ٦٩١

(٣٥٥) الكلمات ٦٩٥

وسائر اللطائف الإنسانية التي تسوقها النفس المطمئنة، ويرشده ذلك النظر إلى جمال الكليات ولذائذها الباقية الخالدة، وفي ذلك أظهر وسيلة للرقي الروحي والمعنوي؛ إذ يدربه على التعلق بالمعالي والمعاني السامية، عوض التعلق بالأرض وما ترمز إليه من بهيمية ودونية، وبذلك يتميز عن ما يتوهمه أهلُ الضلالة من الانغماس في تفاهات الحياة والتلذّذِ بملذاتها الهابطة والانكباب على جزئيات لذاتها الفانية، مسخّرين القلب والعقل وسائر اللطائف الإنسانية تحت إمرةِ النفس الأمارة بالسوء وتسييرها جميعاً لخدمتها، فان هذا لا يعني رقياً قط، بل هو سقوطٌ وهبوط وانحطاط.[٣٥٦]

٢ – التربية على التكمل من خلال طلب الكمال:

بين الأستاذ في رسالة الاجتهاد أن الله اختار لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم لصحبته رجالا يمثلون أكمل البشر يمثلون قمة الكمال الإنساني، وقد جعل الله رسوله الكريم سببا في هاديتهم إلى أقوم السبل، فأحدث فيهم تحولا عظيما، اثر إيجابيا في نظرهم إلى الحياة في عناصرها المادية والمعنوية، فشمل أثره الفرد والمجتمع، ومن ذلك أنه ابرز جمال الخير والحق واظهر نصاعتهما الباهرة، وكشف عن خبث الشر والباطل وبيّن سماجتهما وقبحهما، حتى انجلى كل من الحق والباطل والصدق والكذب بوضوح تام، يكاد المرء يلمسه لمس اليد، وانفرجت المسافة بين الخير والشر وبين الصدق والكذب، ما بين الإيمان والكفر، بل ما بين الجنة والنار.[٣٥٧]

وإظهار جمال الصدق وبشاعة الكذب، يذكر البشر بالمركوز في نفوسهم، تيسيرا إلى إعادتهم إلى جادة الصواب، ومهما تغيرت الأمور، وتقلصت المسافة بين الكذب والصدق؛ فإن بشاعة الأول وجمال الثاني كافيين في لفت انتباه البشر إلى ضرورة إصلاح الأخلاق الاجتماعية بما ابعث من جمال معنوي من جمال الصدق؛ إن قبح الكذب مهما أخفي أو ستر فمآله الكشف، لأنه مرعب وقبيح، ولا يكشفه غير جمال الصدق ونصاعته الباهرة.[٣٥٨]

---

[٣٥٦] انظر الكلمات ٣٦٣

[٣٥٧] الكلمات ٥٧٤

[٣٥٨] الكلمات ٥٧٥

٣ – الجمال المادي والمعنوي والجمال الأخلاقي:

نعني بالنظر إلى الكون من زاوية الجمال، عدم شغل الذهن بغير الأشياء الجميلة، وذلك بقصر النظر على التفكير فيها، وبهذه الطريقة يقطع الناظر المتذوق الطريق دون أن يعاني الضيق الذي يلقاه الغافل عنها فضلا عن منكرها.

حصر التفكير في الأشياء الجميلة يأخذ بعنان الخيال في كل جميل لطيف، فيستأنس بنفسه، ولا يلاقي صعوبة ومشقة، ذلك أنه يمثل سبيلا معبدة لمعرفة النظام الكوني البديع، وبهذا يرى الأمور تسهل له، ويمضي حراً منطلقاً مستظلاً بالأمان والاستقرار.

أما الغافل عن تلك النظر الجمالية فلا ينشغل بغير مشاهدة الجيف الميتة و... وكل ما من شأنه إشعار الإنسان السوي بالغثيان والدوار. فغادره، وفي ذلك محاولة صناعة وعي مقلوب يؤثر على الأخلاق، بسبب تأثر نظرته إلى الأشياء بمقتضى تلك النظرة إلى الجمال.[٣٥٩]

إن النظر المتذوق للجمال يربي في الإنسان لطائف عظيمة ويثمن وجودها، والحفاظ على ذلك المسلك والسير فيه باستمرار يكسب الناظر دربة، تتحول بفعل الأيام والتكرر إلى ملكة النظر الجمالي؛ فيصبح القلب معلقا بالجمال الحقيقي المعنوي والمادي، وفي ذلك اكبر الأثر على الناحية الأخلاقية؛ فيرى أثره على التصرفات الاجتماعية، فيصبح حقيقا باسم الجمال الخلقي، لهذا أؤكد أن للنظر الجمالي في رسائل النور أثر في التجمل بالأخلاق، والتأسيس للجمال الأخلاقي الذي يعد جزء من الجمال المطلوب؛ فتلاحظ معنا أن النظر المتفكر والمتدبر في الجمال المتجلي في معرض مصنوعات (المادية والمعنوية) الله، يؤسس للجمال الأخلاقي، ذلك النمط الذي ترى آثاره في التصرفات الاجتماعية.

٤ – الجمال الأخلاقي والأسرة:

تذكر رسائل النور أن النظرة الجمالية تستغرق جميع مظاهر التعامل مع عناصر الكون المادية والمعنوية، ذلك أن إنعام النظر المستمر على النواحي الجمالية من الأشياء، يكسب صاحبه ذوقا جماليا، يرى أثره على التصرفات الاجتماعية، ومن ذلك أن يرى أثرها في العظيم في الترابط العاطفي بين أفراد الأسرة، وتؤتي فعاليتها إذا ربطت بالجمال الذي لا يزول، جمال

---

[٣٥٩] المكتوبات ٣٣

الأخلاق بل كلما طال الزمن زاد ذلك الجمال وتلألأ وعمت آثاره كل أفراد الأسرة، أما لو ربط الأمر بالجمال الظاهري؛ فإنه يفضي إلى التنافر كلما زادت الأيام، ذلك أنه إلى زوال، لهذا كان التعلق بالفاني الوقتي من الجمال ليس تعلقا بالجمال بل تعلقا بالمنفعة.

يقول الأستاذ – رحمه الله –: "إن محبة الزوجة وهي رفيقة حياتك، فعليك بمحبتها على أنها هدية أنيسة لطيفة من هدايا الرحمة الإلهية. وإياك أن تربط محبتك لها برباط الجمال الظاهري السريع الزوال، بل أتوثقها بالجمال الذي لا يزول ويزداد تألقاً يوماً بعد يوم، وهو جمال الأخلاق والسيرة الطيبة المنغرزة في أنوثتها ورقّتها. وان أحلى ما فيها من جمال واسماه هو في شفقتها الخالصة النورانية. فجمال الشفقة هذا، وحُسن السيرة يدومان ويزدادان إلى نهاية العمر. وبمحبتهما تُصان حقوق هذه المخلوقة اللطيفة الضعيفة، وألا تفقد حقوقها في وقت هي أحوج ما تكون إليها، بزوال الجمال الظاهري."[٣٦٠]

و يؤكد المعنى نفسه في قوله رحمه الله: " أما محبتك لزوجتك وهي رفيقة حياتك، فلأنها قد أسست على حُسن سيرتها وطيب شفقتها، وكونها هبة من الرحمة الإلهية، فستوليها حباً خالصاً ورأفة جادة، وهي بدورها تبادلك هذه المحبة مع الاحترام والتوقير، وهذه الحالة تزداد بينكما كلما تقدمتما في العمر، فتقضيان حياة سعيدة هنيئة بإذن الله.. ولكن لو كان ذلك الحب مبنياً على جمال الصورة الذي تهواه النفس، فانه سرعان ما يخبو ويذبل، وتفسد الحياة الزوجية أيضا."[٣٦١]

---

[٣٦٠] الكلمات ٧٦٥

[٣٦١] الكلمات ٧٧١

حقيقة الجمال وتجلياته
عند بديع الزمان النورسي

أ.د.ميمون باريش
جامعة القاضي عياض
مراكش

١/ تــوطئــة:

الجمال عموما هو الحسن والبهاء، وهو عند بديع الزمان النورسي اسم مـــن أسمـــاء الله الحسنى، وصفة من صفاته العلى[٣٦٢]، ومن ثمة فهو بحمولته الدلالية يناسب المقام من حيث هو جمال مطلق، ومقدس، ومتعال، ومنـــزه، وسرمدي...[٣٦٣]، وهو جمال لا يقبـــل الـــزوال والفناء، بل يزداد تألقا بتألق الموجودات، وتجددا بتجدد الكائنات، واستمرارا باستمرار الحياة، إنه بكلمة جامعة: "نور الأزل والأبد"[٣٦٤]... إنه جمال حقيقي زاهر، ونور معنوي باهر يبعث على الإعجاب[٣٦٥]، إنه جمال ممتد لا حدود له، وكامل لا قصور فيه، ومجرد سامٍ لا مثيل له، ولا شبيه ولا نظير له على الإطلاق[٣٦٦]، وهو أيضا متجل ببهاء، وغير محجوب بحجاب[٣٦٧]، وهو جمال يأبى التشوه ويتعالى عن القبح، إنه جمال ساطع في منتهى السطوع، وحُسن لامع في

---

[٣٦٢] الكلمات، ص٩٠، ص١٠٩ / الشعاعات، ص٤٢.
[٣٦٣] الكلمات، ص٧٠، ص٦٦٤، ص٨١٧ / اللمعات، ص٥٩٧ / الشعاعات، ص٤٢.
[٣٦٤] اللمعات، ص٣٩٣.
[٣٦٥] المثنوي، ص٤١٧.
[٣٦٦] الشعاعات، ص٨٩، ص٩٣ / اللمعات ٥٣٠.
[٣٦٧] الكلمات، ص٧١، ص٦٠٩ / المثنوي العربي، ص٨٨، ص٩٢.

قمة اللمعان[٣٦٨]، وهو جمال في غاية اللذة والمتعة، تشتاق الأنفس لرؤيته، وتتلهف الأذواق للاستمتاع به، فإذا نُظر إليه مسّ أعمق الأوتار وأشدها حساسية، فهزّ طبقات العشق هزا[٣٦٩]، إنه محبوب لذاته بذاته[٣٧٠]، إنه جمال دائم بدوام تجلياته على مرِّ الفصول والعصور والأدوار، وبدوام الإنعام على مر الأنام والأيام والأعوام. وهو جمال بديع خالد أبدي باق يقتضي خلود عشاقه، وبقاء مشتاقيه، وديمومة محبيه[٣٧١]، لعَدم رضاه بما هو زائل آفل[٣٧٢].

فهو بكلمة جامعة تجل من تجليات اسم الله الأعظم، وقانون من قوانينه: إنه "قانون التحسين والجمال"[٣٧٣]، إنه نعمة مهداة تستوجب الشكر والعرفان[٣٧٤]..

٢/ تجليات الجمال الرباني عند الإمام النورسي:

ينطلق الإمام النورسي في الكشف عن تجليات الجمال الرباني من مسلّمة عقدية مضمنها أن الله تعالى جميل فلا يتصور أن يصدر منه إلا ما هو جميل[٣٧٥]، ولهذا فإن المرايا العاكسة لجماله تعالى أكثر من أن تحصى: فمن جمال الربوبية إلى جمال الألوهية إلى جمال الذات والأسماء والصفات، إلى جمال الغيبيات إلى جمال النبوات إلى جمال دقة الصنع وإتقانه في المخلوقات...[٣٧٦] وتفصيل ذلك الآتي:

٢،١/ تجليات الجمال في الأسماء والصفات:

فأما تجلي الجمال في الأسماء والصفات، فإن الإمام النورسي يؤكد أن التوحيد بمفهومه العقدي الواسع مرآة تعكس بجلاء تام أنوار الجمال الإلهي، والحسن الرباني، والبهاء الرحماني،

---

(٣٦٨) الكلمات، ص٧٦، ص١٤٢.
(٣٦٩) الكلمات، ص٢٤٣.
(٣٧٠) الكلمات، ص٦٨٥ / المثنوي، ص٤١٧ / المثنوي، ص٢٤٨.
(٣٧١) الكلمات، ص٦٠٩، ص٨٤٣.
(٣٧٢) الكلمات، ص٥١، ص٧٢ / اللمعات ٥٩٨ / المثنوي العربي،ص٨٨، ص٩٢.
(٣٧٣) الكلمات، ص٦٦٢. يقول:«إن القوانين السبعة السابقة، أي: قانون الربوبية، وقانون الكرم، وقانون الجمال، وقانون الرحمة، وقانون الحكمة وقانون العدل، وقانون العلم المحيط.. وأمثالها من القوانين العظمى، يلوّح كلٌ منها من طرفٍ ما ينكشف منه، اسمَ الله الأعظم، وتجلٍ أعظم لذلك الاسم الأعظم».
(٣٧٤) اللمعات، ص٣٠٦.
(٣٧٥) الشعاعات، ص٨٨.
(٣٧٦) اللمعات، ص٥٣٧.

والكمال الصمداني... فكل ذلك لا يشاهد إلاّ في تلكم المرآة الناصعة مرآة التوحيد، يقـول: «إن الجمال الإلهي، والكمال الرباني، يظهران في التوحيد وفي الوحدانية، ولولا التوحيد لظل ذلك الكنـز الأزلي مخفياً»[٣٧٧]، وكلمة التوحيد جاءت في كلامه مطلقة لتستغرق جميع أنواع التوحيد بما في ذلك: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والذات والصـفات، فالله تعالى الذي لا إله إلا هو، الرحمن الرحيم، الخالق المصور، البارع الغفار البديع، الـودود اللطيف الخبير، الحليم العلي العظيم، الجليل الحكيم الكريم، الواجد الماجد، الواحد الصـمد، الذي "ليس كمثله شيء" على الإطلاق، ذو الجلال والإكرام، في كل اسم من أسمائه وفي كل صفة من صفاته تجلٍ من تجليات جماله وجلاله وكماله... فالعظمة تجل من تجليات الجمـال، والقدرة تجل من تجليات الجمال، والرحمة تجل من تجليات الجمال، والشفقة تجل من تجليـات الجمال، والمحبة تجل من تجليات الجمال... والعلم والنعمة، واللطف والكرم والتحنن والحكمة والمغفرة والعدالة كلها تجليات للجمال الرباني[٣٧٨]، وكل ما يتعلق بالله تعالى من أسماء حسنى وصفات مقدسة، وأفعال غير متناهية تشهد بداهة، شهادة حق، على الجمال المقدس للـذات الإلهية المقدسة، ومن ثمة فإن كل أسماء الله تعالى أسماء جمالية وكمالية تقتضي إظهـار جمالهـا بالأوضاع الجميلة للموجودات[٣٧٩]... إذ في كل اسم من الأسماء الحسنى، وفي كل صفة من الصفات العلى آلاف من مراتب الإحسان والجمال، وفي كل مرتبة من هذه المراتـب مـا لا ينحصر من طبقات الحسن والجمال والحقائق الجميلة[٣٨٠]. إذ من مراتب الجمال الرباني مـا تدركه الأعين بمجرد النظر إلى نتائجه وتأمل المخلوقات في إطار ربوبية عامة، ومنهـا مـا لا تدركه العقول القاصرة والحواس المجردة، وإنما تدرك بإخبار من الوحي أو هي مما استأثر الله بعلمه في إطار ربوبية خاصة[٣٨١]، وفي بيان هذا المعنى يقول الإمام النورسي «إن تجلي ذلـك الحُسن الباهر المنـزه، وذلك الجمال الزاهر المقدس يشير إلى كنوز كثيرة خفية موجـودة في الأسماء الحسنى، بل في كل اسم منها»[٣٨٢].

---

[٣٧٧] الشعاعات، ص٨.

[٣٧٨] الكلمات، ص٧٥٢.

[٣٧٩] الشعاعات، ص١٨٨ / اللمعات، ص٨٨.

[٣٨٠] الكلمات، ص٧٦٢ / اللمعات، ص٥٦٨.

[٣٨١] المكتوبات، ص٤٩٠.

[٣٨٢] الكلمات، ص٧٧.

فكل الألسن المادية والمعنوية تنطق بأصوات متفاوتة، وبلغات متنوعة قائلة: إن الجمـــال الحق في عظمة ربوبية الله تعالى وفي عظمة ألوهيته[٣٨٣]: فجمال الربوبية يتجلى في دقة الخلق، ومنتهى الانتظام، وغاية الإتقان، وبراعة الصنع...[٣٨٤]. وما من شيء في هذا الكون مهمـــا تنوعت أوضاعه الجمالية، فإن جماله مرهون بجمال أسماء الله تعالى: شـــرفا وسمـــوا ورفعـــة ونـــزاهة[٣٨٥]... وتذوق جمال الأشياء هذا من حيث هو نقوش وتجليات لجمال إلهي باهر لا يحصل إلاّ لخاصة الخاصة من أهل الحقيقة ممن يستشعرون جمالية الأسماء الإلهية[٣٨٦]، هذا عـــن جمال الربوبية؛ أما عن جمال الألوهية فيتجلى فيما يتسلسل عن الجمال الإلهي – من حيث هو أصل – من فروع تشريعية كالأمر والنهي، والثواب والعقاب، والترغيب والترهيب، والتسبيح والتحميد، والخوف والرجاء، وغير ذلك مما يدركه الفائزون ممن ظفروا بواسع رحمة الله تعالى، ولا سيما أولئك الذين نالوا أنواع رحمته الواسعة، وشفقته الرؤوفة، ومحبته غير المحـــدودة في الجنة الخالدة...[٣٨٧]

وبناء على ما سبق ذكره، فإن الرحيمية والحكيمية والعادلية والحفيظية والكريمية والمصورية وغيرها من متعلقات أسماء الله تعالى، وصفاته المقدسة كلها انعكاسات واضحة، وتجليات باهرة لجمال الربوبية، ولجمال الألوهية[٣٨٨]... وهذا التجلي إنما يكون بتسلسل منطقي بليغ بيّنـــه الإمام النورسي بقوله: «إن الجمال الذاتي والكمال الذاتي للصانع ذي الجلال، والحكـــيم ذي الجمال، والقدير ذي الكمال، يريدان الترحم والتحنن، فيسوقان اسمي الـــرحمن والحنـــان إلى التجلي. والترحم والتحنن يسوقان اسمي الرحيم والمنعم إلى التجلي، وذلك بإظهـــار الرحمـــة والنعمة معاً. والرحمة والنعمة تقتضيان شؤون التودد والتعرف وتسوقان اسمي الودود والمعروف إلى التجلي، فيظهران على المصنوع. والتودد والتعرف يحركان معنى اللطف والكرم ويستقرآن اسمي اللطيف والكريم، في بعض نواحي المصنوع. وشؤون اللطف والكرم تحرك فعلَي التـــزيين

---

[٣٨٣] الكلمات، ص٣٠٤.
[٣٨٤] الكلمات، ص٢٥٢.
[٣٨٥] الكلمات، ص٦٦٢.
[٣٨٦] الكلمات، ص٣٧١.
[٣٨٧] إشارات الإعجاز، ص٢٥ / الكلمات، ص٧٤٤.
[٣٨٨] الشعاعات، ص٩٠.

والتنوير فتستقرئ اسمي المزيّن والمنور بلسان حُسن المصنوع ونورانيته. وشؤون التزيين والتحسين تقتضي معاني الصنع والعناية وتستقرئ اسمي الصانع المحسن في السيماء الجميل لذلك المصنوع. وذلك الصنع والعناية تقتضيان العلم والحكمة فيستقرئ المصنوع اسمي العليم والحكيم في أعضائه المنتظمة الحكيمة. ولاشك أن ذلك العلم والحكمة تقتضيان أفعال التنظيم والتصوير والتشكيل، فيستقرئ المصنوع بشكله وبهيئته، اسمي المصوّر والمقدّر»[٣٨٩].

وخلاصة القول: فإن أسماء الله الحسنى وصفاته المقدسة مرايا ناصعة تعكس حسن ذات الله تعالى، وحسن أفعاله، وحسن مقاصده... وكل ذلك يدل بالدلالات المختلفة على الكمال المقدس لماهيته والجمال المنزه لحقيقته.

٢،٢/ تجليات الجمال في الجنة والنار:

إذا كانت أسماء الله الحسنى وصفاته العلى تجليات باهرة لجمال الله تعالى، فمن البَدَهي أن تكون أفعاله المنزهة مرايا تعكس جماله الخالد: سواء أفعاله المتعلقة بالحياة الدنيا أم الأفعال المتعلقة بالدار الآخرة. فأما تجليات جماله في الحياة الدنيا فهي أبْيَن من أن يُستدل لها لتعدد مراياها، وأما بالنسبة إلى الدار الآخرة فيكفي أن نذكر أن الموت يُعد – بما فيه من حكمة ورحمة ومصلحة وغير ذلك مما لا يراه كل الناس – تجل من تجليات الجمال الرباني[٣٩٠]، إذ ليس بعد الموت إلاّ الجنة أو النار، وكل منهما مرآة عاكسة لهذا الجمال: وبيان ذلك أن "**العدل**" اسم من أسماء الله تعالى، والعدالة صفة من صفاته العلى، وأنّ من ألزم صفات الحياة الدنيا صفتي العبور والزوال، وما كان عابرا فانيا زائلا فإنه لا يستحق أن يكون محلا للعدالة الإلهية الخالدة، لذلك كان لابد من جنة أبدية، ومن جهنم صرمدية للعادل الجليل ذي الجمال، وللحكيم الجميل ذي الجلال[٣٩١]... يقول بديع الزمان النورسي موضحا هذه المسألة: «فهذه العدالة تقتضي محافظة حشمة مالكيته، وربوبيته، بمحافظة حقوق عباده في محكمة كبرى؛ مع أن هذه الدار الفانية أقل وأحقر وأضيق وأصغر من أن تكون مظهرا لحقيقة تلك العدالة؛ فلابد

---

[٣٨٩] الكلمات، ص٧٥٢. .

[٣٩٠] الكلمات، ص٣٤١ / الشعاعات، ص٣٢٣.

[٣٩١] الكلمات، ص٧٠.

حينئذ لهذا الملك العادل والرب الحكيم ذي الجمال الجليل والجلال الجميل من جنة باقية وجهنم دائمة»[٣٩٢].

فالجنة مثلا، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من كل ما تشتهيه الأنفس من أنواع الزينة والحسن والجمال: ماديا ومعنويا[٣٩٣]، وهذا في ميزان العدالة الإلهية يناسب جمال طاعة المكلفين وأبهتها في الحياة الدنيا، وبذلك يكون الجزاء من جنس العمل، ومن ثمة يصدق القول عن الجنة إنها بجميع لطائفها وجمالها ونعيمها ما هي إلاّ تجل لإظهار جمال رحمة الله تعالى، ورحمة جماله[٣٩٤].

٣،٢/ تجليات الجمال في القرآن الكريم:

جمالية القرآن الكريم حقيقة باهرة لا تحتاج إلى استدلال، فيكفي أن يكون هذا الكتاب معجزا لتثبت جماليته: فجماليته ثابتة بنظم حروفه وكلماته وجمله وآياته؛ وجماليته ثابتة بتناسب سوره وتوازن حقائقه وموضوعاته، وجماليته ثابتة بآدابه وحِكمه وأمثاله وقصصه، وجماليته ثابتة بنور أحكامه وبواقعية تشريعاته التي اتسمت بالحسن وبالجمال، وعرجت بالإنسان إلى الرقي والكمال فكانت مدعاة للفخر والمباهاة[٣٩٥].

فالقرآن الكريم بما فيه من كتابات ربانية مقدسة رائعة، وما فيه من أوامر ونواهي وعظات وأخبار، وما فيه من آداب وأحكام... كل ذلك تجليات لجمالية الله تعالى المقدسة: عظمة، وقدرة، وإرادة، ورحمة، ورأفة، وعلما، وعدلا، وحكمة... مما يعبر عنه جمال الإعجاز في كل آية من آيات الذكر الحكيم، آيات أقل ما يمكن أن يقال عنها: إنها تبدد الظلمات الدامسة بنورها الوهاج[٣٩٦].

---

[٣٩٢] المثنوي العربي، ص٩١.

[٣٩٣] الكلمات، ص٧٧٦، ص٥٩٨ يكفي الجنة جمالا أن فيها حورا عينا كأنهن الياقوت والمرجان والتي يقول عنها الإمام النورسي إنها «مترفلات بسبعين حلة من حلل الجنة المتنوعة بأنواع لطائفها وزينتها، والمتجملات بسبعين نوعاً من أنواع الحسن والجمال حتى كأنهن جنة مجسمة مصغرة تنبض بالروح والحياة».

[٣٩٤] الكلمات، ص٧٦٢.

[٣٩٥] الكلمات، ص٥٦٨.

[٣٩٦] الكلمات، ص٥٠٦.

٣،٣/ تجليات الجمال في النبوة:

يذكر القرآن العظيم عن نبينا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم أنه خلق رحمة للخلق أجمعين، مصداقا لقوله تعالى {**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**}(الأنبياء:١٠٧)، ويكفي أن يكون خلق النبي صلى الله عليه وسلم وبعثته رحمة للعالمين ليقوم الدليل الناطق على أن هذا النبي مظهر الأنوار ومركز مدار الجلال، وقطب فلك الجمال[٣٩٧]؛ ذلك أن الله تعالى اختار محمدا صلى الله عليه وسلم ليكون مرآة - إلى جانب المرايا الأخرى - تعكس مطلق جماله، وتيسّر للخلق رؤية محاسنه وتبدي لهم لطائف حسنه، وهو ما تحقق فعلا مع نبينا الكريم الذي لبى إرادة الله تعالى، وأخلص في العبودية والمحبة، وامتثل في تبليغ الرسالة فكان بذلك مرآة شفافة تعكس الجمال الإلهي: ربوبية وألوهية وأسماء وصفات[٣٩٨]... وعن هذا يقول الإمام النورسي: «فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هو الذي أظهر أعلى مراتب العبودية... تلبية لإرادة الله في ظهور ألوهيته بمقتضى الحكمة... وهو أكرم دالّ على جمال في كمال مطلق لخالق العالم، وأفضل معرّف لبّى إرادة الله سبحانه في إظهار ذلك الجمال بوساطة مبعوث كما تقتضيه الحكمة والحقيقة... وهو كذلك... أعظم دالّ على كمال صنعة في جمال مطلق لصانع العالم، وهو أكمل من أعلن عن جميع مراتب التوحيد، فلبّى إرادة رب العالمين في إعلان الوحدانية على طبقات كثرة المخلوقات... هو كذلك - بالضرورة - أجلى مرآة وأصفاها لعكس محاسن جمال مالك العالم ولطائف حُسنه المنزه - كما تشير إليه آثاره البديعة - وهو أفضل مَن أحبَّه وحببَّه، فلبّى إرادته سبحانه في رؤية ذلك الجمال المقدس وإراءته بمقتضى الحقيقة والحكمة»[٣٩٩].

٤،٢/ تجليات الجمال في الآفاق والأنفس:

يذكر القرآن الكريم في معرض حديثه عن الخلق والخالق أن الآفاق والأنفس آيات بينات للموقنين وعلامات ساطعة على وحدانية رب العالمين، ودلائل باهرة على قدرته جل شأنه، وأن كتاب الله المنظور برهان قاطع على أن كتابه المسطور حق؛ فبالنظر إلى ملكوت

---

(٣٩٧) الكلمات، ص٣٧٤.
(٣٩٨) الكلمات، ص ٦٩٠ / المكتوبات، ص٣٩٣ / المثنوي العربي، ص٨٧.
(٣٩٩) المكتوبات، ص٢٧٧.

السماوات والأرض، وبالتفكر في الآيات الكونية، وبالتأمل في مملكة الإنسان والحيوان وكـــل ذي نفس، وباستكناه أسرار ذلك كله، وباستبطان حقائق الكون والحياة تُدرك حقيقة الربوبية، ويزداد إيمان المخلوق بالخالق، ويتوطد تعلقه بالوحي، قال تعالى {**سَنُريهِمْ آيَاتنَا في الآفَــاق وَفي أَنفُسهِمْ حَتَّى يَتبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَــمْ يَكْــف بربِّــكَ أَنَّــهُ عَلَــى كُــلِّ شَــيْءٍ شَهِيدٌ**}(فصلت:٥٣)، وقال عز من قائل {**سَأُرِيكُمْ آيَاتي فَلاَ تَسْتَعْجِلُون**}(الأنبيــاء:٣٧)، وقال عزوجل {**وَفي أَنفُسكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ**}(الذاريات:٢١)... وإذا كانت الآفاق دلائــل وبراهين، فإنها في الوقت ذاته تشكل بمجموعها مرآة ناصعة لتعكس جمال الله تعالى وحسنه جل جلاله، إذ بنظر المكلف إلى مخلوقاته جل شأنه، وإلى زينة الموجودات والصنائع الجميلة اللطيفة، وإلى جميع المظاهر الجمالية التي على هذه الموجودات، يستشعر حقيقة الجمال الإلهــي الــذي تعكسه أسماؤه وصفاته وأفعاله..[٤٠٠][٤٠١]، وما أنواع الجمال الموجودة في كل المخلوقات، وفي جميع أنماط الممكنات، وفي شتى ألوان الكائنات، إلاّ ظل خافت وانعكاس ضعيف للجمال الرباني الكامل المتميز، بل هي مجرد تجليات، وإشارات، وأمارات، وعلامات علــى الجمــال المطلق، والمقدس، والمنـــزه، والمتعالي عن القصور، والمجرّد عن المادة، فجمال الإيمان، وجمال الحقيقة، وجمال النور، وجمال الروح، وجمال الصورة، وجمال الشفقة، وجمال العدالة، وجمال الرحمة، وجمال الحكمة... وغيرها من أنواع الجمال كل ذلك علــى اخــتلاف أشــكاله في الموجودات، ما هو إلا جزء يسير من الجمال المطلق الفسيح[٤٠٢]، فدلّ هذا بضرورة البرهان أن الذي سمي بهذه الأسماء أو وصف بهذه الصفات، والذي حوّل أسماءه وصفاته إلى أفعال مدركة، إنما يتمتع بجمال بلغ في الحسن والكمال مرتبة تعجز العقول المجردة عن تصورها. وعن هــذا يقول بديع الزمان النورسي «عندما ينظر إلى هذا الكون بنظر العبرة، يشعر الوجدان والقلب، بحدس صادق، أن الذي يجمّل هذه الكائنات ويزيّنها بأنواع المحاسن لا شك أن لــه جمــالا وكمالا لا منتهى لهما، ولهذا يظهر الجمال والكمال في فعله»[٤٠٣]، بحيث إذا نظرت إلى جزء

---

[٤٠٠] المكتوبات، ص٣٠٦.

[٤٠١] الكلمات، ص٣٧٢.

[٤٠٢] المكتوبات، ص٣٨٢ / الشعاعات، ص٤٢، ص٨٩.

[٤٠٣] الكلمات، ص٧٤٢. يقول في **المثنوي العربي**، ص٤٣٢: «فبالضرورة يوجد في الخالق ســبحانه مــن الحسن والجمال والكمال ما هو أعلى بدرجات غير متناهية وبمراتب مطلقة من عموم ما في الكائنات من الحسن والكمال والجمال».

صغير من جزئيات هذا الكون الفسيح تبين لك الجمال الرباني منقوشا عليه واضحا بيّنا، وإذا نظرت إلى مجموع جزئيات الكون تجلت أمامك أنظمة دقيقة وصنع بارع، حتى إن هذا الكون أشبه ما يكون بمملكة منسقة الأرجاء، أو بمدينة رائعة الجمال، أو بقصر منيف باذخ..[٤٠٤].

ولقد وفّق بديع الزمان النورسي في حسن توظيف صدق شاعريته، ونبل أحاسيس قريحته ورقة وجدانه ورهافة حسه وسلامة ذوقه وازدياد شوقه ونفاذ بصيرته للنظر إلى الكون نظـرة ملؤها الحكمة والاعتبار والتأمل والتدبر لتتبع آثار الجمال الرباني المنعكس في السماء بعلوهـا الخارق، وفي حركات ذرات الهواء بوظائفها المتنوعة، وفي الأرض المترامية الأطـراف بحلتهـا القشيبة، وفي الحيوانات والجمادات والنباتات والأشجار والأزهار والثمار، وحتى في تكـوير الليل والنهار، وفي تعاقب الفصول، واختلاف المواسم، وأمثالها مـن التصـرفات العظيمـة، والإجراءات الجليلة، والصور المدهشة، وكل ما ينتشر في هذا الكون من الموجودات العجيبـة البديعة الدقيقة الرائعة، والتي تعد في نظر أهل الكشف والحقيقة كتابة من الكتابات الإلهيـة، ورائعة من روائع الصنعة الربانية، ومعجزة من معجزات القدرة الإلهية، وخارقة من خـوارق الحكمة الصمدانية، بل هي بيان ثابت، وبرهان قاطع، ودليل صادع على جمال رباني معنوي سرمدي كدلالة ضوء النهار على وجود الشمس[٤٠٥]... يقول رحمه الله تعالى إنه «من أمحل المحال أن يكون هذا الكون من غير مبدع، حيث إن هذا الكون كتاب على نحـو عظـيم، تتضمن كل صحيفة فيه كتبا كثيرة، لا، بل كل كلمة منها كتاباً، وكل حرف منها قصيدةً.. فوجه الأرض صحيفة، وما أكثر ما فيها من كتب! والشجرة كلمة واحدة، وما أكثر ما فيها من صحائف! والثمرة حرف، والبذرة نقطة.. وفي هذه النقطة فهرس الشجرة الباسقة وخطة عملها. فكتاب كهذا ما يكون إلا من إبداع قلم صاحب قدرة متصف بالجمـال والجـلال والحكمة المطلقة»[٤٠٦].

ليس هذا فحسب، بل إن جمالية الكون عند النورسي لم تكن محل صدفة، ولم تخلق هزلا وعبثا، بل إنها صدرت عن إرادة ربانية شديدة، وقصد إلهي كبير، وحكمة صمدانية بليغـة،

---

[٤٠٤] الكلمات، ص٨٢١.

[٤٠٥] الكلمات، ص٦٥٤، ص٣٧٧، ص٧٤٢.

[٤٠٦] الكلمات، ص٦٠، ص٦٩١.

لإضفاء الحسن والجمال على الكائنات، ومنح الموجودات أنواعاً من الكمالات ومن ثمة فهي دليل حسي وبرهان معنوي على العناية الربانية بهذا الكون... وإلى هذا يشير قوله في "الكلمات": «يجد المتأمل في هذه المصنوعات المبثوثة في الكون أن فيها فعل التحسين في منتهى الجمال، وفعل التزيين في منتهى الروعة، فبدهي أن مثل هذا التحسين والتزيين يدلان على وجود إرادة التحسين وقصد التزيين لدى صانع تلك المصنوعات، فتلك الإرادة الشديدة تدل بالضرورة على وجود رغبة قوية سامية ومحبة مقدسة لدى ذلك الصانع نحو صنعته»[٤٠٧].

وخلاصة القول، فإن بديع الزمان النورسي – كغيره من أهل الحقيقة – نظر إلى الكون على أنه قصيدة بليغة دُبّجت بقلم رفيع فتجلت فيه محاسن الجمال المعنوي ولطائف الحسن الخفي المنقطع النظير واللامتناهي، وهو بذلك يلتقي في هذا التصور مع الإمام الغزالي في مقالته الشهيرة "مقالة الأبدعية"، وملخصها«ليس في الإمكان أبدع مما كان»[٤٠٨].

هذا عن الكون وما فيه من آفاق، وأما عن الأنفس فإن "النفس الإنسانية" – في نظر الإمام النورسي – صنع غريب، وتدبير رهيب، وتكوين عجيب، وهي طاقة عظمى من طاقات البناء والإعمار، ومصدر خصب من مصادر الجمال في هذا العالم[٤٠٩]، فما فيه من الأجزاء المتناهية في الصغر، وما فيه من دورات مائية ودموية وغذائية، وما فيه من أجهزة مختلفة لخدمات متنوعة: كالجهاز التنفسي، والجهاز الهضمي، والجهاز البولي، والجهاز التناسلي... وما يتضمنه جسمه الصغير من حواس: كالسمع والبصر والشم واللمس والذوق، وما تنطوي عليه نفسه من دوافع الخير والعدل والحب والرفق والرأفة ... كل ذلك دليل على حسن تدبير ما في هذا

---

[٤٠٧] الكلمات، ص٦٩١.

[٤٠٨] هذه المقولة تكررت كثيرا في كليات رسائل النور معزوة إلى قائلها؛ وفي توضيحها يقول الإمام الغزالي «كل ما خلقه الله تعالى من السماوات والأرض إن رجعوا فيه البصر وطولوا فيه النظر ما رأوا فيه من تفاوت ولا فطور ، وكل ما قسم الله تعالى بين عباده.. فكله عدل محض لا جور فيه، وحق صرف لا ظلم فيه، بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي، وكما ينبغي، وبالقدر الذي ينبغي، وليس في الإمكان أصلا أحسن منه، ولا أتم ولا أكمل. ولو كان وادخره مع القدرة، ولم يتفضل بفعله، لكان بخلا يناقض الجود، وظلما يناقض العدل، ولو لم يكن قادرا لكان عجزا يناقض الإلهية»، انظر: إحياء علوم الدين٥/١٠٨.

[٤٠٩] المثنوي العربي، ص٩.

الجسم، ودقة تنظيم شؤون هذه النفس، وهو تجل بسيط من تجليات جمال الخالق المـــدبر[٤١٠]، فالإنسان مرآة أخرى من المرايا العاكسة للجمال الإلهي، إذ «الإنسان خُلـــق ليكـــون فاتحـــا وكاشفا مريئا، وبرهانا نيّرا، ودليلا مبصّرا، ومعكسا نورانيا، وقمرا مستنيرا للقـــدير الأزلي، ومرآة شفافة لتجلي الجمال الأزلي»[٤١١].

خـــاتـــمة:

وختاما أقول: إنه بذكر الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وبالتدبر الأمثل لكتابـــه العزيز، وبالتفكر المجرد في الآفاق، وبالتأمل القاصد في الأنفس... يقف المكلف أمام زخم من المرايا العاكسة للجمال الإلهي السرمدي... جمال يحمل المخلصين على اتباع الصراط المستقيم، ويزيد أهل الحقيقة تعلقا بالخالق الجميل، وأهل الإيمان إيمانا بربهم الجليل لينطبق عليهم جميعـــا قوله تعالى {**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**} (آل عمران: ١٩١).

---

[٤١٠] الكلمات، ص٨٢١.

[٤١١] المثنوي العربي، ص٣٠٣.

الرؤية الجمالية وأبعادها الوظيفية

في رسائل النور

الدكتور عبد السلام أقلمون

"إن جميع أنواع الجمال الموجود في هذا الكون وجميع أنماطه وألوانه، إنما هو تجليات وإشارات وإمارات جمال مقدس عن القصور ومجرّد عن المادة تتجلى من وراء عالم الغيب بوساطة أسماء. ولكن كما أن الذات الإلهية المقدسة لا تشبه أبدا أية ذات أخرى، وأن صفاته تعالى جليلة منــزهة كلياً عن صفات الممكنات. كذلك جماله المقدس أيضا لا يشبه جمال الممكنات وليس كحسن المخلوقات قطعاً. بل هو جمال سام عال رفيع منــزه مقدس مطلق"(٤١٢)

١– مقــدمــة:

تتخذ الكتابة في رسائل النور أبعادا متنوعة تتجاوب مع تنوع الظاهرة الإنسانية في تعالقها بالظاهرة الكونية. لكنها ترجع مرة أخرى لتتوحد في مصدرية التحليل التي تلتصق برؤى القرآن الكريم وتستهدي بها في فك شفرات الإنسان والكون والعلاقة بينهما. ومن الموضوعات الهامة التي تجلي اجتهاد رسائل النور في اجتراح قواعد عملية لهداية السلوك الإنساني– وفق مقتضيات تشريعية غير متناهية الكمال — موضوع الجمالية. موضوع تتعدد مداخل تناوله بعدد مفردات التجسيد التي يتجلى بها، لكنها في نهاية المطاف ترجع إلى أصل واحد: الجميل ذو

---

(٤١٢) الشعاع الرابع ، ص٨٩.

الجلال.

إن الرؤيا الجمالية من خلال رسائل النور تمتد إلى مفردات الحياة الإنسانية لتلحمها بذلك القدر من العناية واللطف الذي شاء إخراج آياته الحسية في حلل من الآيات المعنوية، فكانت محصلة الجميع آيات من الجمال الحسي مفعم بآيات من الجمال المعنوي مفعم بآيات من جمال الإحساس بهما.

وهذه أمور جعلت للجمال عند بديع الزمان وظيفة ومقصد، فهو ليس مهرجان بهرجة لا دليل لشيء تحته، ولكنه ألوية هداية وألسن حق كثيرة تنادي بأحلى بيان وأجمل صوت.

ولعل الإنسان مدعو في إطار ربانيته، أن يتوسل نفس السبل ويسلك نفس المسار عند إبداعه للأشياء وصناعته للحاجات. فهو مدعو إلى أن يحرص على التجميل والتزيين ليزيد نفوذ الإحساس بالأشياء ويتقوى نشاط شكر الواهب المتفضل.

"انه محال أن يكون كتاب بلا كاتب، ولا سيما كتاب كهذا الذي تتضمن كل كلمة من كلماته كتاباً خُطّ بقلم دقيق، والذي تحت كل حرف من حروفه قصيدة دُبجت بقلم رفيع. وكذلك من أمحل المحال أن يكون هذا الكون من غير مبدع، حيث إن هذا الكون كتاب على نحو عظيم تتضمن كل صحيفة فيه كتباً كثيرة، لا بل كل كلمة منها كتاباً، وكل حرف منها قصيدةً.. فوجه الأرض صحيفة، وما أكثر ما فيها من كتب! والشجرة كلمة واحدة، وما أكثر ما فيها من صحائف! والثمرة حرف، والبذرة نقطة.. وفي هذه النقطة فهرس الشجرة الباسقة وخطة عملها. فكتاب كهذا ما يكون إلا من إبداع قلم صاحب قدرة متصف بالجمال والجلال والحكمة المطلقة. أي أن مجرد النظر إلى العالَم ومشاهدته يستلزم هذا الإيمان، إلا مَنْ أسكَرته الضلالة!".(٤١٣)

٢- وظيفة التدليل في الجمال

يمكن النظر إلى الكون جملة واحدة على أنه لوحة تعرض بديع الصنع الإلهي، ويمكن أيضا تجلية مقادير هائلة من الجمال الباهر في كل مفردة من مفرداته البديعة، إنسانه ونباته وجماده... مع تعدد الإشارات بتعدد اللوحات، وتعدد المعاني بتعدد المباني.. لكن الدلالة واحدة والتأشير

---

(413) الكلمة العاشرة - ص: ٦٠

متوحد الجهة:

"ثم إن هذه الموجودات العجيبة البديعة الدقيقة الرائعة المنتشرة في هذا الكون تدل بوضوح –كدلالة ضوء النهار على وجود الشمس – على محاسن الجمال المعنوي الذي لا مثيل له، وتريك كذلك لطائف الحسن الخفي الذي لا نظير له. وإن تجلي ذلك الحُسن الباهر المنـــزه، وذلك الجمال الزاهر المقدس يشير إلى كنوز كثيرة خفية موجودة في الأسماء الحسنى، بل في كل اسم منها".(٤١٤)

وتقتضي الحكمة الربانية في منظور بديع الزمان، التلازم بين الصنعة والتدليل عليها. لأن التدبير الإلهي يقتضي أن يعطف العباد بكل الوسائل إلى الإحساس بكماله وجلاله من خلال المشاهد الكثيرة. فالجمال في الكون وسيلة لاستثارة الحس وتنبيه الإدراك للبحث في أسرار المظاهر المتجلية بأحسن زينة، للوصول إلى الجواهر المستترة بألطف قدرة. وتوحيد المبدأين هو الذي يربط بين الشهود والغياب وبين الدنيا والآخرة وبين الإنسان وربه:

"إن الكريم ذا الجمال يعرّف نفسه ويحبّبُها إليك بهذا الحشد من الألسنة التي لا تعد ولا تحصى، وإن أردت أن تصرف نفسك عن ذلك التعريف، فما عليك إلا أن تكمم جميع هذه الأفواه، وتسكت تلك الألسنة كافة".(٤١٥)

فكل هذا الاحتشاد الجمالي إنما يراد به أن ينطق بلغة واحدة تعريفا بالمبدع. فالجمال في الأشياء والأحياء هو وسيلة "إشهارية" للتعريف بالمنتوج الإلهي وبالجودة اللازمة لإبداعه سبحانه:

"ولا يمكن كمال صنعةٍ في غاية الجمال بلا تشهير بواسطة دلال ينادي عليه..".(٤١٦)

إن هذا الجمال في الكون رسالة شديدة الدلالة والعمق، بديعة الصنعة والتركيب، بما يجعلها رسالة مشفرة بأنواع كثيرة من الرموز والعلامات، لكنها في نفس الوقت قابلة للقراءة، وممكن فك شفراتها بيسر لمن توفرت لديه الإرادة، فالإنسان زوّد بكل الأدوات التي تمكنه من

(414) الكلمة العاشرة - ص: ٧١

(٤) الكلمة الثالثة والثلاثون – ص: ٨٠٥

(416) المثنوي العربي النوري - ص: ٨٧

قراءة تلك الرسالة وتفكيك تلك الرموز والعلامات:

"ثم النظرُ باستحسان بالغ إلى زينة الموجودات والصنائع الجميلة اللطيفة التي فيها والتحببُ لمعرفة الفاطر ذي الجمال والتلهّفُ إلى الصعود إلى مقام حضورٍ عند الصانع ذي الكمال ونيل التفاته الرباني".[٤١٧]

الجمال دليل إلى الله ولسان ناطق عن مدى عناية المبدع بخلقه وتلطفه بهم

الجمال تسخير لتستأنس المخلوقات بعضها ببعض

الجمال الظاهري دليل جمال الباطن وجمال الشكل يهدي إلى جمال المعنى

لكن الغريب أن تؤسس الحضارة علم الجمال على معرفة الجمال الظاهري وتذوق المحاكاة دون أن تبذل أي مجهود لمعرفة الجمال الحقيقي الجمال المصدري، الذي يتنادى الكون كله بعطف الأعين والآذان والأفئدة إلى أسراره. وفي حين تخزن المتاحف مدخرات من الرسوم والألوان والتشكيلات.. المائية والزيتية، والتشكيلية، والنحتية – ونحن لسنا ضد ذلك كما سيأتي–... لا تلتفت إلا ناذرا إلى محفل التشكيل الكوني، وألوان العالم، ورسومه وأبهائه... التي تسد الآفاق كلها من حول حواس الإنسان ومشاعره.

و لم تكتف الحضارة بذلك بل :

" ملّكت الجمال في المخلوقات، والحُسن في صورها، إلى المخلوق نفسه، وإلى الصورة نفسها، متناسية نسبة ذلك الجمال إلى تجلي الجمال المقدس للخالق الجميل والحُسن المنـــزه للمصور البديع، فتقول: "ما أجملَ هذا!" بدلاً من أن تقول: "ما أجمل خلقَ هذا "! أي: جعلت ذلك الجمال في حكم صنم جدير بالعبادة!".[٤١٨]

وهكذا تحقق هذا القدر من الجحود العاطفي لآيات الحسن، بتوجيه المشاعر وما تنطوي عليه من استعداد للتفاعل معها، إلى الانشغال بالجمال الظاهري دليل جمال الباطن وجمال الشكل الهادي إلى جمال المعنى.

وفي هذا السياق تبرز قيمة الجهد الذي يبذله النورسي ليدفع الإنسان إلى إعادة الإحساس

---

(417) الكلمة الثالثة والعشرون - ص: ٣٧٢

(418) الكلمة الثلاثون - ص: ٦٤٣

بقيمه الوجودية وأشكال العلاقة التي ينبغي إقامتها مع الكون. فلا يحسن بمن عرضت عليه آيات الله في هذه الحلل من آيات الجمال، أن يقابلها بالإعراض والعمى الطوعي. كما لا يجمل به أن يستبدل عشق ما تنطوي عليه من دلالات ، بالبحث عن بدائل دونية – صور ولوحات وأيقونات... – تحقق إشباعا زائفا لما زودت به المدارك من أشواق التطلع إلى الجمال؛ بل ينبغي أن تكون تلك الصور واللوحات والأيقونات... اجتهادا لملامسة الجمال الحقيقي وتقريبه من العواطف والوجدان.

٣ – قانون التحسين والتجميل رؤيا مقاصدية:

يستمد الخطاب الفكري عند النورسي عمقه من الاستلهامات الحيوية التي تجعله قادرا على استنباط القواعد. إنه لا يكتفي بالدعوة إلى قراءة الكون بل يقوم هو نفسه بهذه القراءة ويستعرض نتائجها. ومن هذه النتائج توصله إلى ما يسميه *قانون التحسين والتجميل*. وهذا التأمل من شأنه أن يتعدى بنتائجه تحليل الدلالات التي ينطوي عليها هذا القدر من الجمال الذي تلبست به الكائنات، إلى أن يصير دعوة للعقل المسلم أن يبادر إلى الانسجام مع مراد الله وطريقته في الصنع، فيحرص بدوره على تبني هذا القانون العظيم: *"قانون التحسين والتجميل"* .

"من هذه الحقيقة يظهر طرفٌ من قانون عظيم هو: " قانون التحسين والجمال ". [٤١٩]

إننا في أعمال النورسي بإزاء مداخل جديدة لتشكيل رؤيا إسلامية إيمانية تؤمن بالتحسين والتجميل، عوض أن تعتبر ما ينفق من جهود لتجويد المنتوجات كيفما كان نوعها عبثا وملهاة، أو لغوا من الأفعال لا أجر عليه ولا تقدير له. بينما تحسم الآيات القرآنية في بيان الأعمال المضمون أجرها البين تقديرها من الله؛ وهي الأعمال التي تراعى فيها أنظمة الجودة والتحسين:

{إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً} (الكهف:٣٠)

فالعمل قد يضيع أجره إذا ضاع نفعه، لكن العمل الأحسن لا يضيع أجره لأنه لا يضيع نفعه. وبذلك تنطوي الآيات التي يستكشف النورسي مخزونها النفعي على ما يشحذ الهمم للتجويد والتفاني فيه. ولا ينبغي التحجج بأن الدنيا فانية فالعمل فيها ينبغي بمقدار طبيعتها،

---

(419) الكلمة الثلاثون - ص: ٦٦٢

ذلك أن نتائج الأعمال موجهة إلى الدار الباقية. بل إن خالق الدنيا ومقرر فنائها سبحانه لم يخلقها خالية من آيات الحسن والتجويد. ولما كان لا يجوز قول ذلك في حق الباري سبحانه وهو الملهم إلى التزيين والتحسين والتجميل في كل آياته. امتنع القول بذلك في ما يصنعه الإنسان وينجزه.

وعلى هذا القانون أن يتحول إلى أنظمة عملية، تفعل بها قطاعات الإنتاج الإنساني اقتصادية كانت أم سياسية أم اجتماعية أم فنية... فعليها أن ترتقي إلى مستوى يتجاوز مجرد الإنتاج إلى التحسين والتجميل. وبذلك تتحصل لنا قاعدة نورية عظيمة يمكن أن نولدها من هذا السياق التحليلي وهي:

من المهم أن يكون الإنسان منتجا، ومن الأهم أن يكونا محسنا ومجملا ما ينتج.

ودائرة الإنتاج هنا تتسع لتشمل الأفعال والأقوال والسلع والخدمات.

لقد كان النورسي رحمه الله نبيها، شديد الحيوية في تفكيره محفزا بشيئين بارزين:

- استلهام المقصد الإلهي في دائرة الترشيد القرآني/القول الإلهي القرآني
- استلهام المقصد الإلهي في دائرة التطبيق الإلهي الكوني/الصنع الإلهي الكوني

وفيهما معا يستنبط أن التحسين غاية إلهية والتجميل مقصد رباني لا سبيل إلى المجادلة فيهما. بل يكفي أن يبذل الإنسان وسعه المطلوب من السعي العقلي والكدح الفكري لكي:

"يجد المتأمل في هذه المصنوعات المبثوثة في الكون أن فيها فعل التحسين في منتهى الجمال وفعل التزيين في منتهى الروعة، فبديهي أن مثل هذا التحسين والتزيين يدلان على وجود إرادة التحسين وقصد التزيين لدى صانع تلك المصنوعات فتلك الإرادة الشديدة تدل بالضرورة على وجود رغبة قوية سامية ومحبة مقدسة لدى ذلك الصانع نحو صنعته...".[٤٢٠]

هذا القصد والإرادة الإلهيين دليل الإنسان لبناء أنظمة الجودة — بلغة معاصرة – تمكنه بدوره من محبة مصنوعاته والاعتزاز بإخراجها في أحسن الصور وأجمل الأشكال. ومن شأن ذلك أن يخلق ثورة جديدة في الفكر الإسلامي المتحرج أحيانا من الجمال والجماليات بدون وجه حق.

فالتدبير الجمالي للملكوت وتسخير العدة الكثيرة لصناعة الجمال الدنيوي دليل على حاجة

---

[420] الكلمة الحادية والثلاثون - ص: ٦٩١

المسلمين إلى مراعاة التوافق مع شأن الحياة والانسجام مع مراد الله في التجميل والتجمل.

"هذه الزينة وهذا الجمال اللذان يستدعيان آلات تجميل متنوعة، ووسائل زينة كثيرة..."(٤٢١).

إن هذه الرؤيا المقاصدية تجعل الجمال هداية إلى الامتثال ودعوة ربانية عبر تألق الآيات إلى الالتحاق بالكون القدسي لمخلوقات الله الجميلة والاتصاف مثلها بتعابير الجمال والتزيي بلبوس الحسن وطرح أردية القبح في الأقوال والأفعال:

"وشؤون التزيين والتحسين تقتضي معاني الصنع والعناية وتستقرئ اسمي "الصانع المحسن" في السيماء الجميل لذلك المصنوع. وذلك الصنع والعناية تقتضيان العلم والحكمة فيستقرئ المصنوع اسمي "العليم والحكيم" في أعضائه المنتظمة الحكيمة. ولاشك أن ذلك العلم والحكمة تقتضيان أفعال التنظيم والتصوير والتشكيل، فيستقرئ المصنوع بشكله وهيئته، اسمي "المصوّر المقدّر"".(٤٢٢)

٥ – حركة الجمال بين حدي الإرسال والتلقي:

تتحدد صورة الجمالية في رسائل النور بأبعادها المقاصدية. فحكمة الله اقتضت إخراج هذا الكون في أحسن صورة وأبهج منظر. علما بأن بعض المكونات الطبيعية هي نار وجماد... قد تستعصي على الجمالية، لولا تدخل الإرادة الإلهية. فسوق الآيات الكونية معروض على العالمين بيسر ولطف. يجعل شكل العرض وطريقة التقديم مطلبا طبيعيا لتيسير الحياة الإنسانية وسلكها في هذه الحلل من الجمال التي لا يملك أحد أن يدفع تأثيراتها العميقة في نفسه. ويستوي في تلقي تلك المؤثرات المباشرة العالم والجاهل... لأنها رسائل تحاور الوجدان بنفس القدر الذي تحاور العقل. والوجدان ليس فيه أمية كما في اللغة. فكل من شملته أنوار الصباح بإشراقها، أو تخللته أطياف المساء بأنسامها، أو داعبته الطيور بأصواتها، أو غمرته الزهور بألوانها... فلا محالة سيقول "الله!" بلسان جوارحه، حتى لو جحد لسان عقله بقيمتها.

من ثم كان الكون رسالة أبرز لغاتها الجمال، والإنسان مدعو إلى تلقي تلك الرسالة وقراءتها والعمل وفق ما تحمله من معاني. وبذلك يتحقق قدر من التوافق والانسجام بين

---

(١٠) الكلمة الثالثة والثلاثون – ص: ٧٨٦

(422) الكلمة الثانية والثلاثون - ص: ٧٥٢

الإنسان ومحيطه الكوني. فالعلاقة بينهما بمقتضى الحدين: الإرسال والتلقي هي الانسجام والتناغم والتعاشق. وليس الصراع والتنافر كما يروج لذلك الماديون الغافلون عن معنويات الرسالة وجواهرها.

ويتحقق هذا الانسجام والتناغم وفق التكامل الطبيعي بين الحدين المشار إليهما. فالكون رسالة عديمة الجدوى إذا بقيت مستغلقة على معانيها دون تدبر إنساني. والإنسان جهاز معطل إذا لم ينجز وظيفته القرائية للكون. ولهذا كان الإنسان الحي بمعنى المستثمر الحقيقي لقيمة الحياة، بما هي نشاط تفاعلي مؤسس على تدبير المؤهلات الطبيعية التي شحن بها هذا الكائن حسيا وعقليا ووجدانيا. وإذا قعد عن ذلك الدور وسقط عن تلك المرتبة فهو إنسان معطل من وظائفه الحياتية الحقة، فهو كالأنعام بل هو أضل:

"فإن قابلت ذلك الجمال الباهر بجمال الإيمان وبجمال العبودية تكن أحسن مخلوق وفي أحسن تقويم ولكن إن قابلت ذلك الجمال بقبح الضلالة غير المحدود، وقبح العصيان البغيض، تكن أقبح مخلوق وأرذله، وأبغض مخلوق معنىً لدى جميع الموجودات الجميلة".(٤٢٣)

وهذا منطلق لقراءة الإيمان على أنه انسجام طبيعي مع الكون ووعي جميل برسالته الجميلة.

وتتمدد مناحي الجمال في الحياة الإنسانية لتستوعب كل المناشط التي تنفعل بالمقومات الحسية والحدسية التي يتمتع بها هذا المخلوق الكوني دون غيره.

فإذا أحسن هذا الكائن استعمال الآليات الطبيعية المبثوثة فيه لتحليل رسالة الكون الجمالية، وإذا توصل إلى تحليل الرسالة على الوجه الذي تهديه إليه مقاصد التحسين والتزيين في الكون فإنه لا شك سيصل إلى النتيجة المرجوة من إدراج الكون على هذا النحو التواصلي البديع من البارئ البديع ذي الجلال:

"إن أنواع الجمال الزاهر، وأشكال الحسن الباهر، التي تتلألأ على وجوه الكائنات السريعة الأفول، ثم تتابع هذا الجمال وتجدده بتجدد هذه الكائنات، واستمراره باستمرار تعاقبها.. إنما يظهر أنه ظِلٌ من ظلال تجليات جمال سرمدي لا يحول ولا يزول. تماماً كما أن تلألأ الحباب على وجه الماء الرقراق، وتتابع هذا اللمعان في تتابع الحباب يدل على أن الحباب والزبد

---

(423) الشعاع الرابع - ص: ٩١

والتموجات التي تطفو على سطح الماء إنما تمثل مرايا عاكسة لأشعة شمسٍ باقية.. فتلمّع أنواع الجمال أيضاً على الموجودات السيالة في نهر الزمان الجاري يشير إلى جمال سرمدي خالد، ويدل على أن تلك الموجودات إنما تمثل إشارات وعلامات على ذلك الجمال".[٤٢٤]

ومن هنا كانت الجمالية فلسفة تحفيز للعمل وفق مقتضيات الديمومة وليس القنوط بالزوال المعترض لحياة الأناسي والكائنات. فإذا طغت النظرة الجزئية العدمية– والعدم مرادف للقبح في فكر النورسي– فإن الإنسان سيتخلى عن إحدى أهم وظائفه الوجودية وهي "الإنتاجية" أو "العمل الصالح" وفق الأدبيات القرآنية. خصوصا ما يتعلق بمسائل الدنيا. لكن البهاء المحيط بالإنسان رسالة يفضي تفكيك شفرتها إلى أنه لا عدم هناك، ولكنه وجود أولي/جمال واصل، أعماله مدخرة لوجود نهائي/جمال حاصل أوالجمال المطلق. فالهمم مشدودة إلى تحقيق التواصل بين الجمالين؛ جمال يؤنس وجود الإنسان على الدنيا، ليستمتع بكدحه، ويعرف فضل مستضيفه في هذا الفندق البهيج المتراحب، ويؤدي ما عليه تجاهه من عرفان وشكر وتقدير. ثم جمال نهائي يكافئ على ذلك الشكر والتقدير والعرفان، ويخلد الإنسان في نعيم مقيم.

ولما كان العمل شرطا ضروريا لنيل المكافأة، وجب ألا يعتذر الإنسان بمحدودية مقامه– والأنانية قبح، فيما البذل والإيثار جمال– لأن نتائج أعماله في الدنيا يراد بها النوع الإنساني كله، وليس الفرد الواحد. فيكون البذل موصولا لصالح الإنسانية كلها، وحماية ما يحيط بها من جمال طبيعي من أن تناله عوارض القبح الصناعي فتفسد على الإنسان تواصله الجذاب مع محيطه وعشقه للمحضن الجميل الذي هو هذه الأرض. ولعل هذا الوعي مفيد في خلق سياسة بيئية أوسع بكثير مما تسعى فيه المنظمات العالمية مشكورة حتى الآن. [٤٢٥]

٦– التكامل الوظيفي بين مجالات الجمالية :

---

(424) الكلمة الثالثة والثلاثون - ص: ٨١٧

[١٤] يحتاج موضوع البيئة في رسائل النور إلى جهد خاص تبذله طائفة من الباحثين لاستخراج ما تنطوي عليه دعوات النورسي المرشدة بآيات القرآن الكريم وأضواء معانيها. لترسخ في الفكر الإسلامي المعاصر أهمية النظافة والتزيين والصيانة... على مستوى الأفراد والبيوت والمجتمعات. ثم لكي يدلي الفكر الإسلامي بدلوه في معركة حماية البيئة مما تتعرض له من إتلاف ستكون نتائجه وخيمة على وجود الإنسان. فقد بينا أن البيئة جزء من خطاب تواصلي مع الإنسان بتقدير حكيم خبير .

إن المطلب الرئيس لرسائل النور، هو تفكيك رسالة الجمال ووعي معانيها عن الباري سبحانه. ثم تحقيق قدر من التلاؤم الفردي والجماعي مع تلك القيم الجمالية. حتى يكون الإنسان جميلا في مجتمع جميل في كون جميل. وإذا لم تتكامل عناصر الجمال وظيفيا بين تلك المكونات فسيظل القبح مطاردا للإنسان يشوه عليه منظوره وحياته.

إن بديع الزمان النورسي كان واعيا بالتكامل الوظيفي بين مناحي الجمال المتعددة، سواء من جهة إرسالها الكوني أو تلقيها الإنساني. كما أنه واع أيضا بأن الإنسان لا يتلقى أسرار الجمال الكوني من باب الفرجة والإمتاع فقط، بل من باب التتلمذ لإنتاج قيم الجمال الإنساني المناسبة لتلك القيم الكونية، والتي وحدها تسمح بالتعايش الأمثل بين الإنسان في دائرته الفردية الصغرى وفي دائرته الاجتماعية الوسطى وفي دائرته الكونية الكبرى. وكلها حلقات مدعوة للخضوع لجلال أسماء الله الحسنى التي بها يتدفق كل جمال ويتشكل ويتنوع:

"ومثلاً: جمال الإيمان وجمال الحقيقة وحُسن النور وحُسن الزهرة، وجمال الروح وجمال الصورة وجمال الشفقة وجمال العدالة وحسن الرحمة وحسن الحكمة.. كل نوع من أنواع هذا الجمال مختلف عن الآخر. كذلك جمال الأسماء الحسنى لجميل ذي جلال، هذا الجمال الذي هو جمال مطلق يختلف بعضه عن بعض، لذلك اختلفت أنواع الحسن والجمال في الموجودات لأجله".[٤٢٦]

ويمكننا أن نحدد بعض الدوائر الكبرى التي تمثل محاضن حيوية لحركة الجمال الإنساني في ثلاثة هي:

٦-١ الجمال الاجتماعي :

عادة ما يؤسس النورسي مواقفه على أسس وظيفية منسجمة مع تأملاته القرآنية، وفهمه لمقاصد الدين الإسلامي المبني على مصلحة الإنسان. لهذا فنظرته الجمالية تتعمق وظيفيا لتصبح مطلبا اجتماعيا لمراعاة الجمالية الإنسانية المتمثلة في العدالة. فلا يمكن للإنسان المفتقد للكرامة الاجتماعية أن ينتبه لهذه الأنوار التي تبهج الدنيا بسطوعها إذا كان: خاوي البطن أو خاوي الروح أو خاوي الفكر؛ فهذه كلها أشكال من العدم القبيح، تعدم في الإنسان حواسه الضروية للتفاعل مع الرسالية الجمالية. وتصيب حواسه بالتبلد والتعطل نظرا لفقرها إلى آليات الاشتغال

---

[426] الشعاع الرابع - ص: ٨٩

الطبيعي لرصد الجمال وتتبع إشاراته.

من ثم لزم على المجتمع أن يحمي أبناءه من كل هذه الأنواع من الفقر المدمر:

– الفقر المادي: وهو يجعل الإنسان منشغل بأول متطلبات وجوده الطبيعي، فلا يجد سبيلا إلى أن يرتقي بأحاسيسه وأفكاره وهو يصارع العدم. من هنا كان الحق في العيش الكريم من دخل فردي مقبول وسكن لائق وحق في التطبيب. مقدمة لبناء الجمالية الاجتماعية.

– الفقر الروحي: إذا لم ينتبه المجتمع إلى مطالب الروح وأشواقها، فإنه يتحول إلى عشيرة من المستهلكين لا يمكن إشباع حاجاتهم المادية إذ لا حدود لها. ثم يعيشون بآدميتهم السفلى، ويغرقون شقها العلوي في الوحل. هناك يضيع كل جمال ناشئ لا تحميه الروح العارفة الرضية المسددة.

– الفقر الفكري: إن الفكر هو الجهاز الحيوي الذي به يعرف الجمال وتحدد مصادره، وتدرك غاياته. وعلى الأمة أن تطلب العلم والقراءة كما تطلب الخبز. لأن الخبز يمنح الحياة طبيعتها، والفكر يمنح الطبيعة حياتها. فإذا ماتت الحياة في طبيعة الإنسان صار وجوده أرقاما أخرى تستكثر بها أنعام الأرض.

وهذه المرادات كلها لا تتحقق بدون سياسة رشيدة وتدبير حكيم.

وهذه الحكمة هي الجمال في التدبير الإنساني المنسجم مع حكمة التدبير الإلهي. فالله أقام الكون بالميزان وطلب من الناس أن يقيموا الميزان فيما بينهم بالقسط ولا يخسروا الميزان.[٤٢٧]

إن أولوية الإسلام هي تحرير الناس من الاستعباد، وتحرير ملكاتهم الطبيعية لتشتغل في الاتجاه الصحيح: التأمل، والتدبر، والامتلاء بقيم الجمال... دون إحساس بقيود.. فيكون الإقبال على الله كاملا بالإرادة الطوعية المبنية على المحبة الدائمة والاقتناع بأن مبدع هذه الألطاف الجميلة إنما يريد استخلاص هذا الإنسان لنفسه. فهو عبد لله وحده.

"فالجمال المطلق الذي زيّن بتجليه هذا الكون وجمّله، والرحمة المطلقة التي أبهجت المخلوقات قاطبة وزيّنتها، لاشك أنهما منـــزهتان ومقدستان بلا نهاية ولا حد عن هذه

---

[١٦] أفضت القول في هذا الموضوع في مداخلتي التي تقدمت بها إلى أشغال المؤتمر العالمي السابع لبديع الزمان النورسي تحت شعار ممارسة حياة إيمانية فاعلة في سلام ووئام في عالم متعدد الثقافات من خلال رسائل النور. أنظر: "السلام والعدالة الاجتماعية في الإسلام من منظور النورسي" ط١ شركة نسل للطبع والنشر والتوزيع٣-٥/١٠/٢٠٠٤ ص١٩٥

القساوة وعن هذا القبح المطلق والظلم المطلق"(٤٢٨)

ولهذا ينبغي أن يتجلى ذلك الجمال وتلك الرحمة في تشريع المسلمين، إذ من العار أن يكون من الناس من لا يجد قوته فيغرق في الفقر والقبح ثم يقال له عن ذلك بسبب الله وأنه قدر محتوم. بينما يغرق غيره في النعم والمباهج.

تدعونا قيم الجمال المبثوثة في كل مكان يمتد إليه نظر أو يلقى إليه سمع أو يدركه عقل رشيد... أن الحياة لا تكون جميلة بغير عدالة اجتماعية، تجعل الناس جميعا يستشعرون الرحمة في: السكن اللائق والأجر اللائق والتعليم والتطبيب وغيرها من حسنات المدنية الرحيمة التي تبعد الناس عن قساوة الفقر وقبح الإذقاع.

لهذا ما فتئ النورسي ينبه إلى:

"تلازم الرزاق والجميل وتلازم معانيهما في حياة الإنسانية".(٤٢٩)

وينشأ الجمال، أيضا، في منظور رسائل النور من القيمة التي يشعر بها الإنسان تجاه الشيء، فالجمال يتحرك في بعديه الطبيعيين الموضوعي والذاتي. فللجمال وجود مستقل عن الذات وعن الإحساس به، وللجمال وجود آخر عبر منظور الذات وتكييفها لطاقة المشاعر، ومجالات التوجيه المنشودة.

وهنا يتخذ الجمال صبغة اجتماعية حقيقية، تجعله منضبطا بالقيم التي ينتجها أو تنتج بواسطته. ولنضرب لذلك مثلا جمال المرأة. فالنورسي رغم اعترافه بوجود هذا الجمال وحضوره طبيعيا وفق توجيه حكيم لخالقه، إلا أنه يرى أن جمال المرأة لا يمكن حصره في المظهرية الخارجية. فهو ليس لباسا برانيا تقنع به المرأة جوهرها. وليس برقعا من الأدمة تلبسه الغانيات لتصيد القلوب المنفلتة. بل إن الجمال قيمة مندغمة في سيرورة الوظائف الاجتماعية للمرأة والمتمثلة في كلية الحضور الأنثوي للدفاع عن مؤسسة الزوجية وتحويلها إلى بناء أعمق من الخدود والقدود.

وعلى ذلك تتأسس دعوة النورسي إلى تأسيس منظور للتنشئة الاجتماعية الإيمانية التي

---

(١٧) الكلمة العاشرة – ص: ١١٧

(429) الشعاع السابع - ص: ٢٢٢

تملك سماتها المميزة في النظر إلى المرأة وتقييمها. لتكون مظهرا للجمال ومصدرا للجمالية، على نحو مفارق لما تؤسس له الثقافة الغربية، باعتبار المرأة /القشرة الخارجية هي أبرز مظاهر الجمال وأعلاها قدرا في دائرة التجلي الجمالي الكوني. وهي التنشئة التي قادت في نهاية المطاف إلى استنـــزاف طاقات الجمال المظهري النسوي في العبث بالنساء، والإعلاء من قيمتهن شابات جميلات والحط من قيمتهن عجائز منبوذات.

"ثم إن محبة الزوجة وهي رفيقة حياتك، فعليك بمحبتها على أنها هدية أنيسة لطيفة من هدايا الرحمة الإلهية. وإياك أن تربط محبتك لها برباط الجمال الظاهري السريع الزوال، بل أوثقها بالجمال الذي لا يزول ويزداد تألقاً يوماً بعد يوم، وهو جمال الأخلاق والسيرة الطيبة المنغرزة في أنوثتها ورقّتها. وإن أحلى ما فيها من جمال وأسماه هو في شفقتها الخالصة النورانية. فجمال الشفقة هذا، وحُسن السيرة يدومان ويزدادان إلى نهاية العمر. وبمحبتهما تُصان حقوق هذه المخلوقة اللطيفة الضعيفة، وإلا تفقد حقوقها في وقت هي أحوج ما تكون إليها، بزوال الجمال الظاهري".[٤٣٠]

٦-٢ الجمال الحدسي وبناء الأخلاق:

١. الجمال الروحي: تواصل عظيم بين مكون الروح في الإنسان ومصدره العلوي.
٢. الجمال الوجداني: تواصل رقيق بين العاطفة الإنسانية ومثيراتها الإيجابية .
٣. الجمال الفكري: تواصل حميم بين الفكر وأشياء العالم لتحقيق الفهم عنها والمعرفة بها.

وحصيلة هذه الأقساط من الجمال الحدسي الارتقاء بالإنسان إلى المرتبة العليا في سلم الكائنات. وتحقيق ترفعه اللازم عن العجماوات. ولعل قراءة رسائل النور تبعث على الإحساس بمعنى تشغيل المكونات الروحية والوجدانية والعقلية في فهم الخطاب الإلهي من خلال القرآن والكون معا. في أفق ملاءمة التجربة البشرية مع المطلب الأخلاقي الذي يجعل الإنسان إذا عرف الجمال يوقره وينميه، ويكون هو الآخر عنصرا بناء للمحافظة على عناصره المعنوية والمادية. من ثم كان الجمال لصيقا بالأخلاق.

وبذلك يتحقق ذلك التوحد الجمالي المطلوب بين أخلاق العباد ودلالات الكون.

---

(430) الكلمة الثانية والثلاثون - ص: ٧٦٥

فتأمل هذه القراءة التوليدية والتوحد الجمالي الجامع بين إشارات الملكوت وأخلاق العباد.

"فإن شئت أن ترى مليّة الإسلام والحجر الأساس للاتحاد الإسلامي ونقشه، فدونك التوقير اللائق الغيور النابع من الحياء والحمية.. والتبسم البريء الناشئ من الاحترام والرحمة.. والحلاوة الروحانية الحاصلة من الفصاحة والملاحة.. والنشوة السماوية الناشئة من العشق الفتي والشوق الربيعي.. واللذة الملكوتية المتولدة من الحزن الغروبي والفرح السَحَري.. والزينة المقدّسة المتجلّية من الحُسن المجرد والجمال المجلّى فيمكن أن يرى من اللون النوراني الباعث من امتزاج هذه الخصال الحميدة شيء من منظر اللون الأرجواني من بين الألوان السبعة لقوس قزح قاب قوسي الشرق والغرب والطاق المعلّى لكعبة سعادتهما".(٤٣١)

ولكي تستكمل حيوية الجمال دورتها اقتضت الحكمة الإلهية تغذية مستمرة لخلايا الإحساس واستشعار إشارات الجمال وحسن تذوقها، بتقويم يومي حاسم في رياضة النفس وسياستها، لتسكن إلى نوازع الخير وتستحم في فيوض الجمال عبر تشريع محكم من العبادات والفروض.

لهذا كانت العبادات محافل متنوعة لتأهيل الأعماق الإنسانية وحشذها لتذوق الجمال. وكذا تمرينها على التجاوب مع القيم الدفينة التي هي جملة حدوس تستمتع بالخير وتستلذ عواقبه، وتأنف من الشر وستقبح نتائجه. وكلها إقرار بأن مع العالم الذي نراه ونحسه عالم نبتغيه ونحدسه.

إليك الصلاة مثلا، فهي تستهدف الربط بين جمالين جمال العالم المنظور الذي تنجز فيه الصلاة، وجمال العالم المستور الذي تنجز له الصلاة:

"إن حقيقة الصلاة التي هي كمعراج المؤمن شبيهة بقبول دخول جندي بسيط إلى ديوان السلطان الأعظم بمحض لطفه... فقبولك أيضا إلى المثول أمام جلاله سبحانه إنما هو بمحض لطف الجليل ذي الجمال والمعبود ذي الجلال. فأنت عندما تقول: الله اكبر. تمضي معنًى وتقطع خيالاً أو نيّةً الدنيا والآخرة، حتى تتجرد عن القيود المادية فتصعد مكتسباً مرتبة عبودية كلية أو ظلاً من ظلال المرتبة الكلية أو بصورة من صورها وتتشرف بنوع من الحضور القلبي والمثول

(431) صيقل الإسلام/المناظرات - ص: ٤٢١

بين يديه تعالى فتنال حظوة عظمى بخطاب (اياك نعبد) كل حسب درجته".[٤٣٢]

٦-٣ الجمال الحسي والفنون الجميلة:

قد يكون الجمال تدفقا ملموسا لمشاهد الحسن تتملاها الحواس، وقد يكون أثيرا من المعاني تهتز لها الجوارح. وفيهما معا تتجلى القدرة التسخيرية لربط الكيانين البراني والجواني برسائل الله المنبعثة من كل شيء في الكون. لكي تصل في النهاية إلى إقرار بكمال المبدع وجلاله المتجليان في آيات جماله.

إن آليات تلقي الجمال تتعدد وتستغرق كل فعاليات الإنسان من أجل أن لا يبقى في هذا الإنسان شيء لا يصله رزق من الرزاق الجميل:

"فكما أن المعدة تطلب رزقاً، فالقلب والروح والعقل والعين والأذن والفم وأمثالها من لطائف الإنسان ومشاعره هي الأخرى تطلب رزقها من الرزاق الرحيم، وتأخذه منه بكل شكر وامتنان. فيهب سبحانه لكل منها من خزائن رحمته، رزقها الذي يناسبها وترضى به وتلتذ. بل إن الرزاق الرحيم قد خلق كلاً من تلك اللطائف كالعين والأذن والقلب والخيال والعقل وأمثالها بمثابة مفتاح لخزينة رحمته كي يغمرها بالرزق الواسع. فمثلما العين مفتاح لخزائن الجواهر القيمة من الحسن والجمال المنبسط على وجه الكائنات، فاللطائف الأخرى كذلك كل واحدة منها مفتاح لعالم معين، تستفيد منه بالإيمان..".[٤٣٣]

ويعيد طه عبد الرحمن إنتاج هذا المعنى بقوله :

"لقد ساد الاعتقاد بأنه لا أخلاق في الجماليات أو كما يقال: "لا أخلاق في الفن والإبداع" بحجة أن القيمة الخلقية قيمة موجهة (بكسر الجيم المشددة) وآمرة تعتمد أساليب الردع والارتداع، بينما القيمة الفنية هي قيمة تستند إلى أحوال الشعور والوجدان وتتوسل بأساليب الذوق والإمتاع؛لكن هذا الاعتقاد يكذبه التخلق المؤيد أيما تكذيب، ذلك أن الجمال عند هذا المتخلق لا ينبني على قيم أخلاقية فحسب، بل إن ا؟لأخلاق نفسها تصير عنده بمنـــزلة قيم جميلة صريحة... ".[٤٣٤]

---

[432] اللمعة السادسة عشرة - ص: ٢١٩

[433] الشعاع السابع - ص: ٢٢١

[434] سؤال الأخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية المركز الثقافي العربي

والإيمان شرط لاستنهاض كل ملكات التذوق الكامنة في الإنسان، لتنشط للوظائف الأصلية المطلوبة منها.

فالعين لا ترى فقط ولكنها تبصر أي تستنطق الصور لتستخرج منها الرسالة وتحسن التلقي.

والأذن لا تنصت فقط ولكنها تسمع أيضا لتدبر الصوت وكشف ما فيه من نداء الهداية.

والقلب لا يعقل بمجرد تركيب العناصر وتحليلها بل باستنباط الحقائق الكامنة فيها والدالة على الحكيم المقدر الذي أبدعها من عدم.

وفي تلك الأقدار من النشاط يتحقق الجمال بما هو لذة الفهم عن الله.

"فمثلاً: العين، تشاهد الجمال في الصور، وترى معجزات القدرة الإلهية الجميلة في عالم الشهود، فتؤدي وظيفتها بتقديم الشكر لله من خلال نظرتها ذات العبرة. ولا يخفى على أحد مدى ما فيها – أي الرؤية – من لذةٍ وما يحصل من زوالها من ألم، لذا لا داعي لتعريف لذة الرؤية وألم فقدانها".(٤٣٥)

هل ينبغي على الإنسان أن يتوقف عند حدود المشاهد الكونية يتملاها ويستمتع بما تفيض عليه من ألوان الجمال ورموزه. أم عليه أن يبدع من عنده شيئا شبيها بما في الكون –مع مراعاة فارق الكمال الإلهي غير المحدود والقصور البشري غير المحدود– ثم يكون وسيلة أخرى للإمساك بلامحدودية الجمال الكوني، في محدودية الجمال الإبداعي. فيكون بين يديه شيء مما صنعت يداه يستشعر به جمال إطلاق ملكاته الإبداعية ، ولذة إحياء وظائفها. ذلك أن تعطيل ملكة الإبداع في الإنسان، هو نوع من الحكم بالعدم على وظائفه النوعية وسماته المميزة، وهو قبح لا يليق به بعد الذي بيناه من سطوع آيات الكون الدالة على الحيوية والنشاط، والملهمة إلى الإبداع و الحركة والتلوين والإيقاع.

وعلى هذه المناشط الأربعة المستلهمة من تدليل الجمال في الكون يمكن أن نرتب مجالات الفعل الجمالي الإنساني في الآتي:

ط١،٢٠٠٠،ص٨٨

(435) الكلمة الثانية والثلاثون - ص: ٧٧٤

– جمال الكتابة والإبداع: تتحقق بواسطة كل أشكال الإبداع الكتابية الممكنة: قصة ورواية ومقالة وقصيدة... لكنها وفق الأبعاد التركيبية والوظيفية المشار إليهما في تحليلنا السابق. لابد فيها من ملكة مسعفة واجتهاد موصل. فليس كل من كتب عدت كتابته في باب الأدب الجميل، بل لابد أن يختار الموضوع الجميل الموحي النفاذ الذي تتجاوب معه أعماق الإنسان، ويحرك الأبعاد غير المنظورة والمتوارية في دواخل الإنسان، وهي مجاهل تسبر بالكلمة المبدعة، وتستكشف بالنص الخلاق.

ولعل النورسي حقق شيئا من ذلك بموضوعاته البديعة، وأساليبه الممتعة... كما أنه فتح الباب لتكون مدرسة الأدب تجليا لجمالية الكون في بعديها النفعي الهادي إلى الخير، والإمتاعي الحامل على المؤانسة.

– جمال الإخراج والحركة: لابد من تتويج هذه الفلسفة الجمالية بمدرسة للمسرح والسينما. تسمح بلقاء الجمهور بعروض تتوفر لها شروط التأثير وتقريب قيم الخير والجمال. وخلق ذلك البعد التطهيري والذي سبق أن لامسته الفلسفات السابقة تحت مسمى الكاترسيس. لكن الرؤية الإسلامية في رحابتها الكونية تسمح بترسيخ قيم النفع والجمال، لتستكمل الجمالية دورها بين تجلياها الكونية، وإبداعاها الإنسانية.

وكل هذا ممكن بأساليب المسرح المترجمة على خشبة يمكن بواسطتها اختزال العالم فنيا، أو من خلال عدسة الكاميرا، التي تستطيع أن تصنع وضعيات إنسانية دالة تسمح للإنسان أن يشاهد أفعاله مبسوطة أمامه بواسطة افتراض تمثيلي، فيزهد في ما يستقبحه من صنائع الممثلين وهم تجل لشروره الممكنة، أو يزهو بما يعرضونه من نبل وسمو، وهي صور لفضائله الممكنة أيضا. وهذا الوعي بالمردود الطيب للفنون الجميلة إذا كان مسنودا برؤية نورية، يستطيع أن يحقق ثورة جديدة في الفنون. تكون فيها بصمة الإنسان المسلم حاضرة ورؤياه للعالم مقنعة.

– جمال الرسم والتلوين: هذا مستوى آخر لتنويع تعابير الإحساس بنفوذ الجمال وإعادة إنتاج العلاقة الوجدانية مع التشكيل والتزيين الإلهي للكون. من خلال صور فنية تحاكي الجمال الإلهي وتتفكر فيه وتقدم رصيدها التأملي حافزا للانتباه لهذا الفيض الغامر من الأضواء والظلال والألوان والأشكال وتحقيق المقصد الجمالي الذي بينته رسائل النور باستفاضة كبيرة.

– جمال الإيقاع والموسيقى: الموسيقى رنين غامر مرتبط بالأصوات وتموجاها، سواء في

هذه الخامات الفطرية الأولية التي تتجسد بها الطبيعة، أو في تمديد إمكاناتها صناعيا عبر مختلف الوسائل والآلات. لكن هذه الموسيقى تعبير وجداني مؤثر أيضا. فقد ملأت الدنيا صخبا وضجيجا بهذا الكم من التجويقات الهادرة حتى صكت الآذان وحجبت عن تدبر الأصوات الحقيقية، وحيل بينها وبين النفاذ إلى تموجات الملكوت وألحانه. فعاد الجمال من خلالها قدرا كبيرا من القبح المقنع يبدأ ضربا حادا قارعا، وينتهي تيها وعبادة للشيطان. لهذا كان نوع من الموسيقى بعينه وأكثر من غيره مسؤولا عن موجة الانحراف العالمية المسماة عبادة الشيطان.

لكننا نحتاج إلى صياغة منظور علمي جديد يستأنس بمنهج رسائل النور، لتلبية الحاجة الإنسانية إلى النغمة والإيقاع، والعمل على أن تكون تلك الإيقاعات نغمات أخرى تسبح بالوجدان في أسرار اللحون والشجون، وتحملها على الاستعلاء بواسطة موسيقى هادئة ووازنة تسهم في تنقية المشاعر وترقيتها؛وليس ما يسمى بالموسيقى السريعة والخفيفة والسطحية، والتي هي دغدغات للمشاعر السفلية أبعد ما تكون عن مناشدة الجمال في سموه اللامتناهي.

٧- خـــاتـــمـــة:

إن الجمال ركب على نحو بديع ليبسط دلالته بلغة الحسن ويدل على أن القادر المبدع لا تنتهي ألطافه. فمهما كانت الآيات مركبة من مواد جامدة مرعبة بالطبيعة كالنار في النجوم، إلا أن تقدير مسافاتها وتوزينها كونيا يحيلها لألاء من الضياء على نحو غير مقدور إلا لمبدع لا حد لقدرته. ناهيك عن النباتات والأشياء الأخرى التي جعلتها القدرة نفسها دليل الحسن ورمزه.

لكن رسائل النور تدعونا إلى أن نفهم عن الجمال أسرار الجمالية، وأن نرتقي من مرتبة المعاينة السلبية إلى حسن التلقي عن الله. والاستبشار بهذا القدر من الحسن الناطق وحمد الله عليه حمدا لا يتناهى كما لا تتناهى مكارمه. ثم توظيف تلك الإشارات في السير على منوالها تركيبا ووظيفة. فتكون المنجزات الإنسانية في مختلف الميادين مراعية لمقاصد التحسين والتزيين في الأقوال والأفعال وكل الصناعات والخدمات؛ثم تكون النتيجة: الخير والمنفعة العامين عموم الشمس المنيرة أرجاء الكون وعموم القمر الوضيء المبهج... وعموم آيات الله التي لا تحد.

ثم العاقل من تدبر الجمال الواصل فاهتدى به إلى الجمال الحاصل. فقادته جمالية الدنيا إلى جمالية الآخرة. وجعل الله الجميل ذي الجلال مطلبه ومسعاه.

مؤشرات إيمانية
على (تجميل الجلال) و (تحليل الجمال)
في رسائل النور

ذ. جمال أمين

(١)

ظل الإنسان منذ فجر الخليقة الأولى، وانبلاج أقباس التاريخ، فارس التأمل الجمالي الواعي، والمفارق لغيره من الكائنات الجميلة المسخرة، فهو المقتدر على الوعي بالجمال، وتطوير ذاته بأنوراه، والإشراق من خلاله على المقدس أو المدنس، وقد اصطبغت (الظاهرة الجمالية) عبر المسيرة الإنسانية الحضارية – تاريخا وأسئلة – بتلويناته التصورية النابعة من النزوغ الفطري الغالب، والهتاف السماوي الجاذب، والفتون الطبيعي الصاخب، فشكلت قوالب سلوكية شاخصة في الإنسان والعمران، بعضها ربط الظاهرة بالتسيب الأخلاقي واللذاذات الجسدية الهابطة، ودعارة الجسد وتفلت العلائق، وبعضها وقع في التباسية وهم الجمال أو حقيقته، وموضوعيته أو ذاتيته، ومعظمها كرس موضوعة (علمنة الجمال) بفصله عن البعد القيمي النابع من الجلال/ المقدس، وإلغاء بعده الوظيفي السماوي الرامز، كما كرس موضوعة (تبشيع الجلال) وتضبيبه بدل تضويئه ليظل قابعا في أفقه التجريدي المتعالي. وفي سياق هذا الخلط المفاهيمي الذي شوه قيمة الجمال، انبعث الإسلام في متنه القرآني ليستنقذ هذه القيمة من متاهتها الخابطة، ويضعها في صوابيتها المفاهيمية الإطلاقية نظرية شاملة متكاملة – أفقيا – ببعديها: (الموضوعي) المركوز في صميم البنية الوجودية، و(الذاتي) الملتصق بالوضعيات الأخلاقية الإنسانية، و – عموديا- بالنزوح من باحة (الذات) إلى (الآخر) إلى (الكون) إلى (الله) عز وجل في إطار العلائق الوظيفية المتشابكة.

ورغم أن (الفكروية التراثية) في مدوناتها المرقومة، ومشخصاتها الحضارية الرائقة، لم تؤشر على أطراف هذه النظرية القرآنية الإطلاقية، واكتفت بتوليد (النظرات) بدل الكشف المنهجي عن مخبوء (النظرية) القرآنية، مع وجوب الاعتراف بقيمة تلك (النظـرات) و(المشخصـات) الجمالية الحضارية، وضرورة معايرتها بالمتن القرآني لتأسيس الظاهرة الجمالية في بعدها النظري الوظيفي. بالرغم من هذا المنـزع التراثي المنقوص، فإن حركية الفكر الإسلامي المعاصـر في (أجوبتها) المصاقبة (لأسئلة) الراهن الضاغط، قد استوعبت تظرات التراث المنقوص وإضافات (الآخر) السؤول، ومزجتها في إطار تركيبة (نظراتية) تصورية جديدة تعاير المنظور القـرآني القاعدي.

ومن فرسان هذه الحركية (بديع الزمان النورسي) في رسائله النورانية، الذي اتخذ من قيمتي (الجمال) و(الجلال) محورا مركزيا ضمن مشروعه الإصلاحي الكبير (إنقاذ الإيمان)، وتجاوز في التعامل معهما مستوى (التوصيف) المظهري، إلى مستوى (التوظيف) المخبري التركيبي، مركزا أطروحته الجمالية في الجواب الحاسم عن سؤال أولي هام هو: (كيف نجعل الجمال معراجا إلى الله؟) أي: كيف نجعل الجمال طريقا إلى الجلال؟ ثم الانتقال إلى سؤال هام مترتب عليه هـو: (كيف نمنح للجمال بعده الايماني (تحليل الجمال)، وكيف نمنح للجلال/ الغيب بعده الجمـالي الشاخص (تجميل الجلال)؟

وكلها أسئلة تصب في بحر (الإيمانية) العميق الذي يعد مقصدية وحقل رسالته الإصلاحية، ويمكن اختزالها جميعا في سؤال تبسيطي هام هو: (كيف نجعل الإيمان؟)، باعتباره يحيل علـى الحلقة الثانية من مشروعه الإصلاحي بعد حلقة (الإنقاذية الإيمانية) وهو (التجميلية الإيمانيـة) بأبعادها التزكوية الذاتية في إطار المشروع الكبير (إحياء فقه القلب).

وقد انطلق في نسجها من قوله تعالى: {**وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَـانَ وَزَيَّنَـهُ فِـي قُلُوبِكُمْ**}(الحجرات:٧) وقام باستقطار عقلاني نفاذ لعملية (التزيين الإيماني في القلب) الـتي أشرت عليها الآية، والتي تعد منطلق الجمالية الإسلامية النابعة من الـذات – إيمانيـا – في تعاملها مع الكون والمكون. وثمة سؤال يطرح في هذا السياق وهو: (هل لهذه الإضافة النورسية جذور وأصول في المتن القرآني والمدونات التراثية في إطار التأكيد على البعد الوظيفي للجمال تصورا وسلوكا؟)

(٢)

فعلى مستوى المتن القرآني الذي تعد كل كلماته مصطلحات قائمة بشبكتها المفاهيمية المنتشرة والمنتثرة في آياته وسوره، مما يوجب على الدارس اعتماد منهجية (المصطلحية) في التعامل مع ألفاظه بدون استثناء سواء أكانت الطريقة مصطلحية معجمية بصيغها الصرفية، أو مصطلحية دلالية بحقولها المعنوية، أو مصطلحية استعارية بأشكالها البلاغية.

على مستوى هذا المتن نلاحظ ورود كلمة (الجمال) في نطاق ضيق لم يتجاوز ثماني مرات، بخلاف المرادفات (الحسن والتزيين) وغيرها ممن يشكلن حقلا معجميا دلاليا واحدا يصب بوفرة في مصطلح (الجمال)، مع تركيز المتن القرآني على ربطه بالبعد الذاتي الأخلاقي مرة بصيغة المصدر، ومرة بصيغة الصفة {**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ**}(يوسف: ١٨) {**فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ**}(الحجر: ٨٥) {**وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً**}(المزمل: ١٠) أما على مستوى المدونة اللغوية التراثية، فنجد نفس المنحى الأخلاقي التزكوي المتجاوز للمظهرية الى المخبرية، بقول ابن سيده: "الجمال: الحسن يكون في الفعل والخَلْق"، ويقول ابن الأثير: "الجمال يقع في الصور والمعاني"، ويقول أبو هلال العسكري في كتابه (الفروق في اللغة) "والجمال في الأصل الأفعال والأخلاق والأحوال الظاهرة ثم استعمل في الصور".

أما على مستوى المدونة الصوفية التراثية، فنجد نفس المنحى في (تصويف) الجمال، وتفجير شلالاته الجلالية الإيمانية، يقول أبو حامد الغزالي: "والصورة ظاهرة وباطنة، والحسن والجمال يشملها، وتدرك الصور الظاهرة بالبصر الظاهر، والصور الباطنة بالبصيرة الباطنة"، ويقول: "فاعلم أن الحسن والجمال موجود في غير المحسوسات إذ يقال: هذا خُلُق حسن، وهذا علم حسن، وهذه سيرة حسنة، وهذه أخلاق جميلة" أما ابن القيم فيقول: "اعلم أن الجمال ينقسم قسمين: ظاهر وباطن، فالجمال الباطن هو المحبوب لذاته، وهو جمال العلم والعقل والجود والعفة والشجاعة، وأما الجمال الظاهر فزينة خص الله بها بعض الصور عن بعض قالوا: هو الصوت الحسن والصورة الحسنة".[٤٣٦]

أما الإمام القشيري في كتابه (التحبير في التذكير)، فقد قام بعملية (تصويف) لأسماء الله الحسنى، وأرجع معظم الأسماء إلى قيمتي الجمال والجلال: كالقدوس والسلام والمتكبر والخالق

---

[٤٣٦] الظاهرة الجمالية في الإسلام – صالح الشامي ط:١، ١٩٨٦– ص:١١٤ إلى ١١٨ المكتب الإسلامي.

والبارئ والمصور والقهار...، فقال في شرح هذين الاسمين الجليلين "واعلم أنه عز وجل يكاشف القلوب مرة بوصف جلاله، ومرة بوصف جماله، فإذا كاشفها بوصف جلاله صارت أحوالها دهشا في دهش، وإذا كاشفها بوصف جماله صارت أحوالها عطشا في عطش، فمن كاشفه بجلاله أفناه، ومن كاشفه بجماله أحياه، فكشف الجلال يوجب محوا وغيبة، وكشف الجمال يوجب صحوا وقربة، فالعارفون كاشفهم بجلالهم فغابوا، والمحبون كاشفهم بجماله فطابوا، فمن غاب فهو مهيَّم، ومن طاب فهو متيَّم، واعلم أن العابدين شهدوا أفضاله فبذلوا أنفسهم، والعارفين شهدوا جلاله فبذلوا قلوبهم، والحبين شهدوا جماله فبذلوا أرواحهم، فمن كان له علم اليقين شهد جلاله، ومن كان له حق اليقين شهد جماله".[٤٣٧]

من هذا المسح الانتقائي للنظرات التراثية النافذة، تبدو الإضافة النورسية العميقة في علم الجمال متساوقة ومعززة لهذا المنحى الذاتي الوظيفي في فهم وتوظيف الجمال لخدمة الجلال بمتعلقاته الإيمانية التصورية والسلوكية كي يصب في بحر الإيمانية العميق.

وثمة سؤل يطرح في هذا السياق وهو: ما المركزية التي تحتلها (الإيمانية) كمرتكز للجمالية في المشروع الاصطلاحي النورسي؟

(٣)

تشكل (الإيمانية) في أدبيات النورسي مركبا تصوريا ذهنيا/ فعليا سلوكيا تندرج فيه جميع المقامات والأحوال بكل درجاتها ومقاساتها ومتعلقاتها من إسلام وإحسان وتقوى وشكر، وتتميز باستقلالية (كونيتها) الشاسعة التي تنبع من مظلتها جميع الأكوان الأخرى، منطلقة من قراءة الكون القرآني المتلو بالكون المنظور، لأن حروفه رموز للكون الكبير، ومن قراءة الكون الطبيعي المنظور بالكون القرآني المتلو، لأن مظاهره حروف للكون القرآني الخاص، كنا تتميز بتغطية حقولها لأمداء شاسعة من الفكر والسلوك، فهي تقوم بتنفيذ تغطية للمدى التصوري الغيبي/ الألوهي، والغيبي/ الرسولي والملائكي، وللأزلي والأبدي.

وللمدى التصوري الشهودي (الموت/ الحياة – الزمان/ المكان – المسير/ المصير).

---

[٤٣٧] التحبير في التذكير – القشيري – تحقيق ابراهيم بسيوني دار الكتاب ١٩٦٨ ص: ٦٢.

كما تغطي المنــزع السلوكي (الخفي) في إطار ما يسمى بأعمال القلوب (صحة ومرضا وموتا).

وتغطي المنــزع السلوكي (الجلي) بالعمل وفق المنظومة التعبدية والأخلاقية والتشــريعية المؤطرة بالوحي القرآني والنبوي.

وهذه الرحابة التصورية لمدلول الإيمانية، تكسب المتحلي بها (وعيا) بالحقائق الإيمانية يمتد إلى فضاءات وأكوان امتداد دوائر البحيرة التي ترتطم بالحجر/ الوعي، وكلما ازداد اشتعال هذا الوعي الإيماني كلما تمت إضاءة الرقع الممتدة من شبكته التصورية الشبيهة بشبكة العنكبوت في انطلاقها من نقطة ارتكازية للتمدد بخيوطها الشبكية في جميع الاتجاهات، من أجــل اقتنــاص (المعاني) المخبوءة في الأشياء والأحياء، وهي معان رمزية وظيفية يصطادها الــوعي الإيمــاني بشبكته المنيرة، وكلما زادت رقعة الإضاءة في شبكته الممتدة، إلا وازدادت امتدادية رؤيتهــا كواقع، فحدقة الوعي الإيماني تزداد اتساعا وإبصارا حسب اتساع الإضاءة في الشبكة الممتدة، وكلما انتشر الإضلام قل الوعي بها أن انعدم.

ولا يمكن تجديد الوعي الإيماني، وإضاءة شبكته المعتمة، والقضاء على (طــول الأمديــة والقساوة) سوى في الاعتراف بخصوبة العالم الخارجي، واكتنازية معانيه وحقائقه، وتجاوز صدأ منافذ الإدراك (الخيالية والوجدانية والحواسية)، وتفجير الينابيع (الطاقوية) الضخمة التي تختزنها شلالات الإيمانية.

كما لا يمكن توسيع مجال الرؤية الشبكية المضاءة، إلا بتخصيب الوعي بخلفية واسعة من العلاقات والحقائق المرتبطة بفضاءات العلوم والمعارف، لمعرفة واستكشاف خفايــا (الأنفــس والآفاق)، وتجاوز أفق الرؤية (المُلكية) بأداتها البصرية الحسية، إلا الرؤية (الملكوتيــة) بأداتهــا (البصيرية) القيمية في إطار التحقق ببعدين أساسين: (أفقي) حسي يتضـــمن مســـحا حســـيا للكائنات الجميلة، و (عمودي) قيمي يعتصر المنازع القيمية من الموجودات انطلاقا من عنصر الإرادة (بالعمل)، والمرتبطة بالنية/ الحافز، وبالإخلاص/ الصدق التوجهي، وبادراكية القـــيم لتوسيع الشبكة المضاءة يقول النورسي:

"الإيمان لا يحصل بالعمل وحده، إذ إن هناك لطائف كثيرة للإنسان لها حظها من الإيمان... فإن فقدت لطيفة من اللطائف غذاءها المناسب فالمعرفة إذن ناقصة مبتورة، وتظل تلك اللطيفة محرومة".(٤٣٨)

وكلما تحقق الوعي الإيماني بمبدأ (التلقيم الإيماني) في مراكمته للخبرة المكتسبة رؤيويا وسلوكيا عن طريق الذوق والمجاهدة، إلا ومنحه خصوبة وتجددا في الترقي إلى الله/ الجلال.

وكلما تحقق الوعي الإيماني من آفة (الاعتياد) المفضي لسرطان (الملل)، إلا وتجاوز طور التآكل القيمي وفقدان (المعنى)، وتبشيع الكون بدل تجميله، لكون الملل أخطر أمراض النفس والعصر المسمم للنظام الإنساني.

وكلما تحقق الوعي الإيماني بفضيلة (التأمل الإيماني) التي تسل الأشياء عن مسلماتها المظهرية، إلا وتم نقله من الرؤية الحشرية الضيقة المحدودة الى الرؤية الطائرية المستشرفة الشاملة في التعامل مع مفردات الوجود، وفي إذابة عتمة امهات المشاكل الميتافيزيقية (الحياة والموت – الوجود والعدم)، وفي استدامة جمالية الإيمان بتلذذها الذاتي رغم وجود غيمات في سمائها أحيانا.

وثمة سؤال يطرح في هذا السياق التصوري وهو:

ما علاقة الجمال بالجلال في إطار مركبه الإيماني الكبير؟

(٤)

يقول النورسي:

"اعلم أن أكثر مظاهر الجلال تجلي الأسماء على الكل والكليات والأنواع والجمادات، والجود المطلق في النوع من تجلي الجلال، وأن أغلب مرايا الجمال المتجلي، نقوش جزئيات الموجودات، وجمال أشخاصها مع تزايد الحسن،.... وكذا يظهر الجلال من تجلي الواحدية، ويظهر الجمال من تجلي الأحدية، وقد يتجلى الجمال من الجلال كما يتجلى الجلال من الجمال... فما أجمل الجلال في عين الجمال، وما أجمل الجمال في عين الجلال".(٤٣٩)

---

(٤٣٨) المكتوبات – النورسي ترجمة احسان قاسم الصالحي – دار سوزلر للنشر ١٩٩٢، ص: ٤٢٦.

(439) الصور والمرايا في تراث النورسي - ابراهيم اديب الدباغ - منشورات المشكاة ص: ٥٠ نقلا عن المثنوي العربي النوري لبديع الزمان النورسي.

وهذا النص الغني يكشف بوضوح عن بعدي: (تجميل الجلال) و(تجليل الجمال)، فالجمالية في أدبياته الإيمانية نوعان: جمالية (الآيات) في إطارها الكوني المظهري، وجمالية (المقامات) في إطارها النفسي المخبري، والجلالية نوعان كذلك: جلالية الغيب (بالأسماء) باعتبار الأسماء الحسنى مفاتيح تكتنز أسرار الغيب الإلهي المتجلي، وجلالية الشهود (بالأنباء) باعتبار الأنباء تمثل رسائل توضيحية بالبشارة والنذارة من الملأ الأعلى: {**قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ**}(ص:٦٧- ٦٨) وهذا الجلال الغيبي يتجلى بالأسماء الحسنى في جمالية الآيات الكونية (بالآفاق والأنفس) فهي جمالية خَلْقية، أما الجلال الشهودي فيتنمذج – أنباء فوقية– في الجمال السلوكي المتدرج مقاميا بالمجاهدة – فهي جمالية خُلُقية.

والجمالية الخَلْقية (اسندادية) تسند وضعيات وجودية وإنسانية بقيمها فترتفع بها إلى مستويات جمالية راقية، و(معراجية) نحو حقائق الخالقية (وجودا) و(قيومية) يقول:

"إن الجمال والجلال أصلان تسلسل منهما– بتجليهما في كل عالم – فروع: كالأمر والنهي والثواب والعذاب، والترغيب والترهيب، والتسبيح والتحميد والخوف والرجاء...".[٤٤٠]

كما أن الجمالية الخُلُقية (اكتمالية) في تحقيق وشائج من الفهم المتبادل، والتضامن الواثق، وفتح كل مغاليق الذات في احتضان الآخر، و(إسرائية) إلى التحقق بلذاذات التعبد للخالقية (حبا وعبودية وشكرا)، ولا تتم هذه الإسرائية إلا بقطع المفازات الليلية بالهجرة إلى الله/ الجلال، فالجمالية المعراجية – خلقا – تدبرية بمنظور الإيمانية النورسية يقول:

"فمعراج الرسول هو سيره وسلوكه، وهو عنوان ولايته... حتى بلغ أعلى المراتب وأسماها... وشاهد السعادة الأبدية، وفتح باب الجادة الكبرى، وتركه مفتوحا ليمضي جميع أولياء أمته بالسير والسلوك الروحاني، أي بسير روحاني وقلبي في ظل ذلك المعراج حسب درجته...".[٤٤١]

والجمالية الإسرائية – خُلقا – تطهرية بمنظار الإيمانية النورسية.

---

[٤٤٠] إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق: احسان قاسم الصالحي، دار سوزلر (١٩٩٠) ص: ٢٥.
[٤٤١] المكتوبات: ص: ٥٩٥.

وبالإيمانية النورسية يحصل التدبر والتطهر الجمالي والجلالي.

ومشروع الإيمانية النورسية يتم بتظافر الحلقتين: الانقاذية الملكوتية في بعدها الغيبي، ثم التجميلية القلبية في بعدها الذاتي الشهودي.

والانقاذية الملكوتية إبحار معرفي عقلي كياني لبلوغ نقطة الضوء المشعة في مجالي: الكون والمكون.

أما التجميلية القلبية فهي: تخلص من ثقلة الشهوات بإدمان الطاعات.

فالإنقاذية تعالج الشبهات بالنظرات (الملكوتية).

والتجميلية تعالج الشهوات بالطاعات (المقامية).

ومشروع (إنقاذ الإيمانية) يتم بالتدبر (فقه الملكوت) باستيعاب السنن الكونية.

ومشروع (تجميل الإيمانية) يتم بالتطهر (فقه القلوب) باستيعاب السنن النفسية.

وقد استوحى النورسي هذه الحقائق من قوله تعالى: {**وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ**}(الحجرات:٧) فالإنقاذ الإيماني يستهدف مقصدية (التحبيب) ضد (التكريه).

والتجميل الإيماني يستهدف مقصدية (التزيين) ضد (التبشيع).

وجوهر التجميل الإيماني المبني على الاشتعال الكياني الدائم هو: التحقق (بالعقل الإيماني) المتشكل بالمجاهدة، والمستوعب لأطراف التجربة الإيمانية، والمختزن لطاقاتها القلبية، والمتجاوز لمراحل البدايات (التذكر الغافل – الاعتياد المميت – المظهرية الخادعة) إلى مشارف النهايات (التوفز الروحي – اليقظة المندهشة – الترقب والالتقاط المرصادي).

ويتوسل النورسي في تحقيق مشروع (تجميل الجلال) و(تجليل الجمال) أو التحقق (بجمالية الإيمان) بعدة آليات منها:

أ) المرصادية أو المنظارية التصورية (بضبط زاوية الرصد) لكشف رؤيوي مستقل.

ب) بتحديد الخرائطية الكونية كمجال لتحيد حجم الإنسان وموقعه الحركي.

ج) باستناده إلى (القيمة) أو (المعنى).

د) بتحريه (القصدية) بدل (العبثية).

فالمرصادية رؤية إيمانية عصفورية تحتضن جماليـــات الأحجـــام والأشـــكال والألـــوان والحركات، وتقوم برسم الخرائط الكونية الدنيوية والأخروية، وفق زاوية الرصد المتوسلة بقوة (الوسيط الخيالي) المنضبط بالإطار النصي القرآني، لتحديد حجم الإنسان/ الخليفة، وموقعـــه الحقيقي في خرائط الوجود الشهودي والغيبي يقول:

"فبمنظار ضرب الأمثال قد أظهرت الحقائق البعيدة جدا أنها قريبة جدا... ومـــن نافـــذة ضرب الأمثال قد حصل اليقين الإيماني بحقائق الغيب وأســـس الإســـلام ممـــا يقـــرب مـــن الشهود...".[٤٤٢]

ولهذا المصطلح ورود كثي ر في أدبيات النورسي، ويتمثل دوره في تجميل الإيمانية ضـــمن المشروع الكبير لفقه القلوب، بتحقيق ثنائيتي: (الافتقار/الانكسار) الكلي حسب الموقع والحجم المحدود، و(البوح/ النوح)، فالبوح اعتراف بالفضل والنول، والنوح تطهر بـــالتوب والأوب يقول: "وجد من كمل إيمانهم في العجز ومخافة الله لذة تفوق أية لذة كانت، حتى أنهم تـــبرءوا إلى الله براءة خالصة من حولهم وقوتهم، ولادوا بعجزهم إليه تعالى، واستعاذوا بـــه وحـــده، مقدمين هذا العجز والخوف وسيلتين وشفيعين لهم عند الباري الجليل.... إن كل فرد مـــؤمن يعرف ببصيرته ما هو جميل حقا، كل حسب درجة فهمه وذوقه، إلا أن اللـــذة الكامنـــة في العجز، لا يقاس بشيء إطلاقا".[٤٤٣]

أما الخرائطية الكونية المرتبطة بعنصري: الحجم الإنساني والموقع الوجودي، فتتوســـل إلى تجميل الإيمانية ثنائية (الجهد/ القصد)، فالجهد سعي دؤوب لاستكمال السعادة الباطنية وفـــق المعالم المرسومة بالوحي، والقصد: انضباط بالمعالم المرسومة سيرا إلى الله/ الجلال يقول: "القرآن هو أساس وهندسة تسمى هذا العالم المعنوي الإسلامي، وكذا هو خريطة العالم الأخروي..." ويقول:

"نعم أيها الإنسان... انك كلي في جزئيتك.... وانك عالم واسع في صغرك... ولك المقام السامي مع حقارتك...".[٤٤٤]

---

[٤٤٢] المكتوبات: ص: ٤٨٧.

[٤٤٣] الملاحق: ص: ٣٢.

[٤٤٤] المكتوبات: ص: ٢٦٧.

أما الاستناد إلى (القيمة) فيحمل الإيمان بثنائية (التملي/التجلي)، التملي كإبحار فكـري ملكوتي ضمن الصيغ الخالصة {**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ**}(آل عمران:١٩١) بالجمع بين فضيلتي الذكر والفكر يقول:

"إن مفاتيح هذا السير والسلوك القلبي ووسائل التحرك الروحاني إن هـي إلا (الـذكر) و(التفكر)... وبذلك يذوق معنى الأنس في هذه الحياة الإيمانية، ويلمس سعادة الحياة فيـزداد شكره لربه...."،[٤٤٥]

أما التجلي فهو ظهور آثار أسماء الله الحسنى على (الخلائق) انطلاقا من قوله تعالى: {**فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**}(الروم:٥٠) فإحياء الأرض وامراعهـا بالنبات الجميم أثر لاسم الله (الرحيم)، ومظهر لتجلياته المقدسة الممرعة بالخصوبة والحياة.

أما الاستناد إلى (المقصدية) فتحمل الإيمان بثنائية (الامتلاء/ الانتشاء)، الامتلاء بكلية الزمن الأزلي/ الابدي، وبشمولية المكان الشهودي/ الغيبي، وبامتدادية الإنسان الدنيوية والأخرويـة، والانتشاء بحصول (الرضا) المشبع بالتناغم مع الذات والكون والمكون.

وثمة سؤال يطرح في هذا السياق وهو:

ما علاقة جمالية الإيمان بمشروع فقه القلب في الإطار التزكوي الذاتي؟ وكيف نسـتديم وننمي هذه الجمالية؟

(٥)

يشكل القلب المحضن الطبيعي، والعش الوطيء لجمالية الإيمان في أدبيـات النورسـي، وتتراوح هذه الجمالية بين الإظلام المستطير والإشعاع المستنير حسب المراحل (الست) التي يمر منها القلب في تعامله مع الظاهرة الإيمانية أخذا أو نبذا وهي:

محطة (الانطفاء): أو (شبحية الظلال والضلال) وهي تعادل القلب الميت الذي تنعدم فيه هواتف الجلال.

محطة (الاستهداء): وتتضمن رؤية ملكوتية للبحث عن الزر المضيء والموصل إلى (الإشارة) أو (المعنى)، والاستهداء به ضمن (ملكوت العلامات) بـالتعبير السـميائي، أو (ملكـوت

---

[٤٤٥] المكتوبات: ص: ٥٧٢.

الإشارات) بالتعبير الصوفي، أو (ملكوت الآيات) بالتعبير القرآني، أو (ملكــوت الرســائل) بالتعبير النورسي.

محطة (الامتلاء): أو (الزر والغرفة المظلمة)، وتتم بعد التقاط المعنى المساوي لليقين، وتمثله عبر (رياضات) و(برنامج مجاهداتي) (قيام + صيام + ذكر + فكر) وفق مقامــات وأحــوال للوصول إلى القدرة المتحكمة في (زر) الإنارة الإيمانية لغرفة القلب، ومعرفة موقع الزر، وطرق استخدامه، فيغدو التعبد (اكسجينا) و(ادمانا) جماليا ملازما له.

محطة (الانتشاء): أو (أثر قوس قزح) وفيها إدراك للذاذات وحلاوة الوصول إلى الجـــلال مثل تلاوين قوس قزح الجميلة بعد عبور معاناة عاصفية ممطرة وباردة، وهي محطة تعكس قمة جمالية الإيمان.

محطة (الاستجلاء): وفيها يتميز المؤمن (القصير الشوط) عن (الطويل الشوط)، فالقصـــير الشوط في تمثل الآيات (العلامات) تكون جمالية الإيمانية (محدودة)، أما الطويل الشوط فتكون جماليات إيمانه متعددة الأشكال والألوان والطعوم على قدر قامته الإيمانية، ومجاهداته المستمرة والممتدة، وأما المُحدّد التصوري لهذا (القصر) و (الطول) الرؤيوي:

* سعة المرصاد والمنظار الرؤيوي.
* قوة وصدق الحافز/ النية.
* عمق الالتزام ببرنامج المجاهدة والمعاناة التعبدية والسلوكية في كل مقاماتها.

محطة (الابتلاء بالانثناء): أو الرخاوة المرتبطة (بالألفة الإيمانية المكرورة) وبالاعتياد التعبدي الشكلي، وبالتحول الإيماني من المخبرية إلى المظهرية {**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَــزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ**}(الحديد:١٦) وهو ابتلاء بالانثناء في تحول القلـــب إلى طور الانطفاء/ التآكل الإيماني.

أما طرق استدامة هذه الجمالية الجلالية فتتم:

باستنقاذها من اعتيادية (الجهاز الألفوي) القاتل الذي يقضم فرحـــه الجديـــد الإيمـــاني المكتشف، ويحوله إلى اعتيادية مظهرية، ويتم هذا الاستنقاذ (بالذكر والفكر) عـــبر الســـياحة البصرية والبصائرية.

باستنقاذها من (ظلال خسوف القمر) فالإيمان مثل وضاءة القمر، وظلال الخسوف هي: اعتيادية الجهاز الألفوي (الألفة الغافلة)، وتكريس آفة (طول الأمدية القاسية) التي تعدم الجديد الملون للزمن الإيماني، وتقع فريسة فراغية الزمن وتشابهيته الرتيبة بانعدام التحدي الحافز المستفز للقلب كي يستجيب ويتيقظ.

بانصباغ زمنها المؤمن باصباغ الإيمانية المتجددة عبر مفاصله اليومية.

وبتجميل مكانها المشهود والغيبي بإيمانية وظيفية متجددة.

أما آليات ووسائل تنمية وتفعيل الجمالية الإيمانية فتتم عبر وسائط:

أ) اصطناعية: ضرب الأمثال – أسلوب السرد – أساليب بلاغية مجازية.

ب) طبيعية: الوسيط الخيالي – الوسيط الوجداني الذائقي – الوسيط الحواسي.

وسنكتفي بالتأشير على بعض الوسائط الطبيعية لأهميتها البالغة في هذا التفعيل:

الوسيط الخيالي: وهو الذي يميز الإنسان عن باقي الكائنات باعتباره قوة ضخمة لم يمتلكها أحد، وغايته: توجيه وإرشاد العقل الإنساني نحو أوسع وأبعد معنى ممكن للحياة والوجود، وكل وعي إيماني يتوسل بالوسيط الخيالي النصي في عبوره نحو الجلال فإنه يعمل في باحة بلا ضفاف من الإمكانيات المعنوية البعيدة والغائرة للحياة.

وله دور كبير في تفعيل أسناد التدين الفردي المؤدي الى تجميل الإيمان عبر توسيع (الحدقة الإيمانية) كي تقتنص شبكتها وشبكيتها غوامض الغيب الجلالي الخفية، كما أن له دوره المتشبع بأنداء الجمالية الإيمانية، من حيث التخفيف من (سرعة الأداء والفاعلية العقلية) كي يتدبر الظواهر بعدسة المجهر اللاقط، وإحداث نوع من التأني الاعتكافي غير المتعجل لسبر الأغوار والخفايا في بعدها الجلالي.

والوسيط الخيالي في امتداديته أو تقلصه مثل الدوائر المائية المتماوية للبحيرة/ النص حين يقذف فيها الحجر/ الوعي التأملي، فعلى قدر الارتطام تستطيل دوائر الخيال إلى أبعد مدى ممكن يقول: "...فكلما كانت تمر تلك اللوحات أمام خيالي، كانت تسلب من شدة مقاومتي وتفت في عضدي... ولكن على حين غرة اكتشفت سرا من أسرار الآية الكريمة: {**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاّ وَجْهَهُ**}... أجل رأيت نفسي بسر هذه الآية الكريمة على رأس ثلاث جنائز

كبرى... أما الثالثة فقد تجسمت أمام خيالي بسر الآية الكريمة موت هذه الدنيا الضخمة مثلما يموت الإنسان...".[٤٤٦]

الوسيط الحواسي: الذي يشكل النوافذ الطبيعية للتواصل مع العالم الخارجي مثل: الحاكي الذي يمسك الموجات الغذائية عبر الأثير ضبطا محكما رائقا، أو تشويها غائما مبهما، وله دوره الهام في (سير) الحواس الخارجية كنوافذ لتلقي الجمالية الإيمانية، وإبطاء هذا السير أحيانا لكبح تعجلها اللاقط اللاهث، كي نقف مليا على المعنى الكامن خلف المشهد، ويستثير (طاقوية) الحاسة الصوفية الغائرة.

(٦)

وختاما ومن خلال الإبحار في عالم النورسي الرحيب، يمكن القول بأنه تمكن من وضع أجوبة قرآنية (المنبع) و(المصب) حول سؤال (الجمال) المتوقل صعُداً إلى ذروة (الجلال)، سواء أكان الجمال معطى كونيا في مظاهره الطبيعية الصامتة والصائتة، أو معطى إنسانيا في بعده التزكوي الذاتي تصورا وسلوكا.

---

[٤٤٦] انظر اللمعات ص٣٧٥

الجمالية في علاقة الخالق بالمخلوق
عند الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي

د.إيت سعيد الحسن بن الحسين

الحمد لله ذي الجود والكرم، والطول والنعم، يستحق الحمد على كل حال، إذ له، سبحانه، في كل حال سر يناسب الجلال، ويتمم صبغة الكمال والجمال، ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون، أحمده حمدا يرضاه، على ما من النعم أولاه، وأصلي وأسلم على من اصطفاه، ومن بين سائر الخلق اجتباه، وبحسن الخُلُق حلاه، سيدِنا محمد، وعلى آله ذوي الحُظْوة والشرف، وصحابته غُرَّة جَبين السلف، وعلى من اقتدى بهم ومِنْ بعدهم خَلَفَ.

أما بعد أيها الحضور الكرام! السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

بداية أعترف أنني حديث عهد بالقراءة للشيخ العلامة والقدوة الفهامة المرشد السيد بديع الزمان سعيد النورسي، رحمه الله تعالى، و لم يعدُ ذلك أن يكون إلا أياما معدودات.

ولكن ما إن قرأت للرجل وتتبعت ما سطرته يده، متنقلا بين ما يبيح به قلمه على صفحات رسائله، حتى وجدته شخصية هادئة مطمئنة، لا تزعزعها الأحداث ولا تنال من عزائمها الفتن التي كتبت على بني البشر تمحيصا واختبارا، بل لا تزيده إلا صِقالا وصفاء واتزانا واعتدالا، وذلك لأنه كما قال، ينظر إلى الأمور بعين التوحيد وبمنظار التوحيد، فملأ عليه ما حوله كيانَه جمالا، فساح في قلبه سياحا، وسرى لأذنه سريانا، وبصُرت به عينه عيانا،

وسال على لسان قلمه سيلانا، فما يضع جملة، ولا يسطر فقرة إلا والجمال يفيض منها، ومن عباراتها، ألفاظا ومعانيَ.

وبدا ذلك واضحا من خلال رسائله وعناوينها الرئيسة والثانوية؛ فما مصطلح "الشعاعات" و"اللمعات" و"الصقيل" و"الإشارات" و"النكت" و"اللطائف" و"النور" و"الثمرات" و"الدلالات" وغيرها كثير، إلا نَفَسُ صبح ذلك الجمال الباهر الذي ملأ عليه كيانه وما حوله، وما ذلك إلا لاستشفاف سر الخلق والتكوين الذي دعا إليه القرآن الكريم في غير ما آية، كقوله تعالى: {**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ . مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ**}(الدخان:٣٩) وقوله ﷻ: {**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ**}(المؤمنون:١١٥) وقوله ﷻ: {**أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى**}(القيامة:٣٦).

هذه الآيات وشبيهاتها تجعل الشيخ النورسي رحمه الله، يقلب نظره بين الكتاب المسطور والكتاب المنظور، وبين الكون المَجْلُوِّ والكون المتلو، ليكتشف تناسقا بديعا بين الكائنات فيما بينها من جهة، وفيما بينها وبين مُبْدِعِها من جهة ثانية.

يقول في هذا المعنى: "إن الجمال الإلهي والكمال الرباني يظهران في التوحيد وفي الوحدانية، ولولا التوحيد لظل ذلك الكنـــز الأزلي مخفيا.

نعم إن الجمال الإلهي وكماله الذي لا يحد، والحسن الرباني ومحاسنه التي لا نهاية لها، والبهاء الرحماني وآلاءه التي لا تعد ولا تحصى، والكمال الصمداني وجماله الذي لا منتهى له، لا يشاهد إلا في مرآة التوحيد؛ بواسطة التوحيد ونور تجليات الأسماء الإلهية المتمركزة في ملامح الجزئيات الموجودة في أقصى نهايات شجرة الكائنات".[٤٤٧]

هكذا يرى الشيخ النورسي الجمال ومن هذا المنظار الذي رسمه وعاشه من خلاله.

ولكي أحصر نفسي في نقاط حتى لا آخذ كثيرا من وقت الحضور الكرام أقتصر على ما يأتي:

---

[٤٤٧] الشعاعات ص ٨.

١- جمالية التوحيد التي تبرز جلية في كل مخلوق:

يرى الشيخ النورسي هذا الكون الفسيح البديع، فيرسل في ثناياه نظره متأملا تأملا عميقا، فيرى فيه انسجاما وتناسقا وتناسبا محكما بين مكوناته وجزئياته التي تشكل الكل وتضمن له الاستمرارية في تناغم وتفاعل كمصنع ضخم فيه من الآلات والعمال والمواد الضرورية لاشتغاله ما لا يعد ولا يحصى، مع وضع كلٍّ في محله بوزن وإحكام، وتقدير وإتقان، مع ما صُبَّ فيها من جمال يتألق أنى توجهتَ والتفتَ، فإذا به يدرك أن وراء هذا الصنع المحكَم صانعا متقنا عليما قديرا جميلا كريما مزينا.

فأخذ يتلو قوله تعالى: {**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ**}(الإسراء: ٤٤)، ذاكرا الشاعر:

وفي كل شيء له آية   تدل على أنه الواحد

فأفرغ إحساسه ومشاعره في الجمل الآتية: "إن النقوش التي توجد في مرايا الموجودات بقدرة الله وإرادته إنما هي من آثاره سبحانه وتعالى، فكل موجود إنما هو منه تعالى، وهو الذي يوجده، وليس كل موجود هو؛ حتى يقال (لا موجود إلا هو)، إذ للأشياء وجود، وهو وجود ثابت إلى حد ما، وإن كان هذا الوجود وجودا ضعيفا كأنه وهمي وخيالي؛ بالنسبة إلى وجوده تعالى، إلا أنه موجود بإيجاد القادر الأزلي وإرادته وقدرته" .[٤٤٨]

في هذا النص يصف النورسي، رحمه الله تعالى، علاقة الخالق بالمخلوق من خلال ما أبدعته يد الخلاق في الكون الفسيح، وسماه بعبارته (النقوش) إشعارا منه بذلك الجمال الموزع فيها بانتظام. وقصده الرد على ابن عربي الحاتمي الذي ألهاه هذا الجمال وشغله حتى انخدع ونسي الوجود الضعيف النسبي، ورأى الوجود واحدا هو وجود الله ولا حقيقة لأي وجود آخر سواه.

فرد عليه النورسي بقوله: "إن للشمس المشهودة في المرآة وجودا مثاليا عدا وجودَها الخارجي الحقيقي، ولها وجود خارجي عرَضي آخرُ يلون المرآة بزينته إذ تنبسط عليها صورها.

ولها وجود خارجي عرَضي أيضا، وهو وجود ثابت إلى حد ما وهو الصورة المنتقَشَةُ على الورقة الحساسة خلف المرآة.

---

[٤٤٨] اللمعات ص ٥٥.

فكما أن للشمس وجودات هكذا في المثال كذلك الأمر في مرآة الكون ومرايا ماهية الأشياء. فإن نقوش المصنوعات الظاهرة بتجليات الأسماء الإلهية الحسنى الحاصلة بالإرادة الإلهية واختيارها وقدرتها، لها وجود حادث غير وجود الواجب الوجود. وقد منح بالقدرة الإلهية ثباتا لهذا الوجود، ولكن لو انقطع الارتباط فنيت الأشياء وانعدمت مباشرة، فكل شيء محتاج لبقائه في كل آن إلى إبقاء خالقه له، فإن حقائق الأشياء وإن كانت ثابتة ولكن ثابتة بإثباته سبحانه لها وتثبيته إياها.

وهكذا فإن قول الشيخ ابن عربي: (إن الروح ليست مخلوقة وإنما هي حقيقة آتية من عالم الأمر وصفة الإرادة)، مخالف لظاهر نصوص كثيرة، كما التبس عليه الأمر في ضوء التحقيقات المذكورة آنفا، وانخدع إذ لم يشاهد الموجودات الضعيفة".[٤٤٩]

سقت هذا النص بطوله عمدا لاشتماله على أخطر القضايا في موضوع التوحيد وهو تأليه الأشياء بدلا من خالقها، ولكون النورسي ناقش فيها ابن عربي بأمثلة واضحة وقريبة إلى كل ذهن، فلا أحد يقول: إن الشمس حلت في المرآة إذا انعكست عليها، أو في الورقة إذا صورت عليها، ولكنها على كل حال وجود آخر للشمس غير وجودها الحقيقي ولكن ابن عربي انخدع.

٢- جمالية الخلق والإيجاد:

رسمت ريشة الشيخ النورسي في هذا الموضوع لوحات عدة تارة بالشعر وتارة بالنثر، وهو في كل ذلك يتملى ويدعو غيره ليتملى معه جمال الصنعة الإلهية في هذا الصنع البديع المتناسق المنسجم، الذي يدل دلالة قاطعة على جمال الصانع.

يقول رحمه الله: "إن جمال أثر مصنوع يدل دلالة قاطعة على جمال صنعه، وإن جمال الصنع وإتقانه هذا يدل جمال عنوان صانعه الناشئ من تلك الصنعة، وإن جمال عنوان الصانع المتقن يدل على جمال صفة ذلك الصانع التي تعود إلى تلك الصنعة، وإن جمال صفته هذه يدل على جمال قابليته واستعداده، وإن جمال قابليته يدل على جمال ذاته وجمال حقيقته".[٤٥٠]

---

[٤٤٩] نفسه

[٤٥٠] الشعاعات ص٨٦.

الشيخ هنا يربط بين الخالق والمخلوق برابطة الجمال، إذ الجمال المبثوث في المخلوقات دليل على جمال مبدعه لا محالة.

ويؤكد على أمر هام في كل رسائله وهو ربط الصفات الإلهية بمتعلقاتها في الكائنات، فلا ينبغي أن ترى الجمال وتنبهر به دون أن تستشف من ورائه الجميل، ولا أن ترى التسخير في كل جزئية من جزئيات هذا الكون الفسيح دون أن ترى المسخِّر، ولا الرزق دون الرزاق ولا الحياة دون المحيي وهكذا.

ولهذا قال هنا في هذا النص "وإن جمال عنوان الصانع المتقن يدل على جمال صفة ذلك الصانع التي تعود إلى تلك الصنعة"، وهكذا دأب على ربط أسماء الله الحسنى وصفاته العلى بمتعلقاتها في الكائنات المختلفة.

وإلاَّ تنظرْ من هذا المنظار الإيماني تبدُ لك الصورة مشوشة وقاتمة؛ جمال يخلفه دمار، وحياة يعقبها فناء، ونظام يعقبه اندثار، وهكذا دواليك.

يقول، رحمه الله: "عندما كنت أتأمل في يوم من أيام الربيع شاهدت أن الموجودات التي تملأ سطح الأرض وتسيل قافلة إثر قافلة مظهرة مئات الألوف من نماذج الحشر والنشور.. هذه الموجودات ولا سيما المخلوقات الحية منها وبخاصة الأحياء الصغيرة منها، ما إن تظهر حتى تختفي عقبه، فتتعاقب مناظر الموت والزوال باستمرار وفي فعالية دائمة، وبدت أمامي حزينة أليمة مست أوتار عواطفي، وأثارت رقتي حتى دفعتني إلى البكاء..

وكذا رأيت في عالم النبات والحيوانات، أن تلك الأحياء الجميلة جدا والمحبوبة جدا وهي في أتم إتقان وإبداع، ما إن تفتح عينيها للحياة في لحظات وتشاهد هذا المهرجان الكوني العظيم إلا وتمحى وتفنى. فكلما شاهدت هذه الحالة تفطر كبدي حزنا وكمدا، وكأنه يشكو باكيا وهو يقول: لِمَ أتوا إذاً إلى هذا العالم و لِمَ يرحلون دون أن يمكثوا فيه؟

فكان قلبي يطرح أسئلة مخيفة إزاء الدهر والمقدرات. إذ مثل هذه المصنوعات اللطيفة تذهب دون جدوى ودون نتيجة، وتعدم بسرعة...

كلما تأملته صرخت جميع لطائفي المفتونة بأنواع الكمال والمبتلاة بأنماط الجمال والعاشقة للأشياء النفيسة القيمة، واستغاثت قائلة: لِمَ لا ترحم هذه المخلوقات؟ يالهفاه!..

إذا بنور القرآن والإيمان والتوحيد ولطف الرحمن يسعفني ويعينني؛ وينور تلك الظلمات، ويقلب بكائي ونحيبي وحسراتي إلى سرور وفرح وإلى النطق بـــ (ما شاء الله، بارك الله)، بدلا من التلهف والتحسر وإطلاق الزفرات حتى دفعني إلى القول: الحمد لله على نور الإيمان حيث رأيت بسر التوحيد".[٤٥١]

فصَّل الشيخ في هذا النص الطويل كيف تختلف النظرات إلى هذا الخلق من حولنا بين من ينظر إليها بنور الإيمان ومن منظار القرآن، فيرى الأقدار الربانية تجري من خلال حركة المخلوقات في نظام وتناسق يشهد بأنه تعالى واحد فرد صمد، فيرى ذلك التهالكَ هو عينَ البقاء وذلك الصراعَ هو عينَ المراد الذي يعطي للحياة إكسير الاستمرار وروح العطاء، ما إن تسقط الحبة اليابسة، مِنْ على غصنها إلا لتغرس رأسها من جديد في الأرض لتعطي حبات مضاعفة، وهكذا دواليك.

وبين من حجبته سحب الجحود الكثيفة، وظلمات الكفر القاتمة، فيرى نسفه هالكا، وكل ما حوله هالك مثله كذلك، فيصير إلى اليقين- يقين مثله- أنه يخوض معركة خاسرة تأتي على الأخضر واليابس، فيصاب بالذهول، ويحسب كل صيحة عليه، ويعيش أوهاما وصراعات نفسيةً لا تنفك عنه ليستريح أو ينام.

فالجمالية عند النورسي في مبحث الخلق والإيجاد تعطي بُعْدا عميقا للحياة وتجعل المؤمن جبلا راسخا، لا تنال منه الأحداث مهما كانت جساما، وهذه ثمرة من ثمار التوحيد الغالية.

٣- جمالية العبودية التي تتجلى في المأمورات والمنهيات:

هذه لوحة أخرى للشيخ النورسي يرسم فيها بريشة قلمه وزهي ألوان عباراته ما ينبغي أن يسود تصرفات العبد من الجمال لتكون في مستوى صنعة الجميل ذي الجلال وزينته، وإلا شوشت تصرفات العباد على ذلك الجمال المبثوث في سائر أجزاء الكون وذراته.

يقول رحمه الله: "كما أن الصانع ذا الجلال يظهر صنعته إظهارا جميلا في نظر مخلوقاته، ويأخذ الأمور المستكرهة تحت أستار وحجب، ويزن نعمه ويُجَمِّلُها حتى تشتاقها الأبصار. كذلك يطلب سبحانه من مخلوقاته وعباده أن يظهروا أمام ذوي الشعور بأجمل صورهم

---

[٤٥١] الشعاعات ص ١٦-١٧.

وأكثرها حسنا، إذ أن ظهورهم للمخلوقات في حالات مزرية قبيحة، وأوضاع مستهجنة، يكون منافيا للأدب الجميل، ونوعا من العصيان تجاه قدسية أسمائه أمثال: الجميل، اللطيف، الحكيم. وهكذا فالأدب الذي في السنة النبوية الطاهرة إنما هو تأدب بالأدب المحض الذي هو ضمن الأسماء الحسنى للصانع الجليل".[٤٥٢]

الشيخ النورسي هنا يضع هذه اللمسات الجميلة على علاقة الخالق بالمخلوق على مستوى العبودية والخضوع له سبحانه، وهو يدور في فلك قوله ﷺ : (إن الله جميل يحب الجمال)[٤٥٣]، وبذلك ينعى على الذين وَهِلُوا بجمال الطبيعة وسحرها الخلاب، ناسين أن ذلك يستدعي جمال العبودية والعرفان بالله ﷻ، لتكتمل الصورة، وتكون بالفعل دالة على الصانع الجليل الجميل.

فالمناسب أمام الجمال جمال مثله، وإلا كان هناك سوء أدب من ذلك المتلقي لهذه الأنماط الجميلة والمتنوعة من النعم ثم يقابلها باللؤم ونكران الجميل.

وما الآداب النبوية والشمائل المحمدية إلا تجسيدٌ لما تقتضيه الأسماء الحسنى والصفات العلى في متعلقاتها من المخلوقات من الحسن والجمال.

"فكما يقتضي اسم (الغفار) وجود الذنوب واسم (الستار) وجود التقصيرات، فإن اسم (الجميل) لا يرضى برؤية القبيح؛ وإن الأسماء الجمالية والكمالية أمثال: اللطيف، الكريم، الحكيم، الرحيم، تقتضي أن تكون الموجودات في أحسن الصور، وفي أفضل الأوضاع الممكنة، فتلك الأسماء الجمالية والكمالية تقتضي إظهار جمالها بالأوضاع الجميلة للموجودات وتأدبها بالآداب الحسنة أمام أنظار الملائكة والعالم الروحاني والجن والإنس".[٤٥٤]

٤- جمالية الابتلاء الذي لا يعدو أن يكون إلا تقريبا للعبد إلى ربه ﷻ:

استوحيت هذا العنوان من عنوان للنورسي، رحمه الله، يقول فيه:

(لطمات الرأفة وصفعات الرحمة)[٤٥٥]

مخالفا بذلك طبيعة الأشياء، فاللطمات لا تناسب، في الظاهر على الأقل، الرأفة؛ وكذلك

---

[٤٥٢] اللمعات ص٨٧.

[٤٥٣] صحيح مسلم، باب تحريم الكبرياء، رقم:٩١ ج:٩٣/١.

[٤٥٤] اللمعات ص ٨٨.

[٤٥٥] اللمعات ص ٦٦.

الصفعات لا تناسب الرحمة، وإنما المناسب لمسات الرأفة ونسمات الرحمة، فكيف إذاً مزج النورسي بينهما، و لم يشعر بهذا التناقض البين ؟

عمدا فعل، لإبراز سر جلل، وهو أن من العناية الإلهية بعبده أن يصيب منه، ليعاود نفسه ويحاسبها، قبل فوات الأوان، وذلك عين الرأفة ومنبع الرحمة، ويسمي العلماء هذا النوع من الابتلاء بـــ (دقائق النعم)، لأنه إذا كان الناس يدركون جلائل النعم المتمثلة في النعم الظاهرة؛ من صحة وأكل وشرب ولباس وسائر شبيهاتها، فإن المؤمن يدرك علاوة على ذلك نعما دقيقة، هي في ظاهرها وآثارها السلبية المادية عكس ذلك، ولكنها عين الرحمة والرأفة بعبده المؤمن الذي قال فيه الحبيب محمد ﷺ : (عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، ليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرا له).[٤٥٦]

في فلك هذا الحديث وأضرابه يدور النورسي في هذا المبحث، وهو يقول: "هذه اللمعة تفسر سرا من أسرار هذه الآية: {**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ**} (آل عمران:٣٠)، وذلك بذكر لطمات تأديب رحيمة وصفعات عتاب رؤوفة تلقاها إخوتي الأحبة العاملون في خدمة القرآن الكريم، وذلك من جراء أخطاء ونسيان وغفلة وقعوا فيها بمقتضى جبلتهم البشرية".[٤٥٧]

والسر الذي أشار إليه النورسي في الآية الكريمة هو أن المؤمن الذي تلقى صفعات الرحمة ولطمات الرأفة لن يجد هناك ما يود لو أن بينه وبينه أمدا بعيدا، بل لا يجد إلا ما يسره وذلك عين الرأفة والرحمة.

ثم أتى الشيخ بنماذج من المبتلَيْنَ، بعد أن ذكر أن ذلك طريق المصطفَيْنَ، من أصحابه وأتباعه مبينا أن ذلك تمحيص لهم وتطهير لما فرط منهم تجاه خدمة القرآن، مستثمرا في ذلك معنى قوله ﷺ : (لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في جسده ونفسه وماله حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة).[٤٥٨]

---

[٤٥٦] صحيح مسلم ٢٢٩٥/٤، باب المؤمن أمره كله خير، رقم ٢٩٩٩.

[٤٥٧] اللمعات ص٦٦.

[٤٥٨] صحيح ابن حبان، باب ذكر البيان بأن تواتر البلايا على المسلم قد لا تبقي عليه سيئة يحاسب عليها في العقبى، ١٧٦/٧. والحاكم في المستدرك، ٤٩٧/١ رقم:١٢٨١.

مختتما هذه اللمعة بالحديث الشري (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)، حيث ينال المؤمن نتيجة تقصيراته قسما من جزائه في الدنيا، فضلا عن كونها بالنسبة لما أعده له في الآخرة سجنا وعذابا.

إن الجمال الذي أبرزه الشيخ في هذه اللمعة لجدير بالملاحظة والتأمل، حتى يرى المؤمن الصواب صوابا والخطأ خطأ، فيتحرى الأول ويتنكب طريق الثاني، وقد كان بعض السلف رضي الله عنهم يقول: "إني لأدرك خطئي من خُلق دابتي"، يقصد أن مؤاخذته لا تؤجله لحظة، بل تظهر في سلوك دابته وأهله، ويعتبر ذلك من العناية الربانية به.

٥- جمالية التسخير :

ما إن تصفحت صفحات من كتابات الشيخ إلا وجدته يلوي الزمام إلى هذه النقطة، ويعمل جاهدا على جلاء ستارها وكشف غطائها، حتى تلمسها في أبهى صور الجمال، وأوفى رسوم الكمال، مجليا تسخير الله تعالى للكائنات بعضها لبعضٍ، في تعاون وتكامل وتجانس، تلامسها العناية الإلهية وتحوطها بمزيد من الرعاية لتضمن لها الاستمرار في أداء والرسالة، وتحمل المسؤولية. لندعه يتكلم!

يقول: "فالموجودات أيضا تؤدي وظائفها بــ (اسم الله)؛ فالبذيرات المتناهية في الصغر تحمل فوق رؤوسها بــ (اسم الله) أشجارا ضخمة وأثقالا هائلة، أي إن كل شجرة تقول: "بسم الله"، وتملأ أيديها بثمرات من خزينة الرحمة الإلهية وتقدمها إلينا.. وكل بستان يقول باسم الله فيغدو مطبخا للقدرة الإلهية تنضج فيه أنواع من الأطعمة اللذيذة.. وكل حيوان من الحيوانات ذات البركة والنفع -كالإبل والمعز والبقر- يقول باسم الله فيصبح ينبوعا دفاقا للبن السائغ، فيقدم إلينا باسم الرزاق ألطفَ مُغَذٍّ وأنظفَه.. وجذور كل نبات وعشب تقول باسم الله وتشق الصخور الصلدة باسم الله وتثقُبُها بشعيراتها الحريرية الرقيقة فيسخر أمامها باسم الله وباسم الرحمن كل صعب وكل شيء صلد".[٤٥٩]

ففي هذا النص يوضح الشيخ النورسي جمال التسخير وكمال التقدير، حيث ترى الموجودات كلها مسخرة بعضها لبعض في علاقتها باسم الله، قل لي بربك كيف شق الأعشاب

---

[٤٥٩] الكلمات ص٧.

والنباتات الصخور الصماء بشعيراتها الرقيقة؟ وكيف امتصت منها غذاء تتحف به الإنسان في شكل ثمار يانعة لذيذة؟

ويقول في نص آخر: "فمثلا إن إرسال اللبن الخالص السائغ إلى رضيع لا يملك حولا ولا قوة، ومن حيث لا يحتسب، من بين فرث ودم، فعل جزئي، هذا الفعل الجزئي ما إن ينظر إليه بنظر التوحيد حتى يظهر الجمال السرمدي لرحمة الرحمن بأبهى كماله، وبأجلى سطوعه، في إعاشة جميع الصغار في العالم إعاشة خارقة، وفي إحاطتهم بمنتهى الشفقة والحنان، بتسخير والداتهم لهم. ولكن هذا الفعل، فعلَ إرسال اللبن، إن لم ينظر إليه بنظر التوحيد، لاختفى ذلك الجمال الباهر كليا ولما ظهر قطعا، إذ تحال تلك الإعاشة الجزئية كذلك إلى الأسباب والمصادفة والطبيعة، فتفقد قيمتها كليا بل تفقد ماهيتها".(٤٦٠)

رحمك الله يا شيخ وأجزل مثوبتك، ما أجمل هذا الكلام الذي أسلته عسلا على لسانك لتبرز جمال التسخير، الذي يحس به المؤمن وبه ينعم، ويحتار في أمره الكافر وعليه يغرم.

٦- جمالية التكليف:

عنون الشيخ النورسي الكلمة الثامنة من (الكلمات) بآيتين:

{**اللهُ لاَ إِلَــهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**}(البقرة:٢٥٥) و{**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ**}(آل عمران:١٩).

ثم قال: "إذا أردت أن تفهم ما الدنيا وما دور الروح الإنسانية فيها، وما قيمة الدين عند الإنسان وكيف أنه لولا الدين الحق لتحولت الدنيا إلى سجن رهيب، وأن الشخص الملحد هو أشقى المخلوقات، وأن الذي يحل طلسم العالم ولغزه المُحَيِّر وينقذ الروح البشرية من الظلمات إن هو إلا يا الله ... "لا إله إلا الله" أجل! إذا كنت تريد أن تفهم كل ذلك فأنصت إلى هذه الحكاية التمثيلية القصيرة وتفكر فيها مليا".(٤٦١)

ثم أخذ ينقش الحكاية على غرة الدهر وجبهة الزمان، ذاكرا قصة شقيقين اثنين واصلا سيرهما لحين وصولهما إلى مفترق الطرق، وهناك وجدا رجلا فسألاه أي الطريقين أفضل؟

---

(٤٦٠) الشعاعات ص٨

(٤٦١) الكلمات ص٣١.

فقال: في اليمين التزام إجباري وتكليف، إلا أن ثمة أماناً وسعادةً، وفي الشمال حرية وتحرر إلا أن في ثناياها التهلكةَ والشقاءَ والآن لكم الخيار.

فاختار أحدهما الشِّمال ولقي فيه من العنت ما لقي... وليس هذا محور حديثنا.

واختار الآخر اليمين وتحمل فيه التكليف، وصور الشيخ هذا التكليف في أبهى لوحة وأجمل إطار بريشته قائلا:

"فهذا الرجل المبارك ذو العقل الرشيد ما يزال يقطع الطريق دون أن يعاني الضيق كأخيه، - المذكور في الحكاية- ذلك لأنه لا يفكر إلا في الأشياء الجميلة- لما له من جمال الخلق- ولا يأخذ بعنان الخيال إلا بما هو جميل ولطيف، لذا كان يستأنس بنفسه ولا يلاقي الصعوبة والمشقة كأخيه. ذلك لأنه يعرف النظام، ويعمل بمقتضى الولاء والاتباع. فيرى الأمور تسهل له، ويمضي حرا منطلقا مستظلا بالأمان والاستقرار. وهكذا مضى حتى وجد بستانا فيه أزهار جميلة وفواكه لطيفة مع ثمة (كذا) جثث حيوانات وأشياء منتنة مبعثرة هنا وهناك بسبب إهمال النظافة. كان أخوه قد دخل - من قبل- في مثل هذا البستان أيضا غير أنه انشغل بمشاهدة الجيف الميتة وإنعام النظر فيها مما أشعره بالغثيان والدُّوَار. فغادره دون أن يأخذ قسطا من الراحة لمواصلة السير. أما هذا الأخ فعملاً بقاعدة "انظر إلى الأحسن من كل شيء" فقد أهمل الجيف ولم يلتفت إليها مطلقا، بل استفاد مما في البستان من الأشياء والفواكه. وبعد ما استراح فيه الراحة التامة مضى إلى سبيله...".[٤٦٢]

وهكذا أعطى الشيخ صورة جميلة للتكليف والدين عموما والالتزام به، مما يدل على رهافة الحس الجمالي عنده يستنشقه ويتنفسه أنى اتجه وحيث ما وجد عملا بقوله هو: كن مؤمنا تر الوجود جميلا، وبقول الشاعر المتفائل: كن جميلا تر الوجود جميلا.

وأختم هذه الورقات بهذه اللوحة الثانية من (الكلمة السابعة عشرة) الشعرية لبديع الزمان النورسي يقول:

"لما زالت الغفلة أبصرت نور الحق عيانا.

وإذا الوجود برهان ذاته والحياة مرآة الحق..

---

[٤٦٢] نفسه ص٣٣

وإذا العقل مفتاح الكنـــز، والفناء باب البقاء.

وانطفأت لمعة الكمال، وأشرقت شمس الجمال..

فصار الزوال عينَ الوصال، والألم عينَ اللذة.

والعمر هو العمل نفسه، والأبد عين العمر.

والظلام غلاف الضياء، وفي الموت حياة حقة..

وشاهدت الأشياء مؤنسة، والأصوات ذكرا..

فالموجودات كلها ذاكرات مسبحات.

ولقد وجدت الفقر كنـــز الغنى وأبصرت القوة في العجز.

إن وجدت الله فالأشياء كلها لك .

نعم إن كنت عبدا لمالك الملك فملكه لك.

وإن كنت عبدا لنفسك معجبا بها، فأبصر بلاء وعبئا بلا عد، وذقها عذابا بلا حد.

وإن كنت عبدا لله حقا مؤمنا به فأبصر صفاء بلا حد وذق ثوابا بلا عد ونِل سعادة بلا حد".[٤٦٣]

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

---

[٤٦٣] الكلمات ص٢٤٠.

تجليات الجمالية في الفكر الإيماني عند بديع الزمان النورسي

مولاي الحسن الحفيضي

مقـــدمـــــــــة

لقد عاش النورسي في بيئة غلب عليها الطابع المادي، واستفزت فيها المعاني الإيمانية، وهتكت فيها القيم الإنسانية، وهددت فيها الحقائق الدينية، وتم الهجوم السافر والجماعي المنظم على أركان الإيمان وأسسه. ومما زاد الأمر استفحالا، سيادة الفكر المادي وغلبة الاستدلال بالفلسفة الوضعية التي أصبحت أداة لدفع الناس إلى الإلحاد والكفر. وفي وقت تم فيه غسل الأدمغة البشرية بالإلحاد، ولا من يستطيع أن يعترض أو يقاوم، لأن من سولت له نفسه بذلك فسيتعرض للسجن والمنفى والتهجير والتغريب والاضطهاد والتعذيب. وفي غضون تلك الأيام الكالحة التي انقلبت فيها المفاهيم وعم فيها الفساد، حتى أصبحت المفاهيم الهدامة هي السائدة في الساحة الفكرية والعلمية واندلعت حرب حامية الوطيس تهدف لقطع صلة الأمة بمبادئ دينها من خلال محو الحقائق الإسلامية، انبرى عالم رباني من قلب تركيا ليقطع دابر هذا الداء ويعالج هذه الأمراض التي كادت أن تفتك بالأمة، وبعلمه الغزير وثقافته الدينية الواسعة استطاع أن يحتوي تغلغل العاصفة وسريانها في النفوس. وبفضل من الله أخذ على عاتقه إنقاذ الأمة والتخلص من كل هذه الشكوك المثارة حول الإسلام. وبحس العلماء الصالحين أدرك النورسي أن مهمته هي إنقاذ الناس من الضلالة وتثبيت دعائم الإيمان في قلوبهم ومقاومة كل أسباب الإلحاد وإنقاذ الدين وذلك بإقامة البراهين والدلائل على صحته.

لقد شعر النورسي بعد اكتشاف واستطلاع لحالة الأمة، وبعد طواف لمدن دولته وقراها بنظر ثاقب أن هناك خطرا محدقا بالأمة إن لم تتدارك ذلك، واستوعب الدور المنوط به والمهمة الموكولة له فشمر عن ساعد الجد لينشر الرسالة الإيمانية ويواجه الأخطار المادية والمصائب الإلحادية الزاحفة زحف النار في الهشيم. فاتبع خطة تعليمية يمكن أن نطلق عليها "محو الأمية الدينية" وذلك عبر رسائل النور.

ولقد انضافت إلى هذه العوامل مزريات أخرى كالفقر والاختلاف والفرقة والجهل، فنصب النورسي نفسه لقلع أسباب هذه الأمراض معالجا ومداويا النفوس المريضة ومحركا الأجسام القابعة في الأوحال ومحييا موات الأرواح وموقظا الأمل نحو التغيير، واضعا إصبعه على مواطن الداء والبلاء. وأعلن الحرب على كل المفاهيم الهدامة والظلم واللادينية؛ فدعا إلى قطع جذور الجهل بالقراءة وقصم ظهر الخلاف والفقر بالوحدة والتكافل الاجتماعي والدعوة للإيمان. ولعل أعظم ميزات الرسائل تكمن في قوة الأسلوب وسلاسة المعنى ودقة العبارة وعصرية الطرح، ولطالما استعمل في كتاباته منهجا متميزا حتى يرقى بالإنسانية في معارج الإيمان ويخلصها من براثن المادية وينتقل بها نحو غد أفضل؛ هذا المنهج هو: الجمالية، حيث إن الإنسانية اليوم أحوج من أي وقت مضى إلى من يطور إحساسها ويعلو بذوقها وينتقل بها من أغلال الظلمات وأصفاد الحقد والكراهية إلى أنوار الإيمان والسلام والتعايش والأمان. ولقد سطر النورسي هذا البعد الجمالي وأغدق على رسائله مسحة جمالية، لا ليضفي عليها طابع الاستساغة والسهولة في التناول والليونة في الفهم، بل لكي يرقى بالإنسانية إلى أعلى وأبعد الدرجات الإيمانية، ومن هنا تبدو علاقة الجمال بالإيمان مطردة.

وهذه المداخلة سنحاول فيها استقراء تجليات الجمال في طرح الأفكار الإيمانية التي زلزلت كيان الطغاة وأقضت مضجع الماديين ولم تدع مشروعهم يكتمل، ولقد كان مورده الأول ومعينه الزلال في ذلك كتاب الله بالدرجة الأولى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وإذا كان من الصعب في ورقات قليلة استقراء واستقصاء كل الأفكار الإيمانية التي يعتريها الجمال،فإن ذلك لن يعفينا من الوقوف عند بعض القضايا دون ادعاء الكمال واكتمال البناء، تاركين ما تبقى لبحوث أخرى بحول الله.

١- عن الجمـــــــال

استطاعت الفلسفات القديمة أن تصل الى القناعة بان القيم الثلاث:الحق،الخير،والجمال،هي القيم الكبرى في الوجود، وتندرج تحتها كل القيم الإنسانية كالحب والتآلف والوحدة والتعاون... وتنبني هذه القيم على أسس كلما وجدت سادت الفضيلة وكلما غابت سادت الرذيلة وتندحر الفضيلة، فالمتشرب لهذه المعاني القيمية يطبع بالقيم الخيرية والذي لا يتذوقها يطبع بالقبح ويسقط في رذيلة الشر. والجمال باعتباره من أعلى القيم الإنسانية التي ينبثق عنها الذوق وحب الخير يمكن أن نسقط عليه نفس المعادلة، إلا أن الجمال بمفهومه العام يندرج منه

صنوان؛ جمال ظاهر وآخر باطن: فالظاهر من شأن الحواس والباطن من شأن البصيرة، وقاصر البصيرة يستهويه جمال الماديات، ومن كانت عنده البصيرة غالبة كان حبه للمعاني الباطنة أكثر، فشتان بين من يحب نقشا مصورا على الحائط بجمال صورته الظاهرة وبين من يحب نبيا من الأنبياء لجمال صورته الباطنة كما قال الإمام الغزالي رحمه الله.

وقد علمتنا التجربة أن اللبس غالبا ما يقطع الشك فيه الخبراء الحاذقون والمفكرون الموهوبون، وقد وقف لهذا المشكل بالمرصاد داعية عظيم الذكاء يتميز بعمق التفكير ودقة التحديد وبراعة الاختيار وحسن الاجتباء وفطرية الاصطفاء، فعرض أسس الجمال في مختبره وصاغ في النهاية تخريجة مقنعة للمفهوم فخلص في النهاية إلى أن العقل بما يتحكم من حواس وجوارح لا يستطيع سبر أغوار الجمال وتذوقه، بل لا بد من البصيرة {**فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُور**} (الحج : ٤٦)

٢- جمالية الفكرة والأسلوب عند النورسي:

يتميز أسلوب النورسي بالسهولة والنعومة كما يتميز بقدرة إقناع عجيبة؛ فالكلمة التي لا تميت ولا تحيي ولا تهدم ولا تبني ليست هي بالكلمة التي نحفل بالأدب من أجلها، والكلمة التي لا تجدد ما عتق من روح الأمة ولا ترمم ما تآكل من وجدانها ليست هي بالكلمة التي نطلبها من الأدب، والكلمة الصماء التي لا تصغي لأنين الروح ولا تستجيب لصراخ القلب هي من رميم الكلام الذي مكانه القبور لا الجري فوق السطور، والكلمة التي لا تحفر قوى العقل ولا تستنهض نوام الأشواق ليست بأكثر من لغو وهراء، والكلمة التي لا تقوم معوج السلوك ولا تصلح فاسد الرأي يستوي وجودها وعدمه.[٤٦٤]

وكأني به يجيب عن أسئلة يطرحها قارئ الرسائل التي تؤثر على من يقرأها وتترك أثرا في نفسه وتستلهم ثم يطرح السؤال بنفسه: "كيف يكتب الأديب شيئا عظيما إن لم يكن هو نفسه عظيما؟" من هنا يتضح أن الداعية أو المفكر أو الأديب إذا أراد أن يؤثر فلا بد أن يختار العبارات المؤثرة والجمل التي تدخل إلى الأعماق، وهذا ما فعله النورسي حيث يقول: "أن السحر البياني إذا تجلى في الكلام صير الأعراض جواهر والمعاني أجساما وجمادات ذات أرواح

---

[٤٦٤] أدب الإصلاح الديني في تركيا. أديب إبراهيم الدباغ ص ٧١، ندوة سعيد النورسي أديبا بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن مسيك البيضاء، الطبعة الأولى ٢٠٠٣.

والنبات عقلاء فيوقع بينها محاورة قد تنجر إلى المخاصمة، وقد توصل إلى المطايـــبة، فترقص الجمادات في إطار الخيال".(٤٦٥) وتأمل معي هذا الكلام، أليس دليلا على أن حسن الألفاظ يذهب بالمتلقي بعيدا ويترك في نفسه أثرا بالغا!!

والقارئ لرسائل النور يلاحظ أن أسلوب النورسي فيها بما يحتويه من حسن حكي وتمثيل مقنع ووصف وحوار جميلين يعج بالأغراض الأدبية والمحسنات البديعية، إنه يسعى إلى محاولة إيصال أفكاره الإيمانية وإقناع ذوي النفوس المريضة بكلمة التوحيد، وقد أفلح في ذلك،كما يجنح إلى بسط العبارة التي اقتضتها الظرفية التي عاش فيها. فلا بد إذن من لغة قوية ونبرة حنونة تلين قلوبهم حتى لا ينفر أولئك الذين انجروا بسبب ثقافة التغريب، لذلك فهو يدفع بالتي هي أحسن ويعبر بالتي هي أجمل ويصور بالتي هي أبهى وألطف حتى يلقى القبول الحسن، فيوصل الفكرة والمعنى دون أدنى تكلف، فلا إطناب ممل ولا إيجاز مخل، وليس في حديثه استطرادات أو حشو كلام أو زيادات أو اعتراضات في غير محلها، إنما هو كلام موزون فيه روعة الأداء وعمق المعنى وجمالية الطرح وشفافية الروح، وميزة الرسائل أنها لا تخاطب أشخاصا دون آخرين بل تخاطب النفس البشرية والفطرة الإنسانية؛ لا يجد الصعوبة في قراءتها العامل أو الفلاح ولا تقزز بأسلوبها المهندس أو الطبيب، بل تريحهم جميعا رغم تفاوت المستويات العلمية.

ولكن النورسي في نفس الوقت راح يصرح لنا بتواضع العلماء عن نفي أن يكون له شيء فيما يقرر وما يستخلص من أحكام وتجليات قرآنية، مؤكدا أن ما يصدر عنه من تخريجات إنما هو بعون من الله ولا دخل له فيما يكتب حيث يقول :"ولو بلغ صوتي أرجاء العالم كافة، لكنت أقول بكل ما أوتيت من قوة: إن "الكلمات" جميلة رائعة، وإنها حقائق وإنها ليست مني وإنما هي شعاعات التمعت من حقائق القرآن الكريم،فلم أجمل أنا حقائق القرآن بل لم أتمكن من إظهار جمالها وإنما الحقائق الجميلة للقرآن هي التي جملت عباراتي ورفعت من شأنها، واستنادا إلى قاعدة:

وما مدحت محمدا بمقـــالتي ولكن مدحت مقالتي بمحمد

أقول: وما مدحت القرآن بكلماتي ولكن مدحت كلماتي بالقرآن".(٤٦٦)

---

(٤٦٥) المكتوبات، الطبعة الأولى ١٩٩٢م مطبعة "سوزلر" للنشر استانبول، ص ٤٨١.

(٤٦٦) المكتوبات، ص ٤٧٧.

ومهما خفض النورسي من جناح التباهي برسائله وتواضع، فإن حسن تقديمها وروعة بيانها يبين لنا بجلاء مدى الجمالية التي تعتريها، فهو يستعمل الكلمة الجميلة والأسلوب الجميل واللفظ الرائع وكذا الوصف الجميل الذي يجعلك تحس بجمال المعنى، حتى تكاد تسمع اللحن والغناء وشدوه في النثر، وتحسب النورسي شاعرا أو أديبا، وهذا يترجم المشاعر اللطيفة والحس الرقيق والنفس المرهفة وعذوبة الموجد التي يتحلى بها، ولا يمكن تفسير هذا إلا بكون روحه جميلة تحب الجمال؛ فالنفس التي رصدت الجمال وتكلمت عنه واستعملته في تعبيراتها واستعانت به في بسط أفكارها وخلجات مشاعرها سليمة وزكية وطاهرة وتشع بالفضيلة ومكارم الأخلاق، لأن الجمال آية من آياته سبحانه، وذكره والاستشهاد به والتعلق به دليل على التدبر في هذه الآية واستنطاقها، ولا يفعل ذلك إلا متفكر ومتدبر ومتأمل في ملكوت الله.

هذا الإنسان الذي لا يشغله عن الطبيعة شيء ليجلس ويتأمل في جمالها؛ من الأكيد أنه يترجم لنا الحب لتلك الطبيعة والتعايش السلمي معها والنهل من مغدقاتها، وما حب الطبيعة متولد إلا من حب صانعها، يقول النورسي: "لو كان لي قلب بسعة الكون لاقتضى أن يملأ حبا وعشقا تجاه ذلك الإحسان الإلهي، وأنا مشتاق لمثله. ولكن رغم أنني لست على مستوى تلك المحبة فعلا إلا أنني أهل لها بالاستعداد والإيمان وبالنية والقبول وبالتقدير والاشتياق وبالالتزام والإرادة، وهكذا ينبغي قياس ما يظهره الإنسان من المحبة تجاه "الجمال" وتجاه "الكمال" بمقياس ما أشرنا إليه مجملا من المحبة تجاه الإحسان".[٤٦٧] من هنا يتضح عشق النورسي للجمال وربطه دائما بإحسان الجميل وبداعة الصانع، فالنورسي إذن له ذوق رفيع من خلال تصوره العميق لمفهوم الجمال، وهذا يترجم لنا حسا سليما وصفاء ذهنيا يتمتع بهما، حيث لا يتذوق الجمال إلا من هذب نفسه وخلع عنها كل السفاسف وزكاها وألهمها الرشاد. ويسترسل النورسي في إعجابه وتعلقه بالجمال وربطه دائما بالمصور الذي أحسن صنعة الكون الفسيح، وبقدرة القادر الذي خلب جمال خلقه الأنظار والألباب وأثار الفكر والتأمل؛ ففتح أبواب الإيمان اليقين، فيقول: "إن قضاء ألف سنة من حياة الدنيا وفي سعادة مرفهة،لا يساوي ساعة واحدة من حياة الجنة، وإن قضاء حياة ألف سنة وسنة بسرور كامل في نعيم

---

[٤٦٧] اللمعات، الطبعة الأولى ١٩٩٣م ، دار سوزلر للنشر استانبول، ص ٩٣

الجنة لا يساوي ساعة من فرحة رؤية جمال الجميل سبحانه".[٤٦٨] أية فرحة تعادل تلك كما يعبر عنها النورسي! وأية جمالية هذه التي عبر عنها بما يختلج في أعماقه!! إنه يجعل من الجمال الإلهي لوحات فنية تطالع من يشاهدها بما يشده بصره ويهز أعطاف قلبه ويهيج أحاسيس الجمال والجلال في نفسه.

لقد جعل النورسي علاقة وطيدة بين الجمال والإيمان، وعبر عنها بأجمل المعاني وقدم لها في حلة فنية رائعة، فاكتسى ذلك الإيمان طابعا جماليا وشاعريا خاصا انساب فيه نبض من روح الرومانسية والظرافة الأدبية مع ما تضمنه من معاني سامية ودلالات كبرى وحقائق عجيبة، وتمازجه مع الوجدان وأعماق الروح وشرايين القلب.

ومما يزيد أسلوبه جمالية استعماله التصوير "البانورامي" أي التصوير الحي، فكأنك تتواجد معه في اللحظة التي يحكي لك فيها عن منظر شاهده أو إحساس انتابه أو خاطرة خطرت له أو فكرة جالت في نفسه؛ إنه يتميز بحسن تقريب الصورة ويعرف كيف يترجمها إلى كلمات جميلة وأخاذة تأخذ بلب قارئها وتنقي آذان منصتها من كدر الضجيج والصخب. فهو حينما يقدم لك وصفا فإن صورته تكون دينامية؛ حينئذ لا تملك نفسك ولا تستطيع أن تغض طرفك ولو لثوان معدودة، فتشخص ببصرك في الرسائل لشد ما شدتك إليها، فلا تتركها إلا وأنت راض بما سمعت حبور مسرور منشرح الصدر بما رأيت.

ويعيب النورسي على أولئك الذين لم يستطيعوا تملي صور الجمال في صفحات الكون، بل يمرون مرار الكرام على صور وأشكال لا يأبهون بها، فيتأسف على ذلك الانصراف وعدم التذوق، وفي الواقع إن مدارك الإنسان وقدراته العقلية تتفاوت فلا يستطيع البعض استكناه أسرار هذا الكون، فهو يعج بصور وصفحات لا يستطيع أي إنسان عادي دركها ولا يقدر على فهمها، وما النورسي بفهمه هذا إلا متذوق كبير ويملك حسا مرهفا وذهنه صاف وقلبه مليء بالجمال وله وجدان ملهم وروح منبعث وقلب بصير، لذلك استطاع أن يترجم الصور الجمالية المبثوثة على وجه الكون البهيج ويترجم دلالاتها. ويرد عدم قدرة العامة على تذوق هذه الصور إلى نظرتهم السطحية وإلى الإلفة والعادة وعدم استعمال روح التفكر وضعف

---

[٤٦٨] المكتوبات، ص ٢٩٧.

الإيمان الذي يقتل في الإنسان روح الإبداع وروح الإحساس بالجمال حيث يقول: "لما عجز الإنسان بنظره السطحي أن يتذوق ما في جفان الكائنات وصحونها من غذاء روحي مغطى بغطاء الإلفة، سئم من لعق الجفان ولحس الغطاء، ولم يفده سوى عدم القناعة والتلهف إلى خوارق العادات والرغبة في الخيالات مهما ولد لديه الرغبة في المبالغة للتجدد أو الترويح"،[٤٦٩] فأصبح الإنسان بذلك، يرى كل ما يحيط به بعيون خابية ونفس ميتة لا تحركها صور الجمال والجلال اللذان يحيطان به، فنسي خالق الكون ومبدع صنعه. ومات فيه الإحساس فأصبح يبحث عن الحركة، وظن أن الطبيعة بكل ما تحمله من معان ورونق وجمال جمادا، فأصبح يرى الشجر شجرا والحجر حجرا... غير أن النورسي يرى ببصيرته في الزهور ما لا يرون، ويستنبط من جمال الشجر والأنهار والجبال ما لا يستطيعون اكتشافه بعيونهم. والعادة،كما يقرر، هي سبب هذا التسيب، باعتبارها أخت الذهول والسماجة والجهل وأم النظر السطحي دون نظرة متفحصة، ناهيك عن التمعن في حقائق الأشياء.

ولو تأمل الإنسان في تلك الأشياء لاكتشف حقائق عجيبة ولأسدل الستار عن أسرار ثمينة وأماط اللثام عن دروس بليغة ومزق الغطاء وأزال الدثار عن جواهر نفيسة في هذا الكون، ولو نزع عن عين عقله الغبار لفتح كنوزا لا تفنى وجواهر لا تنضب.

٣- التأمل في جمال الكون ينمي الذوق ويقوي الإيمان:

تعتبر قضية الإيمان في فكر بديع الزمان سعيد النورسي من أهم القضايا الجوهرية التي شغلت لبه وطفق يتحدث عنها في رسائله، فكانت رؤيته سامية ونظرته شمولية، فهو لم يقتصر على التعريف أو وضع الضوابط والخصائص التي تفرض على القارئ حفظ ما كتب؛- إذ بذلك سيكون الإيمان الذي يدعو إليه تقريريا وتلقينيا وهو على العكس من ذلك- وإنما ولج في أمرض الروح وسبر أغوار النفس وجنح بخطابه التوجيهي إلى فتح أزرار القلب ليكشف عن الأدران الخبيئة في النفس وأوساخ الروح. ومن هنا فإن الإيمان الذي دعا إليه النورسي يستنبط أسسه من التأمل في الكون والآفاق ويرتبط بالموجودات، وإن تتبعه لخلايا الحقائق الكونية

---

[٤٦٩] صيقل الإسلام: محاكمات عقلية، الطبعة الأولى ١٩٩٣م دار سوزلر للنشر، استانبول، ص ٦٤

الصغيرة منها والكبيرة لا يبين لنا ضخامة الإستيعاب البشري الذي يأتي نتيجة للدراسة المعرفية والمنهجية فحسب، بل يقنعنا بسيل من الإلهامات الربانية والفيوض الرحمانية.

ولقد كانت معالجة النورسي لقضية الإيمان متعمقة وحيوية تكاد تسمع فيها نظرته وكلامه وأنينه وحتى بكاءه، فلا تستطيع أن تملك نفسك وتتذوق معه إلا وتحس برعشة خاصة أسميتها "رعشة الإيمان" وتتأمل معه ويسيح وجدانك وتتوق إلى المأوى الذي تركن إليه الروح وتستقر فيه مطمئنة لا يخامرها ما قد يخامر النفس من قلق أو حيرة أو خوف.

وحينما يتناول النورسي مسألة الإيمان فإنه يضفي عليها الطابع الجمالي الذي يتعلق بكل ما يحيط بنا من مخلوقات، فيعالج ذلك محتجا ببراهين منطقية تقطع على النفس الشك وترنو بها نحو تقبل كل تلك الأفكار بصدر رحب وباطمئنان فلا يكاد القارئ ينتهي من الكلمات حتى ينتقل إلى المكتوبات فيجد نفسه قد أخذ حظه من اليقين وروحه قد ارتوت وقلبه قد رق ووجدانه قد شف. والنورسي بأسلوبه الرشيق وعبقريته الفذة وذوقه الجمالي استطاع أن يجلب الأنظار ويجمع الأنصار، ومن تعامل مع القرآن الكريم وسبر أغواره وتحلق على مائدته يستطيع بذلك أن يقطف الدرر والمعاني العظيمة وأن يجني الثمار الوافرة وأن تتيقظ نفسه وتشحذ عزيمته للنهم من كتاب الله عز وجل.

إن جمالية الإيمان عند النورسي تكمن في تأملاته المستمرة في مخلوقات الكون وفي الآفاق والأنفس، ومن هنا نخلص إلى دور الانزواء الاختياري وكذا الإجباري الذي تعرض له في صنع نفسية تأملية استفادت من عزلتها لتستخرج الفوائد من الكتاب المسطور وتتذوق حلاوة كل لفظ وتتدبر كل معنى وكذا لتستخلص من الكتاب المنشور جمال الصنعة وحسن التصوير، فيخرج بذلك من قلبها نور يتبلج ومن نفسها إيمان يتكشف: "تعال تأمل في هذا الجمال الزاهي والحسن الباهر ضمن هذا الانتظام والنظافة والميزان، بحيث جعل هذا الكون العظيم على صورة مهرجان في منتهى الجمال والبهجة، وعلى صورة معرض بديع في منتهى الزينة والروعة وعلى صورة ربيع زاه تفتحت أزاهيره توا وجمل الربيع كزهرة عظيمة واسعة تغطي وجه الأرض بمئات الألوف من أزاهيره الجميلة وكل زهرة منها في أروع زينة وأبدع جمال، بل جعله كسندانة زاهية وباقة زهر لطيفة أمامنا، نعم إن كل نوع من أنواع الكائنات بل حتى كل فرد من أفرادها قد نال حسب قابليته حظا من جمال الأسماء الإلهية الحسنى التي لا منتهى لجمالها

حتى دفع حجة الإسلام الإمام الغزالي إلى القول: " ليس في الإمكان أبدع مما كان" أي ليس في دائرة الإمكان أبدع وأجمل من هذه المكونات وهكذا فهذا الحسن المحيط الجاذب، وهذه النظافة العامة الخارقة وهذا الميزان الحساس المهيمن الشامل وهذا الانتظام والانسجام المعجز المحيط بكل شيء حجة قاطعة على الوحدانية وعلامة واضحة على التوحيد أسطع من ضوء الشمس في رابعة النهار".[٤٧٠]

من هنا نستطيع أن نخلص إلى أن النورسي يدلنا على أن جمال الكون مسلك لمعرفة الخالق وآية من آياته بل نعمة من نعمه، والنفس بطبيعتها تميل إلى كل ما هو جميل وتنجذب إليه لتذوب وسط الكائنات الجميلة والكون الرائع ليدل الجميع على الكمال الذاتي والجمال المتكامل والحقيقي. والجمال مدخل إلى ارتقاء الروح والذوق وسمو النفس والوجدان ومحرك للفكر كي يجول ويتأمل فيما هو أرقى وأبعد من المظاهر المادية الزائلة فهو سبب من أسباب الإيمان وعنصر من عناصره، والقيم الجمالية الفنية تحمل على جناحيها ما يعمق هذا الإيمان ويقويه ويجعله وسيلة للسعادة والخير في الحياة. والنورسي يعلي من القيم الجمالية ويرفع من قدرها ويضخم من شأوها ويزيد من شأنها ويجعلها خفاقة دلالة على جمال الخالق مشيرة إليه. ويستعمل الكلمة الجميلة ليسمع رنينها في الآذان فيزيدها ذلك شرفا وقدرا وعلوا ويربطها بالخالق ويقرنها بأسمى مهمة وأعظم رسالة وأرقى دعوة ليتقبلها السامع قبولا حسنا ويأخذها القارئ وهو شغوف للمزيد.

إن التواصل الدائم مع القرآن الكريم يهيج النفس ويدعوها إلى التامل كما يقول تعالى: {**أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الأبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ**} (الغاشية: ١٧)، ويقول أيضا: {**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ**} (فصلت: ٥٣). ومن تم فهو يصرف نظر الشخص عن سفاسف الأمور ويعلو به إلى حسن التذوق. كما أن الانضمام إلى حضرة الدرس القرآني والانخراط في رحابه يجعل في النفس انطباعا خاصا ويسبغ عليها هالة من الإيمان ذلك ما وصل إليه النورسي حيث يقول: "وأظهرت الرسائل دلائل الإيمان والإسلام وبراهينهما كذلك قوية راسخة بحيث لو فهمها غير المسلم يصدق بها لا محالة ويؤمن بها رغم بقائه على غير الإسلام، نعم إن الكلمات قد وضحت ثمار الإيمان توضيحا جميلا حلوا كجمال ثمار طوبى الجنة ولذتها، وأوضحت

---

[٤٧٠] الشعاعات ص ٣٦

نتائجهما اليانعة الطيبة كأطايب سعادة الدارين"،[٤٧١] والنورسي بنفسه يعترف بجمالية التعبير الذي جعل من رسائله قوية صامدة وأخاذة في نفس الوقت ، فالتعبير الجمالي الذي تشبعت به الرسائل هو ما أضاف إليها قيمة أخرى إلى جانب جمالية التأمل والتفكر اللذان يؤديان مباشرة إلى معرفة الخالق سبحانه، يقول النورسي: "إن لله سبحانه وتعالى جمالا وكمالا مطلقين وأن جميع أنواع الجمال والكمال المنقسمة على الكائنات جميعها هي أمارات على جماله وكماله وإشارات إليهما وعلامات عليهما وحيث إن كل صاحب جمال وكمال يحب جماله وكماله بالبداهة فالله سبحانه وتعالى يحب جماله بحب يليق بذاته الجليلة وإنه يحب أيضا أسماءه التي هي شعاعات جماله جل وعلا، وإذ إنه يحب أسماءه فإنه يحب إذن صنعته التي تظهر جمال أسمائه ويحب إذن مصنوعاته التي هي مرايا لجماله وكماله، وإذ إنه يحب ما يبين جماله وكماله فإنه يحب محاسن مخلوقاته التي تشير إلى جمال أسمائه وكمالها".[٤٧٢] إن للإيمان أهمية كبرى ودورا رائدا في الحياة بسعادة بحيث لولاه لعاش الإنسان في شقاء وذهول، بل لانقلب إلى حيوان فيصبح عالة على نفسه وعلى المجتمع وتنعدم قيم الخير والحب وكل القيم الإنسانية؛ وتندثر الحياة الجميلة والشفقة والرحمة والسكينة والطمأنينة وتعم الفوضى ويسود قانون الغاب وتتحول حياة الإنسان إلى الحيوانية من حيث الدمار والقلق النفسي والاضطراب الروحي والمادي. والجمالية التي يطرح ضمنها النورسي أفكاره تزيدها قبولا في النفس وسهولة في الاستيعاب؛ فالصورة التي يقرب لنا بها النورسي ضرورة الإيمان وكيف أنه ضروري لاستمرار الحياة تدل على أن فكره الإيماني وقلبه الرباني يقطران جمالية حتى نكاد نجزم أنه باحث في الجمال والجمالية. ولا يمكن أن نفسر هذا إلا بكون النورسي وروحه جميلة وتحب الجمال وتعيش به وفيه وما هذا إلا تطبيق في حد ذاته لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله جميل يحب الجمال)،[٤٧٣] ولنتأمل جميعا في هذه الخلاصات الثلاث التي يبين فيها أن الإيمان أسمى غاية للخلق وأعظم نتيجة للفطرة الإنسانية وأفضل مقام للبشرية وأنه الفاصل بين أعلى المراتب وأحطها :

---

[٤٧١] المكتوبات ص ٤٢

[٤٧٢] المكتوبات ص ٣٩٢

[٤٧٣] الحديث أخرجه مسلم بن الحجاج في صحيحه، كتاب الإيمان ج١ ص ٩٣، رقم ٩١ .

- "الدليل الأول: إن الأطفال الذين يمثلون نصف البشرية لا يمكنهم أن يتحملوا تلك الحالات التي تبدو مؤلمة ومفجعة أمامهم من حالات الموت والوفاة إلا بما يجدونه في أنفسهم وكيانهم الرقيق اللطيف من القوة المعنوية الناشئة من "الإيمان بالجنة" ذلك الإيمان الذي يفتح باب الأمل المشرق أمام طبائعهم الرقيقة التي لا تتمكن من المقاومة والصمود وتبكي لأدنى سبب فيتمكنون به من العيش بهناء وفرح وسرور فيحاور الطفل المؤمن بالجنة نفسه: أن أخي الصغير أو صديقي الحبيب الذي توفي أصبح الآن طيرا من طيور الجنة فهو إذن يسرح من الجنة حيث يشاء ويعيش أفضل وأهنأ منا. وإلا فلولا هذا الإيمان بالجنة لهدم الموت الذي يصيب أطفالا أمثاله — وكذلك الكبار- تلك القوة المعنوية لهؤلاء الذين لا حيلة لهم ولا قوة، ولحطم نفسياتهم ولدمر حياتهم ونغصها فتبكي عندئذ جميع جوارحهم ولطائفهم من روح وقلب وعقل مع بكاء عيونهم فإما أن تموت أحاسيسهم وتغلظ مشاعرهم أو يصبحوا كالحيوانات الضالة التعسة.

- الدليل الثاني: إن الشيوخ الذين هم نصف البشرية إنما يتحملون ويصبرون وهم على شفير القبر بـــ" الإيمان بالآخرة" ولا يجدون الصبر والسلوان من قرب انطفاء شعلة حياتهم العزيزة عليهم ولا من انغلاق باب دنياهم الحلوة الجميلة في وجوههم إلا في ذلك الإيمان فهؤلاء الشيوخ الذين عادوا كالأطفال وأصبحوا مرهفي الحس في أرواحهم وطبائعهم إنما يقابلون ذلك اليأس القاتل الأليم الناشئ من الموت والزوال ويصبرون عليه ويصبرون عليه بالأمل أجدر بالشفقة والرأفة، والذين هم في أشد الحاجة إلى الاطمئنان والسكينة والحياة الهادئة - ضراما روحيا واضطرابا نفسيا وقلقا قلبيا ولضاقت عليهم الدنيا بما رحبت ولتحولت سجنا مظلما رهيبا، ولانقلبت الحياة إلى عذاب اليم قاس .

- الدليل الثالث: إن الشباب والمراهقين الذين يمثلون محور الحياة الاجتماعية لا يهدئ فورة مشاعرهم ولا يمنعهم من تجاوز الحدود على الظلم والتخريب ولا يمنع طيش أنفسهم ونزواتها، ولا يؤمن السير الأفضل في علاقاتهم الاجتماعية إلا الخوف من نار جهنم، فلولا هذا الخوف من عذاب جهنم لقلب هؤلاء المراهقون الطائشون الثملون بأهوائهم الدنيا إلى جحيم تتأجج على الضعفاء والعجائز، حيث " الحكم للغالب"ولحولوا الحياة الإنسانية السامية إلى حياة حيوانية سافلة".[٤٧٤]

---

[٤٧٤] الكلمات الطبعة الأولى ١٩٩٢ دار سوزلر للنشر استانبول ص ١٠٤-١٠٥ .

وها أنت ترى كيف أوضح لنا النورسي بأن الإيمان يقلب تصور المرء من الخراب إلى الإحياء، وكيف أنه صور لنا ذلك وفق رؤية واضحة يعتريها الصدق ويلونها الجمال، جمال الأسلوب وجمال الفكرة وجمال التعبير، وكيف أنه يغدق على حياة المرء السعادة والاطمئنان كل هذا يجليه لنا وفق رؤية واضحة يوصل بها فكرته النيرة بأسلوب راق ويضفي عليها الطابع الجمالي بحيث تستهوي نفس كل من يقرؤها .

خاتمـــــــة:

هكذا إذن استطاع النورسي أن يرسم لنا إيمانا تتوق إليه النفوس وتتحرر به الذوات من براثن الغي والضلال وتنشرح به الصدور وتغدو به الضمائر حية وتكتسب به البشرية إنسانية حقة، وترنو القلوب إلى حب الجمال المبثوث في وجه الآفاق والأنفس باحثة عن صور بارئها الجميل حتى تعرفه حق المعرفة وتؤمن به حق الإيمان، فتتحول الحياة المليئة بالعنف وسفك الدماء والفواحش إلى حياة آمنة يعتريها السلم والتعايش.

من كل هذا نخلص إلى أن للجمالية دورا كبيرا في السمو بالإنسان نحو التأمل والتفكر في ملكوت البارئ عز وجل .

الفهرس